

الموسى عن الكيا اليت في ما الله ورسوله

طريق القلايتا

عند الامام

عبد الوهاب الشعراني رحمه الله

الموسى عن الكيا التي في الله وسنوه

طريقنا للولاية

عند الإمام

عبد الوهاب الشعراني رحمه الله

١٨٩٨ - ١٩٧٣ هـ

وكتابه

الموازن الذرية المبينة لعقائد الفرق العلية

دراسة وتعليق

محمد عاقل حنيفة اللباني

دكتوراه في الحديث الشريف

جامعة الأزهر

إشراف ومراجعة

الدكتور هاشم محمد عيسى محمدي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله حمداً خالداً مع خلوده ، وله الحمد حمداً لا ينتهي له دون مشيئته وعلمه ، ولا جزاء له إلا رضاه ، وله الحمد في كل طرفة عين وتنفسٍ نفسٍ ، الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ، ويدفع نقمه ، ويكافئ مزيده ، يارب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ، وعظيم سلطانتك ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، اللهم صلِّ على سيدنا محمد صاحب النور الأزهر ، والجاه الأكبر ، والحوض والكوثر ، صلاة كل عسر لنا بها يتيسر ، وكل ذنب لنا بها يغفر ، وكل عيب لنا بها يستر ، وكل نقص من أمر ديننا ودياننا بها يجبر ، وكل عدو لنا جلي وخفيٍّ بها يقهر ، وعلى آله وصحبه وسلم في كل لمحة ونفسٍ بعدد كل معلوم لك ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة لا تحصى ولا تحد ولا تعد ، صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا يا أرحم الراحمين .

أما بعد:

فإن الله تعالى منَّ عليّ وأكرمني بدراسة شاملة عن الإمام الشعرائي ، الذي هو أحد أقطاب أهل التصوف في عصره ، ومن العلماء

الذين أخلصوا لله في سرهم وعلايتهم ، وتحققوا بقوله تعالى : ﴿وَيَاكَ نَعْبُدُ وَيَاكَ نَسْتَعِينُ﴾ . فشملمهم الله برحمته ، وأكرمهم بمعرفته ، وأفاض عليهم من علمه ، فزادوا له حباً ، وبه معرفةً ، فحياتهم ليل قائم ، ونهار صائم ، وحنين دائم ، وذكر متواصل ، يقتفون أثر رسولهم الكريم محمد ﷺ لأن اتباع النبي عليه الصلاة والسلام شرط جوهرى فى التصوف ، فهو على حد تعبير أهل المعرفة : علمنا هذا مشيد بالكتاب والسنة .

والإمام الربانى العابد الزاهد الفقيه الشعرانى عبد الوهاب بن أحمد رحمه الله تعالى ، هو طراز فريد من علماء نهلوا من روح الإسلام وجوهره ، ووقفوا حياتهم على تبين معالمه .

وكان للدينيا نوراً بدد ظلامها ، وهدياً أزال ضلالها ، وكانوا لدينهم سنداً وحصناً ، ولتعاليمه عزاً ورفعة .

وقد كان مناراً للسالكين بعده ، جاهد فى الله حق جهاده ، على بصيرة وهدى ، ولم يبق منعزلاً عن المجتمع الذى عاش فيه ، ولكن وجد من الواجب عليه ؛ أن يكون أداة صالحة فى ترقيته وتثقيفه ، والأخذ بيد أفراده ، إلى ما هو أفضل ، وساعده على ذلك حفظه لكتاب الله عز وجل ، وهو ابن سبع سنين ، والتزام أداء الفرائض ، وهو ابن ثمان .

وللإمام الشعرانى مؤلفات عديدة ، فى علوم شتى ، مما يدل على إلمامه الواسع فى علوم أهل عصره ، والإحاطة بما وقع له من كتب المبرزين ، من قدامى ومعاصرين .

فقد كتب في جميع الفنون ، ونزع إلى مزاولة التصوف قبل أن يسلك على أرباب الطريق ، فراض نفسه على تحمل المشاق في ذلك .
ويعد الإمام عبد الوهاب الشعراني ، مبدعاً في تأليفه وبخاصة في الفقه المقارن كما في كتاب الميزان ، الذي وفقَّ فيه بين أئمة الفقه الإسلامي ، ومبدعاً في فهمه للتصوف ، وذلك باختصار الطريق على السالكين ومطالبتهم التحقق بالعبودية ، ووضع من أجل ذلك (الأنوار القدسية) ، وداعيةً إسلامياً إلى التحلي بالأخلاق المحمدية والصفات الربانية ، وزعيماً شعبياً بمحاربتة الظلم ، ووقوفه في وجه الطغاة والحكام المستبدين ، وعالمًا نفسيًا عرف أمراض النفوس وعللها ، فقدم لها العلاج الشافي المتمثل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وكان الشعراني رحمه الله الذي تخرج من الأزهر علماً مستنيراً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ^(١) .

وقد شغلت شخصية الشعراني بال النقاد والمستشرقين ، منهم (ماكدونالد) فقد قال في وصفه: (إن الشعراني كان رجلاً دراكًا نفاذاً مخلصاً واسع العقل ، وكان عقله من العقول النادرة ، في الفقه بعد القرون الثلاثة الأولى)^(٢) .

وقال عنه (نيكلسون): إنه أعظم صوفي عرفه العالم الإسلامي

(1) راجع الكواكب الدرية ج3 ص 350 .

(2) الكواكب الدرية ج3 ص 405 .

كله⁽¹⁾.

لهذا كله أحببت أن أبرز كنزاً مخبوءاً من كنوز هذا الإمام الكبير، ليستفيد الناس من سيرته ومؤلفاته، وليتعرفوا على عقلية هذا الإمام، الذي ألف أكثر من ثلاثمائة كتاب، بعضها لم يسبق إليه مما جعل كثيراً من العلماء والنقاد، يشيدون به، وينوهون بمؤلفاته.

هذا وإن من البواعث أيضاً التي دفعتني إلى دراسة حياة الشعراني وتحقيق كتابه (الموازن الذرية في بيان عقائد الفرق العلية) الإسهام في بعث الحياة الروحية لدى المسلمين، وأن أقدم لهم كتاباً، جعل مؤلفه الخلاصة منه - كما ذكر ذلك في المقدمة - بأنه لا يجوز لأحد أن يكفر أحداً يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، ولا يصح إخراج أحد من الإسلام إلا بينة لا تقبل التأويل ولا الاحتمال، ولا يكون ذلك إلا بنص أو إجماع. ولعل نشر هذا الكتاب يساهم في ردم الفجوة بين المسلمين، التي أحدثتها التيارات المعاصرة، المتضاربة في الآراء، حتى كَفَّر بعضهم بعضاً، لأمر فرعي ليس من أمور الدين الأساسية، وكان من أعظم آثار التكفير في الجماعات الإسلامية تناول آيات وأحاديث الصفات فمن أولها على وفق ما يقتضي اللسان العربي اتهمه بعضهم بالتعطيل والجهمية والمروق من الدين، بل عدوه ملحداً وأخرجوه من الملة الإسلامية ومن حملها على ظاهرها عدوه مجسماً

(1) انظر الشعراني لتوفيق الطويل ص 25.

مشبهًا وأحقوه باليهود وكفروه، وأخرجوه من الإسلام، فجاء الإمام الشعراني في كتابه (الموازن الذرية في بيان عقائد الفرق العلية) بما يشرح الصدر ويرأب الصدع، ويلم الشعث، ويوحد الصف، ويبين أن جميع الموحدين مصيبون في تناولهم لآيات الصفات، إذ أرجع الجميع إلى ميزان دقيق، فمن أول راعى جانب حضرة الإطلاق، ومن أخذ بالظاهر راعى حضرة التقييد، والكل موحد والكل مؤمن.

كما أن هذا الكتاب (الموازن الذرية) يعد كتابًا مهمًا في الفلسفة الإسلامية والتصوف الإسلامي إذ استطاع أن يقرب القضايا الإيمانية إلى أفهام الناس بأسلوب شائق، واستطاع أن يتناول المسائل المهمة في التصوف الإسلامي، ويقدمها لقمة سائغة لمفكري الأمة والباحثين في مجال الفكر الفلسفي الإسلامي، ولذلك نجد الشعراني يمتدح الفلسفة ويثني على بعض الفلاسفة وينكر على من ذمهم، ويعلل ذلك بالجهل منهم لمدلول كلمة الفلسفة، التي تعني محب الحكمة، ويصنف أفلاطون من العلماء العارفين بالله تعالى.

منهجي في البحث:

وقد اتبعت أكثر من منهج علمي في الدراسة والتحقيق وفق الموضوعات التي أعالجها في مختلف الفصول والمباحث، فقد انتهجت المنهج التحليلي، عند تناولي لنصوص الإمام الشعراني، كما شرحت المنهج التاريخي عند بيان الحالة السياسية أو الدينية أو الثقافية التي

عاش فيها الإمام الشعراني ، والمنهج المقارن بين أقوال الإمام الشعراني وآراء من سبقوه من أهل السنة والسلف الصالح ، أو بين أقواله وأقوال بعض خصومه .

وقد قمت بتتبع كلام الإمام الشعراني وإسناده إلى مصادره قدر الإمكان ، كما قمت بتصوير كثير من المخطوطات التي اعتمدت عليها في الدراسة والتحقيق .

ولقد حاولت أن ألتزم البحث العلمي البعيد عن التعصب للإمام الشعراني ، فأوردت من آرائه ما وقفت عليه مشفوعاً ببعض الشواهد الدالة على ذلك ، مع الترجيح بذكر أقوال السلف رحمهم الله عند اختلاف أقوالهم .



خطة البحث

وأما خطتي في البحث فهي كالتالي:

القسم الأول: الدراسة.

واشتمل على تمهيد وفصلين وذكرت في المقدمة كلمة موجزة عن الإمام الشعراني وأهمية كتابه وسبب رغبتني في إخراج هذا الكتاب وتحقيقه.

والتمهيد يتضمن:

أ - نبذة عن حياة المجتمع في عصر الإمام الشعراني.

ب - حول حياة الإمام الشعراني.

ج - من مصطلحات الصوفية.

الفصل الأول: الولاية عند الإمام الشعراني.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: في مفهوم الولاية.

المبحث الثاني: في شخصيات الأولياء وأصنافهم عند الإمام

الشعراني.

المبحث الثالث: في الطريق إلى ولاية الله كما يراها الإمام

الشعراني.

المبحث الرابع: التصوف في عصر الشعراني. (وفيه أربع مسائل)

الفصل الثاني: أهم موضوعات الكتاب

وفيه خمس مسائل:

الأولى: في الكلام عن الرؤية والفرق بينها وبين المشاهدة.

الثانية: في موضوع الخاتمة.

الثالثة: النهي عن التفكير في ذات الله.

الرابعة: في الميزان الذي ترجع جميع الفصول إليها.

الخامسة: في الخلق وأنهم كلهم قائلون بالإتحاد الوهمي لا

الحقيقي.

القسم الثاني: التحقيق

مقدمة التحقيق وتتضمن مبحثين:

المبحث الأول: نسبة الكتاب إلى مؤلفه.

المبحث الثاني: النسخ المعتمدة في التحقيق.

المبحث الثالث: منهج التحقيق.

الكتاب المحقق

الخاتمة وفيها أهم نتائج البحث.

الفهارس.

القسم الأول الدراسة

التمهيد ويتضمن:

أ- نبذة عن حياة المجتمع في عصر الإمام الشعراني.

ب- حول حياة الإمام الشعراني.

ج- من مصطلحات الصوفية

أ- نبذة عن صورة المجتمع في عصر الشعراني

لم يكن الإمام الشعراني إلا صوفياً على قدر عظيم من الوعي والحركة والعمل الدؤوب: لإنقاذ مجتمعه مما حاق به من آلام وبلاء، جره عليه نوع من حكم الدم الغريب الأهوج، إذ اصطفى الشعب المصري بنار الصراع الذي انتهى بقتل السلطان الغوري ودخول السلطان سليم الأول إلى مصر.

وكان هناك في مصر طبقات ثلاث:

الطبقة الأولى: العلماء: لقد كان جل هذه الطبقة مسالماً للحاكم الدخيل، طامعاً في عطائه ونواله، بائعاً ضميره ومهدراً كرامة بني وطنه في سبيل مطامعه الشخصية، وقد عرض الإمام الشعراني لكثير من هؤلاء بالتشهير في معركتهم مع الإمام جلال الدين السيوطي وغيره من العلماء المخلصين من أهل الحق، كما نرى ذلك في ترجمة السيوطي في كتابه الطبقات الصغرى⁽¹⁾.

وثانيها الفلاحون: وهؤلاء هم الكادحون الذين صورهم الإمام الشعراني في كتابه البحر المورود بأنهم يعملون طول العام، ثم لا يكتفي الحاكم الغريب بأن يستولي على محصولهم من الزرع حتى يستولي على الجاموسة والبقرة.

(1) الطبقات الصغرى ص 576.

وثالثها طبقة الصوفية: وهي أكثر التصاقاً بالشعب، وأشدّها تلاحماً معه في أزماته وأفراحه وأتراحه .

ومع تلاحم الصوفية بالأوساط الشعبية فإنهم كانوا أيضاً على صلة وثيقة بالعلماء جميعاً، وبالمخلصين منهم لتنظيم خطط الإصلاح ومقاومة الحكام الدخلاء، وبالمضلين منهم بالجهاد والفضح والتشهير وكشف الخداع .

ولم يكن نقدهم للعلماء بأهون من نقدهم للصوفية الزائفين أنفسهم، بل إن الضلال هو الضلال، سواء كان في عالم أو جاهل أو في عين من أعيان القاهرة أو غيرها من البلاد أو متصوف دخيل^(١) .

وكان الشعراني أبرز الشخصيات التي تصدت لحركة الإصلاح هذه في أوساطها جميعاً ولا سيما في بيئة العلماء وبيئة الصوفية إذ أصبح الفلاحون وأرباب الصنائع فرائس للأدعياء من هؤلاء ومن رجال الحكم الغرباء عن البلاد .

يقول الإمام الشعراني عنهم: وتأمل الخلق تجد كل أحد نفسه مكسورة بحرفته، لا سيما الفلاحين والتراسين والطحانيين وغيرهم من سائر الحرف الشائعة، فتجد الفاعل منهم في آخر النهار تهدلت أعضاؤه، وضعفت قوته إلى الطرف الأقصى، فأى شيء من مشايخ هذا الزمان يقدر أن يوصل شخصاً إلى هذا الحد، وفي يوم، بكلامه الذي يتكلمه^(٢)؟

(1) سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي ص 50/4 .

(2) المرجع السابق ص 51/4 .

وكأنه يقول إن البلاء في ذاته شيخ مرشد كامل الإرشاد
قويم المنهج، لأنه يصل بالنفس إلى ما يصل بها الأستاذ إليه من الحد
من كبريائها والاعتزاز بقوتها، وتوجهها نحو المحرمات والرعونات.

ولقد شاع في عصر الإمام الشعراني أمران بلغا درجة من انحلال
الفكر وانهيار المُثُل العليا المشروعة في الإسلام:

أما أول الأمرين: فهو اتجاه علماء المنقول نحو التعمق في علوم
النحو والصرف والبلاغة وغيرها من الآلات، وليس الغايات حتى
شرحوا المتون ووضعوا عليها الحواشي ثم التقارير ثم التقارير على
التقارير، وحتى تحول البحث في النحو والبلاغة وغيرهما إلى لون من
التدريب العقلي على قضايا المنطق، وحيثياتها، فخرج بذلك عن
إتقان الآلة وعن الجدوى العقلية والروحية من السلوك جميعاً، ومن
هنا افتتح الشعراني جبهة كفاح ضد الكثير من علماء النقل حيث قال:
«لن يسألك الله يا أخي عن النحو والصرف والبلاغة، ولن تحتاج إلى
هذه العلوم إلا بقدر ما تصحح فهمك للكتاب والسنة، أما سؤال الله
لك ففي أشياء أخرى غير هذه»⁽¹⁾.

وثاني الأمرين: انحراف الفكر الصوفي في عصره إلى المكاشفات
والمشاهدات واعتبارها أصل الفكر الصوفي، وإغفال قيمتها من حيث
هي مقاييس لصحة السلوك أو فساده، وشاع هذا اللون من الحديث
عن المكاشفات حتى خاض فيها كل مفلس، وتصدى لها كل أفاك،
وانحرف مفهوم الولاية عند هؤلاء الأفاكين حتى التمسوه في ألوان من

(1) تاريخ ابن إياس ص 548.

المرتزقة بما يشبه علوم الأسرار، وهو في الواقع خروج عن نطاق الشريعة جملة واحدة، حتى لقد تجرؤوا على دس ألوان من هؤلاء المنحرفين في طبقاته الكبرى ليتخذوا من اسمه دليلاً على صدق تلك الدعاوى المضللة^(١).

ب - التعريف بالإمام الشعراني:

أولاً: اسمه ونسبه:

عرف إمامنا الشعراني بنفسه فقال: «فإني بحمد الله عبد الوهاب ابن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن محمد بن زوقاء ابن الشيخ موسى المكني في بلاد البنها^(٢) بأبي العمران جدي السادس ابن السلطان أحمد ابن السلطان سعيد ابن السلطان قاشين ابن السلطان يحيى ابن السلطان زوقا بن السلطان ريان ابن السلطان محمد بن موسى بن السيد محمد بن الحنيفة ابن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. وقد افتخر الشعراني بنسبه، إذ ذكر أن من النعم التي من الله تبارك وتعالى بها عليه شرف نسبه لكونه من ذرية الإمام محمد بن الحنيفة وإنه من أبناء ملوك الدرني^(٣).

(1) مصر في القرون الوسطى من الفتح العربي للفتح العثماني ص 492.

(2) البنها: بالفتح ثم السكون وسين مهملة مقصورة مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربي النيل.

(3) لطائف المنن ص 32 والدرني: جاء في معجم البلدان الياقوت الحموي تحت مادة (درن) بالتحريك جبل من جبال البربر في المغرب فيه عدة قبائل وبلدان وقرى وجاء في مادة (درنة) موضع بالمغرب قرب أنطابلس.

وهو الإمام الفقيه المحدث الصوفي العارف أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني أو الشعراوي (بالنون والواو كما وجد بخطه) الشافعي^(١) الشعراني الأنصاري الشافعي الشاذلي المصري أبو المواهب أبو عبد الرحمن فقيه أصولي محدث صوفي مشارك في العلوم^(٢).

ثانياً: مولده ونشأته:

ولد الشعراني على أصح الروايات وأشهرها في 27 من شهر رمضان المبارك سنة 898 هـ ببلدة (قلقشنده) - قرية جده لأمه - بمصر، ثم انتقل بعد أربعين يوماً من مولده إلى قرية أبيه أبي شعرة من قرى المنوفية^(٣). وإليها نسبته فيقال الشعراني والشعراوي وعرف بهذا اللقب واشتهر به وإن كان هو قد سمي نفسه في مؤلفاته بالشعراوي، وقد اضطرب رجال التاريخ في تحديد مولده فقد ذكر العيدروس^(٤) في «النور السافر في أعيان القرن العاشر» تاريخ مولده قبل هذا التاريخ بقليل لكن المناوي وعلي مبارك أيّدوا التاريخ الذي

(1) المصدر نفسه.

(2) معجم المؤلفين لعمر رضا كحاله ج6 ص18 ط دار إحياء التراث العربي لبنان / بيروت.

(3) معجم المؤلفين 218/6.

(4) هو محي الدين عبد القادر بن الشيخ عبد الله العيدروسي، صاحب كتاب النور السافر عن أخبار القرن العاشر والروض الناظر في من اسمه عبد القادر، من أهل القرنين التاسع والعاشر توفي سنة 1038 هجرية راجع خلاصة الأثر/ ج 2 ص 440 ومعجم المطبوعات العربية 1400س.

ذكره .

نشأ يتيم الأبوين: إذ مات أبوه وهو طفل صغير يقول عن نفسه
«ومما منّ الله عليّ وأنا صغير ببلاد الريف حفظ القرآن وأنا ابن ثمان
سنين وواظبت على الصلوات الخمسة في أوقاتها»⁽¹⁾.

ويذكر هجرته من قريته فيقول: «ومما أنعم الله تبارك وتعالى به
عليّ ببركة رسول الله ﷺ هجرتي من بلاد الريف إلى مصر، ونقله
تعالى لي من أرض الجفاء والجهل إلى بلد اللطف والعلم».

ثم تابع فيقول: «وكان مجيئي إلى مصر افتتاح سنة إحدى عشرة
وتسعمائة وعمري إذ ذاك ثنتا عشرة سنة فأقمت في جامع سيدي أبي
العباس الغمري وحنن الله تعالى عليّ شيخ الجامع وأولاده فكنت
بينهم كأني واحد منهم آكل مما يأكلون وألبس مما يلبسون، فأقمت
عندهم حتى حفظت متون الكتب الشرعية وآلاتها وحللتها على الأشياخ
إلى أن قال: فحفظت أولاً متن أبي شجاع ثم الآجرومية، في بلاد الريف
وحللتها على أخي الشيخ عبد القادر بعد وفاة والدي».

ثم لما جئت مصر حفظت كتاب المنهاج للنووي ثم ألفية ابن
مالك ثم التوضيح لابن هشام ثم جمع الجوامع ثم ألفية العراقي ثم
تلخيص المفتاح ثم الشاطبية ثم قواعد ابن هشام وغير ذلك من
المختصرات .

ثم ارتفعت الهمة إلى حفظ كتاب الروض مختصر الروضة
فحفظت منه إلى أثناء باب القضاء على الغائب وأواخر الكتاب تقريباً،

(1) لطائف المنن والأخلاق 32/1 .

فما قدرت بعد ذلك على حفظ لوح واحد منه لكنني طالعت الكتاب ودرسته نحو مائة مرة، وكنت أقرأ محفوظي للمتن في الشرح وأنظر كل شيء وتوقفت في فهمه حتى صار شرحه للشيخ زكريا عندي نصب عيني (١).

وقال المناوي عند ذكره لمؤلفاته: «بل حفظ الروض إلى القضاء على الغائب وذلك من كراماته فقد وقفت على ما لا يكاد يحصى من الطبقات والتواريخ فلم أر في ترجمة أحد من الأعيان أنه حفظه ولا بعضه» (٢).

واضطرب رجال التاريخ أيضاً في الحديث عن طفولته ونشأته، فذهب المستشرق (فان كرويمر ونيلكسون) إلى أنه اشتغل في مطلع حياته بالنسيج (٣).

ولكن المستشرق (نولرز) يسخر من هذا القول قائلاً: إن حياة الشعراني كانت زاخرة دائماً بالعبادة حافلة بالتعليم فلم يكن من الميسور أن يجد وقتاً يحترف فيه عملاً.

ثالثاً: المناصب التي تقلدها:

العلم هو طريق التحصيل، واجتهد الشعراني في هذا الطريق ووصل إلى مكانة مرموقة من العلم، شهد له بذلك القاضي والداني،

(1) المرجع السابق 33/1.

(2) الطبقات الكبرى 392/3 المعروفة بالكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية
لزين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي.

(3) دائرة المعارف الإسلامية 350/10.

وأثاره الخالدة التي تركها تتحدى الزمن وتتعلم منها الأجيال ، وشهد له العلماء بالتفوق وهو مازال تلميذاً ، فكيف وقد أصبح عالماً له قدم راسخة في ميادين العلم والاجتهاد على اختلاف المعارف والفنون؟ لقد ظفر بإجازة (جلال السيوطي) وهو ما زال في العاشرة من عمره ، ولا يطعن ذلك في (الجلال السيوطي) الذي لم يكن قد رأى الشعراني حين كتب له مجيزاً الرواية عنه وظفر بإجازة شيخه (أمين الدين)^(١) إمام جامع الغمري ، الذي صاحبه حيناً من الدهر فأحسن صحبته ، وتلقى عنه علوماً جمة ومعارف واسعة وقد أدرك الغمري فيه نباهة وعلو قدر ، وسمو مكانة فأجازه بجميع مروياته وعلومه وتأليفه . وكان العارفون من العلماء يدركون ما وصل إليه الشعراني من علم ومعرفة ويجلوناه لذلك ، من أمثال شيخ الإسلام (زكريا الأنصاري)^(٢) الذي عرف له فضله ، واتصلت معه مودته حتى مات رحمه الله وهو راض عنه تماماً ، ومن أمثال الشيخ (ناصر الدين اللقاني) المالكي ، الذي كان إذا ما قصده الشعراني زائراً يقوم له من فوق (مرتبته) ويجلسه عليها بجامع الأزهر وكان يجلس بين يديه كجلسة المتعلم وكان الشعراني يضيق بذلك ضيقاً شديداً ، ويحاول عبثاً أن يثني الشيخ عن فعله ، ولكنه كان يصبر على ذلك اعترافاً منه بقدر زائره ومكانته .

(1) أمين الدين إمام جامع الغمري كان من الراسخين في العلم وانتهت إليه الرئاسة في علو السند بالكتب الستة وغيرها وكان يجيد القراءات السبع ، توفي رحمه الله سنة 929 ودفن بتربته خارج باب النصر (الطبقات الكبرى ج1 ص 146) .

(2) زكريا الأنصاري ستأتي ترجمته في القسم الثاني .

وكان كثير منهم يقصده تعظيماً له وتقديراً من أمثال الشيخ (شهاب الدين أحمد الشلبي الحنفي) وأخيه الشيخ (سراج الدين) ويتحدث الشعراي بشيءٍ من الخجل منهم لما عرفه من مكانتهم وارتفاع قدرهم، وكان يذوب حياءً بسبب تكلفهم المجيء بهذه الكيفية.

وبلغ من اتساعه في العلم أنه كان يكفي طلاب زاويته من الافتقار إلى غيره في كافة العلوم التي يتطلبها المجاورون، من فقه ونحو وبيان وبلاغة وطب وأصول وتوحيد وتفسير وحديث وغيرها، فقد كانوا يجدون عنده ضالّتهم وقد استطارت شهرة الشعراي العلمية حتى أثارت الإعجاب والحسد، فالتف حوله التلاميذ، وناصره بعض العلماء العداء حين رأوا منه ذلك المجد العلمي والتقدم والبراعة، وحين رأوا تلك التآليف العديدة التي طبقت شهرتها الآفاق وتلقفتها الأيدي في العالمين العربي والإسلامي، والتهمتها العيون والأذهان، ووعتها القلوب والأفهام، فنفسوا عليه هذه المكانة وكادوا له، ولكنه خرج من هذه الفتنة مرفوع الرأس ناصع الجبين، وباء حساده بالخزي والعار، والشعراي يعد من نعم الله عليه أن جميع أشياخه في فقه التصوف وغيرها من العلوم ماتوا وهم عنه راضون، وذلك من أكبر النعم، فإن رضا الأشياخ على طلابهم عنوان رضا الله عز وجل عنهم والحمد لله رب العالمين.

رابعاً: خلق الشعراي ومواقفه مع الولاية:

كان عظيم الهيئة وافر الجاه والحرمة يأتي إلى بابه أكابر الأمراء

فتارة يجتمعون به وتارة لا ، وكان مواظباً على السنة مجاناً للبدعة ، مبالغاً في الورع مؤثراً ذوي الفاقة على نفسه حتى بملبوسه ، متحملاً للأذى سالماً طريق العفو موزعاً أوقاته على العبادة ما بين تصنيف وتسليك وإفادة ، وكان يجتمع عنده بزائريته من العميان وغيرهم نحو مئة فيقوم بهم نفقة وكسوة .

وكان يحيي ليلة الجمعة بالصلاة على المصطفى ، ويستمر جالساً من العشاء إلى الفجر لا يفتر ولا ينعس ولا يخل بالحضور مع الفقراء ولو مريضاً .

وكان يطوي الأيام المتوالية ويديم الصوم ويقتصر على الفطر بأوقية من الخبز . ولا يجحده إلا مباحث مأثوم^(١) ، وكان في زمنه يوقظ المؤذنون من نحو نصف الليل فيحصل من إيقاظ النيام والاشتغال بالذكر والتهجد والقيام ؛ الأنس التام ما يثلج الصدور ويحث على فعل الجبور ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾^(٢) .

والشعراني رحمته الله يقول عن نفسه: إن من ممن الله عليه أنه لم تكن هناك عوائق تعيقني عن طلب العلم والعبادة منذ طفولتي وكانت القناعة من الدنيا باليسير سداي ولحمتي ، وهذه القناعة أغنتني عن

(1) طبقات المناوي ص 396 . والمأثوم مرتكب الزور والبهتان والإثم .

(2) سورة الأحزاب: 62 .

الوقوف بالذلل لأحد من أبناء الدنيا، ولم يكن لي أنني باشرت حرفة ولا وظيفة لها معلوم دنيوي مهما بلغ، ولم يزل الحق تعالى يرزقني من حيث لا أحتسب إلى وقتي هذا وعرضوا علي الألف ديناراً أو أكثر فرددتها ولم أقبل منها شيئاً، وكان التجار والكبراء يأتون بالذهب والفضة فأنثرها في صحن جامع الغمري فيلتقطه المجاورون⁽¹⁾.

ثم يقول: ولم أزل بحمد الله محفوظ الظاهر من الوقوع في المعاصي متقدماً بين الناس، يعرضون علي كثيراً من الذهب والفضة والثياب فتارة أردتها وتارة أطرحتها في صحن الجامع، فيلتقطها المجاورون.

الشعراني والولاية:

اعتصم الشعراني بخلقه وبدينه، وبعزة نفسه في عصر حطم فيه ولاية الترك كل إباء وكل عزة. يقول الوزير الأعظم علي باشا عندما عزم على الرحيل إلى تركيا: إننا مقربون إلى الخليفة فهل لك حاجة عنده نرفعها إليه؟ فيقول الشعراني في عزة المؤمن وإباء الصوفي: ألك حاجة عند الله إننا مقربون إلى حضرته. وفي العصر العثماني لحظ الإمام الشعراني وشاهد تهافت العلماء على حكام البلاد، ورأى إسفافهم في طلب الدنيا وتكالبهم عليها، الأمر الذي جعل الحكام والولاية يستهترون فيهم ولا يذعنون لكلامهم.

ويروي الإمام الشعراني ضجر هؤلاء الحكام من هؤلاء الأذعياء

(1) لطائف المنن والأخلاق ص 95.

على أبوابهم فيقول: وقد بلغني عن بني بغداد أنهم يقولون: سئمت نفوسنا من كثرة ما يسألنا الفقهاء والفقراء وبعضهم جعل نزله كل سنة إلى مولد سيدي أحمد البدوي حجة في سؤالنا وقبول صدقتنا، وادعى أنه لم يدخل قبة سيدي أحمد مطلقاً فيضرب خيمته خارج الحلقة ويصير يأخذ ما يأكل هو وجماعته وبهائمه ثم إذا انقضى المولد يأتي إلى محلة المرحوم ويسألنا بحاله ومقاله ويزعم أنه نزل زيارتنا شوقاً إلينا وهو كاذب، فإننا لسنا من العلماء حتى يستفيد منا علماً ولا من الصالحين حتى ندعو له، ولا عندنا شيء من الحلال حتى يأخذ منه ما يطلب فما بقي إلا أنه نصابٌ فاسق، ويقول الإمام الشعراني أيضاً: وسمعت جماعة الوزير علي باشا يقولون: قد سئمت أنفسنا من كثرة ما يسألنا هؤلاء المشايخ ونعطيهم من العدس والعسل والفلوس ثم إنهم يقولون عنا إننا ظلمة فلأي شيء يأخذون منا؟ ولو أن مثل هؤلاء شموا رائحة الطريق لتعففوا عما في أيدي الخلائق فكانوا يعظمون في أنفسهم.

ويقول الشعراني في مقدمة كتابه المسمى إرشاد المغفلين... إلخ فهذا كتابي المسمى (بإرشاد المغفلين من الفقهاء والفقراء إلى شروط مصاحبة الأمراء من غير معرفتهم بشروط الصحبة) حتى إن بعضهم صار يكره كل من شاركه في صحبة ذلك الأمير الذي سبق إلى صحبته، ولو أنهم كانوا يعرفون شروط صحبته وما يلزمهم من الواجبات لما تراحموا على أميرٍ قط، ولكن ذلك كله تصديق لرسول الله ﷺ في قوله: «لا تقوم الساعة حتى يتغاير العلماء على صحبة الأمراء كما

يتغاير الناس على النساء»^(١).

وفي كلام الإمام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: «لا ينبغي لعالم أن يدخل على أمير ولو يقصد نصحه فإن الأمراء لا يصبرون على سمع النصح من العلماء»^(٢).

وإنما خصصنا هذه الرسالة بإرشاد المغفلين لأنهم هم الذين يزاحمون على الأعراض الدنيوية، بخلاف الحذاق في أمر دينهم من الفقهاء والفقراء فإنهم لا يزاحمون على القرب من الأمراء فضلاً عن صحبتهم، والأعمال بالنيات والحمد لله رب العالمين^(٣).

ويقول: مما من الله عليه: كراحتي لقبول شيء من هدايا الولاية والعمال لي أو لإخواني، وذلك لأننا ما صحبنا الولاية إلا بقصد التفريج عن المكروبين، ونحن على ضرر من الميل إليهم، وسهامنا المسمومة متوجهة إليهم ليلاً ونهاراً لتصيبهم لكثرة ظلمهم، فإن سداهم ولحمتهم من كثرة الظلم والبلص^(٤)، وأذى المسلمين، ومعلوم أن قبولنا هداياهم والأكل من طعامهم أو اللبس من ثيابهم مثلاً، مع ما في ذلك من التبعات وعدم قبول الشفاعات، فإن من أكل من طعام رجل أو قبل

(1) كنز العمال في المجلد الرابع عشر في الإكمال في أشراط الساعة الكبرى وعزاه الديلمي إلى أبي هريرة حديث رقم (38598).

(2) مقدمة كتاب إرشاد المغفلين «مخطوط».

(3) مقدمة كتاب إرشاد المغفلين إلى شروط مصاحبة الأمراء والمسمى بالمنز الصغرى «مخطوط».

(4) بلص: بلصه لم يترك له شيئاً (المعجم الوسيط).

هديته ذل له وصار معدوداً من عائلته .

وقد أغفل غالب الفقراء هذا الباب فقبلوا من الولاة هداياهم وصدقاتهم وطلبوا منهم قبول شفاعاتهم وانقيادهم لهم، وذلك كالمحال ولو أنهم زهدوا فيما في أيدي الولاة، ولم يقبلوا منهم صدقة ولا هدية لعظموهم وقبلوا شفاعاتهم، وقبّلوا أيديهم وأرجلهم⁽¹⁾. ويتابع قائلاً: وما أخبرتك يا أخي إلا بما قد جربته في نفسي قبل إخواني في صحبة طريق القوم .

ثم يقول: مما منّ الله عليّ عدم افتخاري بمجيء الأكاابر إلي من أمير كبير، أو قاضي عسكر ونحوهما، وعدم مزاحمتي على صحبة أحد من الولاة وأبناء الدنيا. وأنني لا أصحب أحداً من الولاة إلا بعد أن أرى أن صحبته ترجح على عدم صحبته، ثم إنني إذا صحبته لمصالح العباد لا أزال أسارقه بتكبير غيري فيمن أعتقد أهليته لما أقصد من المصالح، وأرمقه في عينه وتحسين اعتقاده فيه، حتى يصير مقدمهم عليه، فإذا صار كذلك تركت صحبته بسياسة بحيث لا يشعر به أحد، ولا يعتقد في أنني تشوشت منه لكونه صحب غيري، وهذا خلق ما رأيت له فاعلاً في مصر غيري .

وقد فعلته مع الأمير محيي الدين بن أبي أصبع، ومع محمد بن بغداد، ومع كثير من الكشاف، فحسنت اعتقادهم لما صحبتهم في غيري وصرفتهم إليه، ولم يفعل ذلك معي أحد

(1) لطائف المنن والأخلاق 173/1 وما بعدها.

من شيوخ أهل عصري⁽¹⁾.

ويتابع فيقول ناصحاً من كان يجالس الحكام: فعليك يا أخي بتكبير إخوانك عند كل من صحبتته من الأمراء وذكرهم بالصلاح والخير، وإياك وتجريح أحد من أقرانك عنده، فيقيض الله تبارك وتعالى لك بحكم العدل من يجرحك وينقصك عند ذلك الأمير، كما وقع ذلك لجماعة من طلبة العلم، فذكروا بعضهم بسوء عند الأمير الذي صحبوه فاستفاد الأمير من كل منهم أن خصمه قليل الدين، فقال: الله لا ينفعني ببركة أحد منهم، ولو أنهم كانوا كبروا بإخوانهم عنده لخرجوا كلهم من صحبتته مستورين⁽²⁾.

ويقول: مما منّ الله عليّ كثرة قبول شفاعتي عند الأمراء واعتقادهم فيّ الصلاح من غير مطالبة بكرامة، ولا أعلم الآن أحداً في مصر أكثر شفاععة عند الولاة والكشاف ومشايخ العرب والعمال مني، فربما نضب الدست من الورق في مراسلتهم في حوائج الناس في أقل من شهر، مع أن في البلد من هو أعظم مقاماً مني، بل لا أصلح أن أكون تلميذاً له. وقد بلغنا أن من كان قبلنا من الفقراء لم يزل بينهم وبين الولاة الحرب، ولم يزالوا يطالبون الفقراء بالكرامات حتى يقبلوا شفاعتهم. «ومما منّ الله عليّ حُسن سياستي لمن أشفع عنده من الولاة وغيرهم، فيلهمني الله تبارك وتعالى كلاماً لم يمر على بالي قبل ذلك، فينحل

(1) لطائف المنن والأخلاق 1/274.

(2) لطائف المنن 1/175.

غضب ذلك الأمير بعون الله»^(١).

ويقول الشعراني: «تشفعت عند السلطان الغوري والسلطان طومان باي وخاير بك، وغيرهم من باشاوات مصر، فقبلوا شفاعتي وذلك معدود من جملة طاعة الملوك لي»^(٢).

خامساً: وفاته وراثؤه:

ظل الشعراني على تقوى من الله ورضوان، منشغلاً بالذكر والعلم والعبادة في زاويته، وهو لا يفتر عن الجهاد والعبادة والدعوة إلى الإصلاح والقيام بالإنصاف حتى حانت وفاته، بعد أن أصيب بالفالج في عصر اليوم العشر من ربيع الثاني سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة، ومكث مريضاً به ثلاثة وثلاثين يوماً، ثم توفي بعد العصر يوم الاثنين الثاني عشر من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة من الهجرة النبوية الشريفة.

وحُمِل في اليوم التالي على الأعناق إلى مصلى الجامع الأزهر في مشهد حافل جداً، فقد اجتمع الخلائق لموته، وتقدمهم نائب السلطان ومن يليه من أعيان مصر وأمرائها وقوادها وقضاتها وعلمائها وفقهائها وطلابها ومتصوفيها وعامة الناس، يحكي صاحب (الدرر المنظمة) قائلاً: لم أرَ مشهداً سابقاً لعالم أو ولي كمشهده، ولا جمعاً كجمعه ودفن بمدفن نبيلة بجانب زاويته، وفتح له باب منها، وقد كان قد

(1) لطائف المنن والأخلاق (275/1).

(2) لطائف المنن والأخلاق (231/2).

أكمل بناء المدفن في وقت صعود روحه إلى بارئها.
وكان قد تبرع ببناء هذا المدفن أحد تلاميذه الذين أعجبوا به
وتأثروا بمبادئه تأثراً شديداً، وهو حسن بك الصنّجق، وقد طويت
بوفاته صفحة عالم صوفي محقق وقف حياته على خدمة العلم والدين
والتصوف والمجتمع⁽¹⁾.

(1) الخطط التوقيفية (110/14).

الشعراني بين طلب العلم وتعليمه

أولاً: نشأته العلمية:

ذكرت فيما سبق أن الإمام الشعراني حفظ القرآن الكريم ثم حفظ متن أبي شجاع^(١) والآجرومية ودرسها على أخيه الشيخ عبد القادر. وكيف جاء إلى القاهرة سنة عشرة وتسعمائة وعمره إذ ذاك اثنتا عشر سنة، فأقام في جامع شيخه أبي العباس الغمري يعلم ويتعلم. يتعهد ويتعبد سبعة عشر عاماً ثم انتقل إلى مدرسة أم خوند^(٢)، وفي تلك المدرسة بزغ نجم الشعراني وتألّق. وفي مرحلة النشء عند شيخه أبي العباس الغمري يذكر لنا أنه حفظ متون الشريعة وآلاتها على الأشياخ. وذكر لنا في كتابه لطائف المنن جملة من الكتب التي قرأها عليهم، وقد مر فيما سبق بعض منها، وها أنا أذكر ما ذكره في كتابه المنن بتصرف قليل^(٣) فقد قرأ شرح المنهاج للجلال المحلي^(٤) على الشيخ

(1) متن أبي شجاع مختصر في فقه الشافعية، ومؤلفه القاضي أبو شجاع هو أحمد بن الحسن بن أحمد الأصفهاني القاضي أبو شجاع صاحب متن الغاية والتقريب، المعروف بمتن أبي شجاع وعليه شرح لابن قاسم الغزي وكلاهما مطبوع توفي في حدود 593 هجرية، راجع ترجمته في الطبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي ج6 ص 15.

(2) لم أجد من ذكرها بعد البحث والتنقيب المضمني.

(3) لطائف المنن والأخلاق ص 33.

(4) جلال الدين المحلي: هو محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي، الملقب بجلال الدين الفقيه الأصولي المتكلم النحوي المفسر، ولد سنة 791 =

أمين الدين^(١) الإمام والمحدث بجامع الغمري .
 وكان يطالع عليه درسه القوت للأذرعي، والقطعة
 والتكملة للإسنوي والزركشي، والقطعة للسبكي، والعمدة لابن
 الملقن، وشرح ابن قاضي شهبة وشروح الروض للشيخ زكريا، وكان
 يكتب زوائد هذه الشروح على الشيخ جلال الدين، وألصق فيه أوراقاً
 حتى ربما تعد الحواشي أكثر من الكتاب، ثم قرأ عليه أي على الشيخ
 الغمري شرح جمع الجوامع للحافظ السيوطي، وحاشية كمال الدين
 بن أبي شريف كاملاً، وكان قد قرأها على مؤلفها، وقرأ عليه أيضاً
 شرح ألفية العراقي للحافظ السخاوي، وقرأ عليه أيضاً شرح ألفية ابن
 مالك لابن عقيل، ويقول الشعراني كنت أطلع على شرحها للأعمى
 والبصير، وشرح التوضيح للشيخ خالد^(٢)، وشرح المكودي^(٣)،

= هجرية ذكر مترجموه أنه برع في عدة فنون وكان في زمانه غرة في سلوك طريق
 السلف على سنن من الصلاح والورع والتقوى، توفي بمصر سنة 864 هجرية،
 انظر شذرات الذهب ج7 ص303، الفتح المبين في طبقات الأصوليين ج3 ص40،
 مطبعة المشهد الحسيني القاهرة.

- (1) أمين الدين تقدمت ترجمته.
- (2) الشيخ خالد الأزهرى: هو الشيخ خالد بن عبد الله بن محمد الجرجاوي الأزهرى
 زين الدين ولد بجرجا من الصعيد، ونشأ وعاش في القاهرة له موصل الطلاب إلى
 قواعد الإعراب وشرح الآجرومية، وشرح التصريح على التوضيح في النحو وجميعها
 مطبوع في القاهرة توفي سنة 905 هجرية (الضوء اللامع ج3 ص171)،
 والكواكب السائرة ج1 ص188).
- (3) المكودي: هو عبد الرحمن بن صالح أبو زيد المكودي الفاسي المكي، من تأليفه
 شرح الآجرومية والألفية، توفي سنة 901 هجرية (انظر شذرات الذهب

وشرح ابن المصنف، وشرح ابن أبي قاسم، وشرح الشواهد للعيني وأكتب هذه الزوائد على ابن عقيل ثم أقرؤها كلها، وقرأت عليه أيضاً الكتب الستة في الحديث والغيلانيات^(١) ومسند ابن حميد وكتباً كثيرة، وأجازني بجميع مروياته وكان له السند العالي أخذ عن ابن حجر وغيره.

وقرأت على الشيخ الإمام العلامة شمس الدين الدواخلي رحمته الله هذا الشرح المذكور آنفاً، وطالعت عليه الكتب المذكورة بعد الشيخ أمين الدين، وقرأت عليه شرح الإرشاد لابن أبي شريف، وكنت أطلع عليه شرح البهجة الكبير للشيخ زكريا، وشرح الإرشاد للجوجري^(٢)، والقوت للأذري، والمتوسط والفتح له أيضاً، وقرأت عليه شرح الروض إلى أثناء باب الجهاد، فحصل لي مرض فلم أتمه عليه، لكنني أتممته على غيره، وكنت أطلع على هذا الشرح كتاب الخادم، وكتاب القوت، وجميع المواد التي استمد منه شارحه، وكنت أتبع نقوله بذكر سوابق الكلام ولواحقه، وألحق ذلك بالشرح حتى إن حواشي هذا الشرح

ج 8 ص 4).

(1) الغيلانيات: فوائد أبي بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي البزاز والمعروف بالغيلانيات ويليها عوالي الغيلانيات لمؤلفه محمد بن عبد الله أبو بكر الشافعي المتوفى سنة 965 هجرية، الناشر: الرياض مكتبة أضواء السلف 1996م..

(2) الجوجري: هو أحمد بن عمر إسماعيل بن الجوجري فاضل مصري من قرية جوجر بالسمنودية، له بلغة المسائل في تبليغ الرسائل في دار الكتب المخطوطات المصورة ج 1 ص 431.

صارت أكثر من الشرح ، وكان يتعجب من سرعة مطالعتي لهذه الكتب وكتابة زوائدها .

ويقول: لولا أنك تلخص زوائدها لقلت إنك لم تلحق تطلع على بعضها، وقرأت عليه شرح الألفية لابن المصنف، وشرح التوضيح للشيخ خالد، وكتاب المطول بحواشيه، وشرح ألفية العراقي للمصنف وللسخاوي، وكتاب شرح جمع الجوامع بحاشيته لابن أبي شريف، وغير ذلك، وقرأت على الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين المسيري قطعة من شرح جمع الجوامع، ونحو النصف من شرح المنهاج للمحلي، ثم مات رحمه الله⁽¹⁾.

وقرأت على الشيخ الإمام المحقق جلال الدين المحلي شرح جمع الجوامع بحاشيته، وكثيراً ما كنت أقرأ عليه الشرح والحاشية من ذهني وهو يمسك عليّ الأصلين فيتعجب من جودة حفظي وتوفيقي الحاشية على الشرح مع صغر سني، وقرأت عليه شرح العقائد للفتازاني، وحاشية لابن أبي شريف عليه، وشرح المقاصد، وكتاب سراج العقول لابن طاهر القزويني، وقرأت على الشيخ نور الدين الجارحي المدرس بجامع الغمري شرح ألفية العراقي للمؤلف، وشرح الشاطبية لابن القاص والسخاوي صهر الشاطبي. وقرأت على الشيخ الإمام نور الدين السنهوري الضير عدة كتب، منها نظمه للأجرومية، وشرح نظمه لها، وشرح الألفية للمكودي، وغير ذلك. وقرأت على الشيخ جمال الدين الصاني قطعة من المنهاج، وقطعة من الألفية في

(1) لطائف المنن والأخلاق ص 33.

نحو شهر، وقرأت كذلك على كل من الشيخ عيسى الأخنائي
والشيخ شمس الدين الديروطي، والشيخ شمس الدين الدمياطي
الواعظ صاحب البرج بدمياط قطعة من شرح المنهاج، وقطعة من
شرح الألفية في النحو. وقرأت على الشيخ العالم الصالح المحدث
المغربي شهاب الدين القسطلاني شارح البخاري غالب شروحه على
البخاري، وقطعة من المواهب اللدنية.

وقرأت على شيخ مشايخ الإسلام الشيخ زكريا شرحه لرسالة
القشيري كاملاً، وشرحه لمختصر المزني، ولم يكمله، وشرح آداب
البحث، وشرح التحرير، وشرح الروض إلى أثناء باب الجزية، وشرح
مختصره لجمع الجوامع مع حاشيته على شرح الجلال المحلي، وقرأت
عليه تفسير البيضاوي كاملاً، وشيئاً من قراءتي على حاشيته التي
وضعها عليه، وغالبها بخطي وخط ولده الشيخ جمال الدين، وذلك
بعد أن كف بصره وطالعت له حاشية الطيبي على الكشاف، وحاشية
الشيخ سعد الدين وبعض حواشيه كحاشية السيوطي والبابوني،
وكشرح البخاري كنت أطلع له حال التأليف فتح الباري، وشرح
العيني وشرح البرماوي وشرح الكرمانلي وشرح القسطلاني حتى صار
غالب هذه الشروح نصب عيني من كثرة مطالعتها له، وتكرار الكلام
حتى يأخذ منه المعنى الذي يضعه في شرحه، ولما قرأت عليه شرح
الروض كنت أطلع عليه شرح المهذب والخادم والقوت وشروح
المنهاج والمطلب والكفاية لابن الرفعة، وتتبع جميع المواد التي
استمد منها في شرحه ونبهته على اثني عشر موضعاً، ذكر أنها من

زوائد الروض على الروضة، والحال أنها مذكورة في الروضة في غير أبوابها، فأصرّ على كونها زائدة ونبه على أنها مذكورة في غير أبوابها، ثم رأيت الزركشي نبه على هذه المواضع في خبايا الزوايا ففرح بذلك^(١)، وقرأت على الشيخ الإمام المحقق علامة الزمان الشيخ شهاب الدين الرملي^(٢) كتاب الروضة من أولها إلى أثناء كتاب الجراح فحصل لي رمي دم لم أكمله عليه، وكنت أطالع على كل درس قرأته عليه كتاب القوت، وكتاب الخادم، وكتاب شروح الروض للشيخ زكريا، ولابن سولة، والمطلب والمهمات والكفاية لابن الرفعة، وشرح المذهب، والرافعي الكبير، والقطعة والتكملة، وشرح ابن قاضي شهبة على المنهاج، وشرح الإرشاد للجوجري ولابن أبي شريف، وشرح البهجة للشيخ زكريا، وأكتب زوائد هذه الكتب على

(1) لطائف المنن والأخلاق ص 34.

(2) شمس الدين الرملي الشافعي: هو محمد بن محمد بن حمزة بن شهاب الدين الرملي شهر بالشافعي الصغير، وهو أستاذ الأساتذة وهو أحد أساطين العلماء، عمدة الفقهاء ومحبي السنة تفقه على أبيه، ولم يتلمذ على غيره، ذكره الإمام عبد الوهاب الشعراني في كتابه الطبقات الوسطى فقال: صحبته من حين كنت أحمله على كتفي، بعد وفاة والده، خلفه في تدريس التفسير والحديث والأصول والفروع والنحو والبلاغة، وبرع في العلوم النقلية والعقلية، من تأليفه القيمة: نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، وغاية البيان في شرح زبد ابن رسلان وغيرهما، توفي بمصر سن 1004 هجرية (فتح المبين في طبقات الأصوليين للشيخ عبد الله مصطفى المراغي ج 3 ص 84 - 85)، وخلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي (342/3).

الحواشي وربما ألصق فيها أوراقاً حتى تصير الحواشي أكثر من ألفاظ الأصل، ثم أقرؤها كلها عليه، وكان ينبهني على المفتى به من غيره فأقيدته على الحاشية.

ولم أزل كذلك حتى ترادفت عليّ الهموم لما بلغت في السن إلى نحو خمس وعشرين سنة، ذلك نحو ثلاث وعشرين من القرن العاشر التي دخلت فيها إلى مصر لما جاءت دولة عثمان نصرهم الله تعالى.

ويذكر عنه تلميذه المناوي فيقول: وحبب إليه الحديث فلزم الاشتغال به ومع ذلك لم يكن عنده جمود المحدثين، ولا كودنة⁽¹⁾ النقلة، بل هو فقيه النظر، صوفي الخبر، له دراية بأقوال السلف ومذاهب الخلف، وكان ينهى عن الحط على الفلاسفة، وينفر ممن يذمهم بحضرته، ويقول: «هؤلاء عقلاء⁽²⁾»، ثم أقبل على الاشتغال بالطريق فجاهد نفسه مدة، وقطع العلائق الدنيوية، ومكث سنين لا يضطجع على الأرض ليلاً ونهاراً إلى أن قال: واستمر على ذلك حتى قويت روحانيته، وكان يفتتح مجلس الذكر عقب العشاء فلا يختمه إلا عند الفجر، ثم أخذ عن مشايخ الطريق فصحب الخواص والمرصفي والشناوي فتسلك بهم وكان على يد علي الخواص فطامه⁽³⁾.

وفي مدرسة أم خوند اتسعت دائرة معارفه وطارته شهرته، وصار

(1) غلظة (انظر الهادي إلى لغة العرب للشيخ حسن الكرمي).

(2) الطبقات الكبرى لزين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي (3-393).

(3) الطبقات الكبرى للمناوي ص 394.

اسمه يملأ الأسماع، ويلهج به كل لسان، وسعت إليه الدنيا فرفضها،
وركعت بين يديه فبندها، وأصبح ربانياً في نفسه سنياً محمدياً في
تفكيره، وسلوك حياته.

وقال المناوي: وقرظ له على بعضها - أي كتبه - علماء عصره فغلب
الحسد على طائفة من الفقهاء والصوفية، فدسّوا عليه في بعضها كلمات
يخالف ظاهرها الشريعة وعقائد زائغة. ومسائل تخالف الإجماع، وأقاموا
عليه القيامة، وشنعوا وسبّوا ورموه بكل عظيمة، وبالغوا في الأذى
والنميمة، فخذلهم الله تعالى وأظهره عليهم.

ويذكر علي باشا صاحب كتاب الروضة كيفية انتقاله من المسجد
الغمري إلى مدرسة أم خوند فيقول: «ورتب مجلس الصلاة على النبي
ﷺ سنة ثمان عشرة وتسعمائة ثم تحول من الغمري إلى المدرسة
المعروفة بأم خوند بخط كافور الأخشيدي بالقرب من سكنه الآن،
لأن جماعة من أهل القرى حسدوه على اجتماع الناس عليه في مجلس
الصلاة، فتعصبوا عليه وبسطوا ألسنتهم في شأنه وأسمعوه غليظ القول
وتحالفوا على المصحف ألا يحضروا معه مجلس الذكر والصلاة على
النبي ﷺ، فلما انعزل عنهم في مدرسة أم خوند التأم إليه جماعة
يحضرون مجلسه المشتمل على الذكر والصلاة على رسول الله ﷺ،
وكان ممن بجوار هذه المدرسة الأمير محيي الدين بن يوسف، عرف
بابن أصبيعة: لأصبح زائدة لوالده، وكان متقلداً إذ ذاك مناصب سنية
وافرة العدد، وممن هو دونه الجمال بن الأمير المنسوب إلى شرف
الدين واقف الجامع خارج الحسينية المعروف به ولعله من

أمراء الحسينية سابقاً، وللمذكور عدة أولاد من أعيانهم شرف الدين ومحمد، فكان الأمير محيي الدين يتردد إلى المدرسة في أوقات الصلوات ويجتمع عليه أولاد الجمال بن الأمير بمقتضى الجوار للتشرف به إذ ذاك، فكان يجتمع بمجلس الشيخ ويعتقده ويعول عليه»⁽¹⁾.

ثم أولاد الأمير احتفلوا به وذكره في مجالسهم بسوق أمير الجيوش وعظموا شأنه فكانوا أول من عزره ونصره وأشهر ذكره وخبره. وكان بجوار المدرسة أيضاً أخوان مجيدان أحدهما لقب بسعد الدين وهو من أقباط مصر وثب إلى خدمة الأمير أرتبك الناشق أحد أمراء الجراكسة. والثاني وهو القاضي عبد القادر أكثر مالاً ورزقاً وطيئاً، وكان مع خدمة أرتبك مصاهرًا للقاضي شرف الدين بن الخزلة القبطي عرف بالصغير، وهو رأس ديوان السلطان بالقلعة المحروسة وجميع إقليم مصر وسائر جهاتها في الدولتين، فكان يقصد نفسه بإرساله مساحاً للطين السلطاني بالإقليم، فجمع من ذلك رزقاً عديدة اختلسها لنفسه وكتب بها مستندات شرعية ومحا عنها رسم الأول، فلما كان الفتح الثاني السلیماني وتغيرت الأحوال وانقضت تلك الدولة خشي عند الفحص والتفتيش أن ينزع ذلك الطين الذي جمعه من يديه والحالة هذه فكان من عناية الله بالشيخ عبد الوهاب الشعراني أن عبد القادر الأزريقي دبّر تدبيراً، قصد حماية ذلك الطين به، فأعانه الله عليه ويسّر له وهو أنه اشترى قطعة أرض مكملة الجدار على

(1) الخطط التوقيفية 109/14 - 110.

الخليج الحاكمي تجاه الدرب الكافوري وعمّرها مدرسة على الضفة التي هي بها⁽¹⁾، وجعل بها مدفناً لمن يريد أن يدفن فيه، ونقل إليها الشيخ عبد الوهاب الشعراني ووقف عليها تلك الحصص الطينية المتفرقة التي كان يخشى من تبعاتها عند انتباه السلطنة والدولة للعرض عليها، فكان هذا الوقف على جهات بر للشيخ عبد الوهاب الشعراني وذريته ولجميع القاطنين عنده بالمدرسة رجالاً ونساءً وصغاراً وكان ذلك قدراً حافلاً .

ولما تمّ ذلك وكتب مكاتيب الوقف بمضمون ما شرطه وأشهد على نفسه، هرع الناس من كل أوب من الأقاليم، وانقطعوا عند الشيخ بالزاوية وقطنوا بها، وانتظم حينئذٍ مجلس الذكر وشاع ذكر الشيخ والمدرسة والوقوف بالإقليم فاجتمع عنده الجمع الغفير .

وعظفت على إشارات الشيخ الخواطر، وهامت بذكر محبته ألسن مشايخ العرب والأكابر، حتى صار الحال في الغالب لا يتولى أحد منصباً سلطانياً إلا بعد أن يجتمع بالشيخ عبد الوهاب ويأخذ خاطره في شأنه، وربما مرّ على زاويته بتشريفه وموكبه ونزل على بابها، وأوقف من معه خارجها ودخل على الشيخ وقبّل يده ثم عاد إلى ماله مستبشراً باجتماعه به ومعتمداً على ما صدر من أفاضله. ولم تزل مدرسته مأوى للفقراء المجاورين ولهم بها الراتب في الغداة والعشي من ذلك الوقف.

وكان رحمته الله ذا همة عالية فكان يأتيه الكتاب الكبير الحجم يطالعه ويراجعه، ويضع عليه تقريراته في ليلة واحدة، وأرسل له ناصر الدين

(1) الخطط التوقيفية 110/14 .

اللقاني «مدونة الإمام مالك رضي الله عنه» مع النقيب ليراجع فيها مسألة أشكلت عليه في الظاهر فلما أتى النقيب وصل إليه في الزاوية مساءً فأعطاهما له فلما أراد الانصراف فقال له: حتى تأخذها معك في الصباح وتبيت عندنا هذه الليلة، فبات النقيب وأخذ «المدونة» وأصولها إلى سيدي ناصر الدين اللقاني، فلما تصفحها وجد عليها تقاريرات وتصليحات فتعجب غاية العجب فسأل نقيبته عن ذلك فقال لا أعلم غير درجة فلم أفتحها؛ وأحضرتها إليك كما هي، لقد رأيت يا سيدي والله لم يترك ورداً من أوراده ولا تهجداته، وكان يسمع لزاويته دوي كدوي النحل ليلاً ونهاراً ما بين ذاكر وقارئٍ ومتهجد، ومطالع كتب وغير ذلك.

ثانياً: الشعراني والخواص:

عاش إمامنا الشعراني حياته في المسجد منكباً على حلقات العلم ليلاً نهاراً منقطعاً عن الدنيا وأهلها وزخرفها كما بيّنت سابقاً. وكان متعبداً عن علم، زاهداً عن جاه، في سبيل تكوين شخصيته العلمية ونبوغه العلمي وكماله الخلفي.

ومن النشأة الأولى قويت اتصالاته بصفوة العلماء الأفاض الذين أدركهم منذ مجيئه إلى القاهرة، أمثال جلال الدين السيوطي، وزكريّا الأنصاري، وناصر الدين اللقاني، والرملي والسهمودي وغيرهم كثيرين كما ذكر عدداً منهم في كتبه.

ودرس الشعراني عبر هؤلاء العلماء العلوم الإسلامية بشتى أنواعها وعلومها، في الفقه والأصول والحديث والتصوف والتفسير والأدب

واللغة حتى غدا كما يقول «لا يتصور أحد من معاصريه أحاط بما أحاط به علماً أو تخلّق بما تخلّق به عملاً».

ولكن هذه الدراسة لم ترض كل أشواق قلبه، ونداءات روجه فكان يتطلع دائماً إلى سلوك الطريق المضيء، الطريق الصاعد إلى الله على أجنحة الحب والذوق، طريق التصوف كما رسمه شيوخه وكما تذوّقه أهل الكمال.

ولقد كان الشعراني صوفيّاً في منهجه الذي أخذ نفسه به طوال حياته، يقول عن نفسه: «إن من منن الله عليّ أن ألهمني مجاهدة نفسي من غير شيخ منذ طفولتي».

ولكن الشعراني كان ينشد الشيخ الذائق الواصل صاحب البصيرة أو الإلهام ليساعده كما يقول على اختصار الطريق وعلى إزالة عقبات النفس الخفيّة وأخذ الشعراني يتصل بشيوخ التصوّف يلتمس عندهم المفاتيح والأبواب كما يقول فلم يجد عند أحد منهم أمله.

يقول الشعراني <ولقد اجتمعت بخلائق لا تحصى من أهل الطريق ألتمس لديهم المفاتيح والأبواب فلم يكن لي وديعة عند أحد منهم>.

ثم تأذّن الله له بالفتح فجمع بينه وبين الشيخ علي الخواص فكان الخواص سلّمه الذي صعد عليه أبواب الفتح، وسماوات المنح، ومناطق النور والإلهام، والشعراني يقول «إن من منّة الله عليه أن كان وصوله وفتحه على يد من لا يعرف القراءة والكتابة».

ويقول في وصف هذا الأمّي «رجل غلب عليه الخفاء فلا يكاد

يعرفه بالولاية والعلم إلا العلماء العاملون لأنه رجل كامل عندنا بلا شك ، والكامل إذا بلغ مقام الكمال في العرفان صار غريباً في الأكوان» ويحدثنا الشعراني بحديثه الروحي العذب عن وصوله إلى معارج المعارف العلوية على يد شيخه وعن بحار علوم شيخه فيقول: «وكانت مجاهدتي على سيدي علي الخوَّاص كثيرة ومتنوعة منها: أنه أمرني أوَّل اجتماعي عليه ببيع جميع كتبي والتصرف بثمانها على الفقراء ففعلت ، وكانت كتباً نفيسة مما يساوي عادةً ثمناً كثيراً فبعتها وتصدقت بثمانها ، وصار عندي التفات إليها لكثرة تعبي بها وكتابة الحواشي والتعليقات عليها ، حتى صرت كأنني سلبت العلم ، فقال لي اعمل على قطع التفاتك إليها بكثرة ذكر الله عز وجل فإنهم قالوا: ملئت لا يصل ، فعملت على قطع الالتفات إليها ، حتى خُلت بحمد الله من ذلك .

وكنت أهرب من الناس وأرى نفسي خيراً منهم ، فقال لي: اعمل على قطع أنك خيرٌ منهم .

فجاهدت نفسي حتى صرت أرى أرذلهم خيراً مني ، ثم أمرني بالاختلاط بهم والصبر على أذاهم وعدم مقابلتهم بالمثل ، فعملت على ذلك حتى قطعت ، فرأيت نفسي حينئذٍ أنني صرت أفضل مقاماً منهم ، فقال لي: اعمل على قطع ذلك ، فعملت حتى قطعت ثم أمرني بالاشتغال بذكر الله سرّاً وعلانية والانقطاع بالكلية إليه ، وكلَّ خاطر خطر لي مما سوى الله عز وجل صرفته عن خاطري فوراً فمكثت على ذلك عدّة أشهر» .

ثالثاً: شيوخه:

ومن شيوخه في الأزهر الإمام العلامة (شمس الدين الدواخلي) قرأ عليه أيضاً الكتب والشروح السابقة، وكان (الدواخلي) فقيهاً صوفياً أصولياً نحويّاً محققاً للأبحاث والعلوم بارعاً فيها على اختلافها، وقد قرأ عليه غير ما قرأه على شيخه السابق (شرح الإرشاد لابن أبي شريف) و(شرح البهجة الكبير للشيخ زكريّا) و(شرح الإرشاد للجوجري) و(القوت والتوسط والفتح للأذري)، وشرح (الروض) إلى جزء من باب الجهاد، وقد استعان الشعراني على هذا الشرح بكتاب (الخادم) وكتاب (القوت) وغيرهما من الكتب التي تنحو نحو الشرح، وكعاداته في اطلاعاته كان يثبّت على الشرح كل ما يلاحظه ويستفيده من قراءته ونُقله وأفكاره حتى تصبح الإضافات أكثر من الكتاب نفسه، وقد قال له أستاذه مرة ما معناه: لولا أنك تثبت لي عن طريق تلخيصك الكتب التي تشير إليها ما صدّقتك في أنك اطلعت على بعضها، وهذا القول يفيد كثرة قراءته واطلاعه وتعدد الكتب التي كان يرجع إليها.

ومن الكتب التي قرأها على هذا الشيخ أيضاً شرح (الألفية) لابن المصنف، وشرح (التوضيح) للشيخ خالد وكتاب (المطوّل) بحواشيه، وشرح (ألفية العراقي) للمصنّف و(للسخاوي) وكتاب (شرح جمع الجوامع بحاشيته لابن أبي شريف) وغيره.

وشيوخ الشعراني كثيرون جداً قدرهم هو بنحو خمسين شيخاً مرّة

وقدرهم مرّة بنحو مائة من أجلاء العلماء الذين كانوا يعجبون به ويدهشون لقوة عارضته وسرعة حافظته وشدّة فهمه ، وقد قرأ مرة على الشيخ (جلال الدين المحلي) شرح (جمع الجوامع) بحاشيته من ذهنه فأثار بذلك عجبه .

ويروي بعض المؤرخين أنه تتلمذ على (جلال السيوطي) وعلى الشيخ (زكريّا الأنصاري) ولكن تلمذته (على السيوطي) كانت تلمذة إجلال ونسب لأن السيوطي رحمه الله توفي في التاسع من جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وتسعمائة ، وهي السنة التي قدم الشعراني في مستهلها إلى القاهرة ، فلم يدم لقاؤهما أكثر من أشهر معدودة ، وقد يكون الشعراني قد تلقى على يدي أستاذه في هذه المدّة القصيرة بعض الدروس تبرّكاً به كما أشار هو إلى ذلك لقوله: لَمَّا جِئْتُ إِلَى مِصْرَ قَبِيلَ مَوْتِهِ اجْتَمَعْتُ بِهِ مَرَّةً وَاحِدَةً ، قَرَأْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ أَحَادِيثِ مِنَ الْكِتَابِ ؛ وَالسَّنَةِ ، وَشَيْئاً مِنَ الْمَنَاهِجِ فِي الْفِقْهِ تَبَرُّكاً بِهِ ، ثُمَّ بَعْدَ شَهْرٍ سَمِعْتُ نَاعِيَهُ فَحَضَرْتُ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ .

وأما شيخ الإسلام (زكريّا الأنصاري) فقد تتلمذ الشعراني عليه فترة طويلة وكان بينهما ودّ متصل ، تحدّث عنه الشعراني كثيراً ، وقرأ له كتبه وراجع شرحها عليه ، كما قرأ عليه شرحه لرسالة (القشيري) ، وشرح مختصره (لجمع الجوامع) وشرح (التحجير) وشرح (القطعة) التي وضعها (مختصر المزني) وكان يطالع عليه شرح (البخاري) للحافظ ابن حجر وشرحه (للعينية) وشرحه (للرمانة) وشرحه (للبرماوة) وشرحه (للقسطلاني) ، وقرأ عليه (الكشاف) مع حواشيه وقرأ عليه شرحه

(للروض) فكان يطالع عليه جميع المواد التي استملى منها شرحه ونبهه على نحو أربعة عشر موضعاً ذكر أنها من أبحاث (الزركشي) والحال أنها من كلام الأصحاب فأصلحها، وقرأ عليه (القواعد الكبرى) للشيخ (عزّ الدين) وغير ذلك.

ومن الشيوخ الذين أحبهم الشعراني وتلمذ عليهم من الصوفية السابقين من أمثال سلطان العاشقين (ابن الفارض)^(١) وسلطان العارفين (ابن عربي)^(٢) و(الحلاج)^(٣) و(ذي النون)^(٤) وشيخ العرب (أحمد البدوي)^(٥) وشقيقه (عبد القادر)^(١) و(أمين الدين) إمام جامع

(1) عمر بن الفارض أبو الحسن علي ابن المرشد بن علي شرف الدين الحموي الأصل المصري المولد والدار والوفاة، العارف المحب المنعوت بالشرف، صاحب الديوان المعروف بالفائق والشعر الرائع، ولد في ذي الحجة سنة ستة وسبعين وخمسائة، ومات في جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ودفن في المقطم، (انظر ترجمته في طبقات الأولياء لابن الملقن ص 464 تحقيق نور الدين شريبه، الناشر مكتبة الخانجي القاهرة).

(2) ابن عربي ستأتي ترجمته مفصلة في القسم الثاني.

(3) هو أبو المغيث الحسين ابن منصور بن محمي البيضاوي المولود سنة 244 هجرية والمتوفى في سنة 309 هجرية ومن مؤلفاته (الطواسين) وله ديوان مطبوع في باريس وهذه الأبيات التي عزاها الشعراني للحلاج، لم أعر عليها في ديوانه وذلك بعد قراءة الديوان قصيدة قصيدة.

(4) ذو النون بن إبراهيم المصري أبو الفيض حلية الأولياء ج 331/9 - 398، وفيه الأعيان ج 1/126، شذرات الذهب ج 2/107.

(5) أحمد البدوي: هو المعروف بالسطوحي أصله من بني بري قبيلة من عرب الشام، تسلّك بالشيخ بري أحد تلاميذ الشيخ أبي نعيم أحد مشايخ العراق وأحد أصحاب

الغمري و(الشيخ علي الشونى)^(٢) وفي مسيرته الصوفية نهل من الشيخ (أحمد بهلول)^(٣) و(الخوَّاص)^(٤) وتلقى على يده أصول الحكمة والهداية .

رابعاً: تلاميذه:

أقام الشعراني طرفاً من حياته بجامع الغمري حيث كان مكاناً أهلاً بالعلماء والمتعبدين ، وأقام طرفاً آخر بزاوية أو مدرسة (أم خوند) فقد أطلق عليها (علي مبارك) لقب زاوية ، حتى أسس الشعراني زاويته المشهورة ، أقيمت زاوية الشعراني إذاً لتكون رباطاً للعباد ، ومدرسة لطلب العلم وزاوية للمجتهدين وتكية للفقراء ومسجد للصلاة ، ومن تلك الزاوية التي حملت للعالم أذكى الحضارات وأظهر الدراسات ، شعت أنوار المعرفة التي صاغت العقول الإسلامية وأضاءت لها الحياة أكثر من عشرة قرون ، ومكنت القوة الإسلامية في الأرض حتى كانت وحدها صاحبة القول الفصل في شؤون كوكب الأرض ، وزاوية الشعراني كانت في القرن العاشر الهجري منافساً خطيراً للأزهر بل لقد

سيدي أحمد الرفاعي ، ولد في فاس إحدى مدن مراكش سنة ستة وسبعين وخمسائة وطاف البلاد وعظم شأنه فانتسب إلى طريقته جمهور كبير من بينهم الملك الظاهر ، توفي سنة خمس وسبعين وستمائة ، ودفن بطنطا إحدى مدن مصر .

- (1) لم أجد ترجمته بعد البحث .
- (2) لم أجد ترجمته بعد البحث .
- (3) أحمد البهلول ، متوفى سنة 928 هجرية .
- (4) ستأتي ترجمته في القسم الثاني .

كانت الناحية التعبديّة فيها أكبر مما يطيق الأزهر، وكانت سبل العيش لطلابها أيسر وأهنأ، وزاوية الشعراني جزء لا يتجزأ من تاريخه بل إن تاريخه ليفقد جانباً مضيئاً ساحراً لو أهملنا الحديث عنها، والحديث عن زاوية الشعراني يتفرق ويتشعب لمن يريد أن يحيط بألوانها وصورها، بل هو حديث في حاجة إلى كتاب خاص، ودراسة مستقلة، فلقد نهضت تلك الزاوية بما يساوي جهد وزارتين من الوزارات التي نعرفها، أعني وزارتي الشؤون الإسلاميّة والمعارف.

وزاوية الشعراني بناها له (القاضي محيي الدين) وفاءً بعهد له أنه عاهد القاضي ببناء مسجد أو زاوية للعبادة إذ يعفو عنه (السلطان سليمان) بعد أن أمر بتجريده عن ممتلكاته وإهدار دمه وتكرر ذلك مرتين وفي كل مرة توسّط له الشعراني عند (السلطان سليمان) وعفا (السلطان سليمان) عن (القاضي محيي الدين) فوفّى القاضي بعهد للشعراني وبني الزاوية.

ووقف عليه منشؤها كل ما يقوم بشؤون ذلك من نفقة وإدارة وموظفين وإصلاح وأثاث وغير ذلك.

ولم يلبث الأغنياء أن سمعوا بأمر هذه الزاوية فتسابقوا في سبيل الإيقاف عليها والإهداء لها.

وازداد تسابقهم لما علموا من مكانة الشعراني ومنزلته وصلاحه وتقواه، كما تسامع الطلاب بأمرها فأقبلوا على الالتحاق بها من كل صوب، حتى ضمت بين جدرانها الكثيرين منهم بين مقيم وراحل، فقد ذكر الشعراني أن الذين استقر بهم المقام فيها من الطلاب مئتان بينهم

تسعة وعشرون كفيفاً، عدا الراحلين منهم، وكانت الزاوية تقوم بأود هؤلاء جميعاً من غذاء وكساء ونفقة. وألحق (الشعراني) بالزاوية مساكن للمتزوجين يقيمون بها مع زوجاتهم الذين أقعدهم الزمن عن الكسب، ويراقب أمورهم بنفسه، ويضبط أمور حياتهم دون تقصير فكان يوفر لهم الخبز الذي كان يعدّ للطعام يومياً يقدر بإردبٍ وثلاث.

ويقوم على تهيئة عشرين فرداً، وكان يخزن للمجاورين كل عام عشرة قناطير من عسل النحل، وعشرين قنطاراً من عسل القصب، وثلاثمائة إردبٍ من القمح، وأربعين إردباً من الفول، وسبعة أراذب كشك، وسبعة أراذب أرز، وخمسة وعشرين إردباً من البقول والحبوب كالبازلاء والعدس وغيرها، وكان يخصص للأعياد خمسة أراذب قمح للكعك وكان يحمل إليه من الهدايا ما يعدل ثلاثة أراذب وكان ينفق على المجاورين من سعة ولا يقتّر عليهم، فكان يشتري لهم الجوز واللوز والبنّاق والخروب والتمر والزبيب والتين الجاف، ويبلغ قيمة ذلك خمسة قناطير، وكان يزرع لهم البطيخ في جزيرة قرب (ساقية أبي شعرة) وكان يدّخر في خزائن الزاوية ما يقدر بألفي بطيخة يظل الفقراء يأكلون منها على مدار العام حتى يوشك ظهور البطيخ الجديد، وكان الشعراني يكفل لطلاب زاويته ما لا يكفل لنفسه أو أسرته، ويقدم لهم من طبيّات الطعام ما لا يقدمه لنفسه، ففي الوقت الذي كان يوزّع عليهم الحلوى ويكلف ميزانية الزاوية الكثير من جلب أنواع الفاكهة و(الياميش)، كان يقنع باليسير الزهيد الذي لا يسمن ولا يغني من جوع.

وكان طلاب زاويته ينعمون بما لا ينعم به غيرهم من رواد الزوايا الأخرى المنتشرة في ربوع القاهرة والمدن والقرى، وهذه هي سياسة الشعراني في اجتذاب مريديه فكثير من الناس تألفهم النعمة، فإذا تمكّن من نفوسهم بالإحسان صقلها بالرعاية، والشدة عليها بتكليفها أنواعاً شاقة من الرياضات المختلفة حتى تتخلص من عاداتها وشوائبها، وكان له ألوان مختلفة في سياسة طلابه، فما يصلحه الزجر يزجره، وما يصلحه النصح ينصحه، وما يجدي فيه الود اجتذبه وما ينفع في إصلاحه الهجر هجره، وهكذا كان يعطي كل ذي حق حقه، ويعالج النفوس بالحكمة، ويخاطب أصحابه على قدر عقولهم وتلك ميزة الكاملين من الحكماء.

وكان يقوم بالرعاية الاجتماعية للمجاورين، فكان يزوّج منهم من يريد الزواج ذكوراً وإناثاً، ويؤدي عنهم المهر، ويشترى لهم الأثاث وكل ما يلزم لهم حتى ما خفي ودق.

وقد زوّج أربعين مجاوراً وحرص على تزويد المتزوجات باللبان الشامي والحجازي والشمع والخضاب والزينة والخيط وغير ذلك مما تحتاج إليه العروس، وقام بنفقة كثير من الراغبين في الحج من مجاوري الزاوية وكان يزوّدهم في ذهابهم وإيابهم بكل ما يحتاجون إليه من نفقة وزاد. وكان يحمل معه في أثناء حجّه ثلاثين حاجّاً، وقد حجّ هو أربع مرات، مرة منهم بصحبة أخيه (عبد القادر) وكان في بدء بلوغه، وكان يكرم كل من يفد إلى الزاوية من ضيوف يقدر عددهم

يومياً بحوالي سبعين ضيفاً، ويمدّ المعوزين من غير ذلك من المجاورين بكل ما يحتاجون إليه من طعام وكساء ونفقة، وبالإضافة إلى رعاية الشعراني الاجتماعية لطلاب زاويته، فقد كان الشعراني يرعاهم رعاية روحية، فهي أجلّ من أن تحصى، فقد شملهم عطفه الروحيّ وكانوا محلّ نظره دائماً، قام بتهذيبهم وتربيتهم تربية كاملة، وأشرف على حفظهم من كل ما يكدر صفو نفوسهم ويقف في طريق وصولهم. وحفظ أجسامهم من الحرام والشبه، فكان لا يقبل هدايا الظلمة ولا الغاشمين من الحكّام ويتورّع عنها، وكان لا يأكل هو ولا طلاب زاويته من (الضحايا) التي تأتي إلى الزاوية من الكشاف^(١) الظلمة، وإن ضحّاها وذبحها جعلها عن أصحابها لا عن الفقراء، لأن مشروعيّتها لإمّاطة الأذى عن صاحبها وهو خاص بالحلال الطيّب^(٢) وقد استأذنه الأمير (جانم الحمزاوي) في أن يقدم إليه كل صباح مبلغاً من المال، فرفض^(٣). وكان يُعلّم تلاميذه في الزاوية في أن يكونوا على مثال كامل في الزهد والقناعة والورع والتعفف، وكان هو قدوة لهم في ذلك والقدوة تؤتي ثمارها كاملة في النفوس وتعمل عملها في الأرواح. أرسل مرة (خسرو باشا) مالاً عظيماً فلم يقيم أحد من فقراء الزاوية لقاصده حين طلبهم ليفرق عليهم المال، فتعجّب منهم

(1) وهي وظيفة كانت في العهد العثماني.

(2) المناقب الكبرى ص 96.

(3) الإمام الشعراني لتوفيق الطويل ص 68.

غاية العجب، وقال: لقد ازدحم علي المجاورون في جميع الزوايا وما أكثرها في ذلك الوقت حتى رموني على الأرض إلا أهل هذه الزاوية، فالتقطه أطفال المكتب، ولم يأخذ المجاورون منه شيئاً فتعجب القاصد من ذلك.

ثم حكى للبasha ما رآه فتعجب أيضاً، واعتقد بالشعراني وقدمه، وبعد أن أورد صاحب (المناقب الكبرى) هذه القصة وغيرها بما يناسبها قال: وما من أحد من نواب مصر إلا وقد أرسل إلى الشعراني المال الكثير، فتارة يرده الشيخ ويقول لمرسله: فرّقه على من هم أحوج إليه، وتارة يبذره.

وجاء مرة (الدفتردار أحمد) بمائة دينار، فقال للشعراني: خذ هذه الدراهم فتوسّع فيها فردّها عليه، وقال: عندي بحمد الله صندوق ملآن، فخرج وأرسلها مع مملوك وقال: أعطها له سرّاً بحيث لا يراك أحد، لظنّه أنه ردها رياء، فلما دخل عليه المملوك قال له على الفور: يا ولدي لم آخذها من سيدك فهل آخذها منك، فرجع وأخبر سيّده فقال (الدفتردار أحمد): هذا رجل غريب في فقراء مصر وأخذ يمدحه في كل مجلس.

وبهذه القدوة وبتلك السياسة تمكّن (الشعراني) من الهيمنة على نفوس مرّيديه وتلاميذه والتأثير فيهم وتربيتهم على القناعة والعفة التي ترفع من همّتهم وتلبسهم لباس العزة والكرامة بين أقرانهم. وكان يأخذ مرّيديه بألوان مختلفة من العبادة تناسب أحوالهم

ويفرض عليهم القيام بكثير من أنواع المجاهدة من صيام وصلاة، وأوراد، وأحزاب وتلاوة وكان مجلس الذكر العام يجمع بينهم جميعاً في الأوقات التي حددها لذلك .

وقد رتب مجلس الصلاة على النبي ﷺ ولم يتعطل ليلة واحدة، كما رتب مجلساً بعد صلاة الصبح بالإشارة من الخضر عليه السلام حين قال له: لا بأس من أن تجلس بجماعة بعد صلاة الصبح تصلون على النبي ﷺ، ثم تذكرون حتى ترتفع الشمس قدر رمح، أما مجلس الصبح فقد رتبته بإشارة من شيخه (علي الشوني).

وكانت هذه مجالس لا يتركها مريدوه كلهم، ويقومون بجانبها بما يفرض عليه كلاً على حده، وكان هو قدوتهم في ذلك، لا ينام من الليل عدا أقله، ولا ينام الثلث الأخير من الليل على الإطلاق وكانت تلاوة القرآن في الزاوية لا تنقطع ليلاً أو نهاراً، ولا يفرغ قارئ حتى يكون قد بدأ آخر، وكان (الشعراني) يستمع إلى هذه التلاوة وهو جالس في بيته قرير العين بذلك، ويحضر المريدون مجالس الذكر والعبادة ومجلس التصوّف التي يعقدها لهم شيخهم وغيره من الشيوخ، ويعمل حديثهم في نفوسهم عمل السحر، فتصوّفوا وترقّوا وتهذبوا، وهكذا يجد المجاورون زادهم الروحي الكامل في ظلال هذه الزاوية المباركة، فقد كانت الزاوية مدرسة حافلة بشتى المعارف والفنون .

ومن نعم الله على الشعراني أن طلاب زاويته لم يحتاجوا إلى غيره في مختلف علومهم، فقد أعطاه الله من علوم الشريعة واللغة ما يكفي أصحابه، ولا يحوجهم إلى الخروج ليقرؤوا القرآن على غيره،

أو ليتفقهوا في مختلف المذاهب ، بل كان متمكناً فيما يطلبه تلاميذه من تفسير وبيان وفرائض وغيرها ، كل علم يطلبونه يجدونه عنده . وقد وضع كتاباً في الطب لهذه الغاية عنوانه (مختصر تذكرة السويدي في الطب) .

ومن تلاميذ الشعراني: الأمير حسن بن صنjqق ولم أقف على ذكر مفصل لتلامذة الإمام الشعراني في المصادر التي وقفت عليها ، ويبدو لي أن ذلك يعود إلى اشتهاره بالتصوّف أكثر من اشتهاره بالعلوم الأخرى ، وتلاميذه في التصوّف كثيرون جداً .

خامساً: أقوال العلماء فيه سلّباً وإيجاباً:

أولاً: أقوال العلماء في الشعراني إيجاباً:

العلم هو طريق التحصيل ، وقد جدّ الشعراني في طريقه ذلك واجتهد ، ووصل إلى مكانة علمية مرموقة ، شهد له بها القاصي والداني ، ونطقت بها آثاره الخالدة التي تركها تتحدى الزمن وتتعلم منها الأجيال .

وقد كانت شهادة العلماء له بالتفوّق وهو مازال تلميذاً ، فكيف وقد أصبح عالماً له قدم راسخة في ميادين العلم والاجتهاد على اختلاف المعارف والفنون؟ يقول في لطائف المنن: «وكان ذهني بحمد الله سيّالاً لا يسمع شيئاً وينساه ، ولم أزل كذلك حتى ترادفت عليّ الهموم لما بلغت في السن إلى نحو خمس وعشرين سنة» ، وذلك نحو ثلاث وعشرين من القرن العاشر وقال لي مرّات يقصد شيخه شهاب الدين الرملي الذي كان يقرأ عليه «بدايتك نهاية غيرك ، فأنا ما رأيت أحداً تيسّر له مطالعة هذه الكتب كلها في هذا الزمان» .

لقد ظفر بإجازة (الجلال السيوطي) وهو ما زال في العاشرة من عمره، ولا يطعن ذلك في (الجلال السيوطي) الذي لم يكن قد رأى الشعراني حين كتب له مجيزاً الرواية عنه، فالفراسة الصادقة لها القدرة على التنبؤ والكشف، وقد ورد في الأثر: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله»، ومكانة السيوطي رحمه الله في علمه وصلاحه وورعه وإيمانه لا يستكثر عليه القدرة على التفّرس، فتفرّس في الشعراني وهو سليل تلك الدوحة التي ذاع صيتها في عالم المعرفة والتقوى، فوجد فيه الأهلية الكاملة فيما بعد على حمل الشعلة المقدسة شعلة العلم والمعرفة، وصدقت فراسة السيوطي والله الحمد.

كما ظفر بإجازة شيخه (أمين الدين) إمام جامع الغمري، الذي صاحبه حيناً من الدهر فأحسن صحبته، وتلقّى عنه علوماً جمّة ومعارفاً واسعةً وقد أدرك الغمري فيه نباهةً وعلوّ قدرٍ وسموّ مكانةٍ فأجازه بجميع مروياته وعلومه وتآليفه، وكان العارفون من العلماء يدركون ما وصل إليه الشعراني من علم ومعرفة ويجلّونه لذلك، من أمثال شيخ الإسلام (زكريّا الأنصاري) الذي عرف له فضله، واتصلت معه مودته حتى مات رحمه الله وهو راضٍ عنه تماماً، ومن أمثال الشيخ (ناصر الدين اللقاني) المالكي، الذي كان إذا ما قصده الشعراني زائراً يقوم له من فوق (مرتبته) ويجلسه عليها بجامع الأزهر، وكان يجلس بين يديه كجلسة المتعلم وكان الشعراني يضيق بذلك ضيقاً شديداً.

ويحاول عبثاً أن يشني الشيخ عن فعله، ولكنه كان يصرّ على ذلك اعترافاً منه بقدر زائره ومكانته، وكان كثير منهم يقصده تعظيماً له

وتقديرًا من أمثال الشيخ (شهاب الدين أحمد الشلبي الحنفي) وأخيه الشيخ (سراج الدين)، ويتحدّث الشعراني بصدد ذلك معترفًا بأن مجيئهم إليه راجلين يصيبه بكثير من الخجل منهم لما عرفه من مكانتهم وارتفاع قدرهم، وكان يذوب حياءً بسبب تكلفهم المجيء له بهذه الكيفية، وقد استطارت شهرة الشعراني العلميّة حتى أثارَت الإعجاب والحسد، فالتفّ حوله التلاميذ، وناصبه بعض العلماء العداة حين رأوا منه ذلك المجد العلمي والتقدم والبراعة، وحين رأوا تلك التآليف العديدة التي طبقت شهرتها الآفاق وتلقفتها الأيدي في العالمين العربي والإسلامي، والتهمتها العيون والأذهان، ووعتها القلوب والأفهام، فنفسوا عليه هذه المكانة وكادوا له، ولكنه خرج من هذه الفتنة مرفوع الرأس ناصع الجبين، وباء حسّاده بالحزن والعار، يقول عنه (نجم الدين الغزّي): طالع الكتب مطالعة كثيرة وكان رحمه الله تعالى من آيات الله تعالى في العلم والتصوّف والتأليف، وكتبه كلّها نافعة وقد دلّت كتبه التي تقدّر بحوالي (308) كتاب على أنه اجتمع بكثير من العلماء والأولياء والصالحين⁽¹⁾.

وتقول دائرة المعارف الإسلامية: كانت للشعراني مكانة علمية مرموقة وله إلى جانب ذلك أثر بالغ في العالم الإسلامي بفضل ما أوتي من غزارة عجيبة في مادته، فقد كان قلمه يسيل بأسلوب سهل المأخذ قريب للأفهام مما أدى إلى إقبال الناس على تأليفه، وقد راجت

(1) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ج3 ص 176 بتصرف في العبارة.

بالفعل كتبه في حياته ولا تزال موضع التقدير العظيم كما يتبين من تعدد طبعاتها.

واعتدّ الدكتور زكي مبارك بكتب الشعراني واعتبرها وثيقة تصوّر المجتمع الإسلامي في القرن العاشر فهي على هذا الأساس مصدر علمي هام، وعند حديثه عن بعض الآداب الصوفيّة يقول: اعتدنا بكتبه لأن الشعراني في نظرنا من كبار الباحثين في الآداب العلمية ولأن آراءه لا تزال تسيطر على الجماهير من أهل هذه البلاد⁽¹⁾.

والشعراني ليس في حاجة إلى تزكية فآثاره تنطق بعلمه وفضله، وتلك الآثار التي تقدّر في بعض الأحيان بثلاثمائة مؤلّف بعضها لم يسبق إليه، وقد أجبرت هذه المؤلفات الكثير من المعارضين على أن يحنو رؤوسهم إجلالاً لهذه الشخصية الفدّة، واستنطقت المستشرقين بشهادات رائعة من بينها تلك العبارات التي نقتطفها من كتاب (التصوّف الإسلامي والإمام الشعراني) يقول المستشرق (فولرز): (إن الشعراني كان من الناحية العلمية والنظريّة صوفيّاً من الطراز الأول، وكان في الوقت نفسه كاتباً بارزاً أصيلاً في ميدان الفقه وأصوله، وكان مصلحاً يكاد الإسلام لا يعرف له نظيراً، وإن كتبه التي تجاوزت السبعين عدّ من بينها أربعة وعشرين كتاباً تعتبر ابتكاراً محضاً أصيلاً لم يسبق إليه أبداً ولم يعالج فكرتها أحد قبله). ويقول (ماكدونالد): «إن الشعراني كان رجلاً ذرّاكاً نفاذاً مخلصاً واسع العقل وكان عقله من العقول النادرة

(1) التصوف الإسلامي في الأدب الأخلاق ج 1 ص 50.

في الفقه بعد القرون الثلاثة الأولى من الإسلام». ويقول (نيكسون): «إنه أعظم صوفي عرفه العالم الإسلامي كله»، وأنه منذ فتح المغول العالم الإسلامي ركزت الحركة الفكرية في الإسلام، واقتصرت علماؤها على الجمع والتقليد، فلا نجد بوادر انطلاق أو نتاج خصب أو أي أثر لتفكير أصيل وضيء باستثناء عدد من الحسدة وأهل الغيرة. فنالوا منه واتهموه بالمروق من الدين والخروج على رأي الجماعة وهو بريء من كل ذلك واعتبره بعض الفقهاء مارقاً عن الدين.

والإمام الشعراني حارب المجاذيب والبهايل والدرأويش وكانوا في هذا العصر هم أصحاب الجاه والسطوة والنفوذ. وحارب الفقهاء المتزمتين والعلماء الجامدين الذين عكفوا على آراء وكتب اهتمت بالافتراض وأولعت بالجدل والحوار وأغرمت بكل غريب وشاذ كما حارب الجهل والجمود في الفقه، لذلك شنت عليه الحرب التي لا هوادة فيها من كل الطبقات التي مر ذكرها. فالإمام الشعراني نزل في الميدان مهاجماً ومدافعاً ومرشداً وهادياً من أجل تنقية الإسلام وبعده من الدروشة والخزعبلات وعودته إلى ينابيعه الأولى، يهدي إلى الحق ويرشد إلى الصواب ويخرج الناس من الطين إلى إشراق السماء، لقد نزل الشعراني إلى ميدان الحياة منادياً إلى اتباع الكتاب والسنة قولاً وعملاً، منهجاً وسلوكاً، وجاهر ببطان كل ما يخالف ذلك لهذا تحركت الطوائف المخالفة لمنازلته ومناهضته، ونفس عليه بعض معاصريه.

لقد ذاق إمامنا الشعراني من هؤلاء الأعداء في حياته الشيء الكثير يقول عن نفسه: قد ابتليت أنا كثيراً بهذا الباب مع حسادي، فكل قليل يخفون عني مسائل لم أقل بها قط، ثم يكتبون بها سؤالاً ويستفتون عنها العلماء فيفتونهم بحسب السؤال، ثم يدورون بخطوط العلماء على الناس، فيحصل لي من ذلك أجور لا تحصى من كثرة الوقوع في عرضي بغير حق، فلو أنني كنت مؤاخذاً أحداً من هذه الأمة لما رضيت يوم القيامة بأعمال الواحد منهم طول عمره من غيبة واحد، وما أحد من المستفتين عليه اجتمع بي طول عمره ولا بلغه عني بينة عادلة، ولو أنهم كانوا يقصدون الخير لاجتمعوا بي وأخذوا مني الجواب، فإما أن أتبرأ من ذلك الكلام فلا يجوز نسبته إليّ بعد ذلك، وإما أن أردد تحريفهم ليتبين مرادي على الوجه الشرعي لكن العدو ما قصده إلا الأذى ويخاف أن أجيب عن نفسي فلا يروج له أمر مما افتراه عليّ فالله يغفر له.

يقول ابن خلدون عن الإمام الشعراني: وكان الشعراني بالذات مفكراً مبدعاً أصيلاً أثر تأثيراً واسع المدى في العالم الإسلامي يشهد به إلى يومنا إلحاح القراء إلحاحاً متواصلاً على طلب مؤلفاته.

ويقول عنه الدكتور توفيق الطويل: «كان الشعراني واسع الإلمام بعلوم عصره محيطاً لما وقع له من كتب البارزين من أهلها قدامى ومعاصرين». وأورد عنه هذه القصة التي تدل على سعة علمه وثقافته: كتب أحد الحساد سؤالاً يتصل بفقرات وردت في كتاب (العهود والمواثيق) وقدمه إلى شيخ الإسلام (الفتوحى الحنبلي)، فامتنع عن

التعليق عليه بحجة أن الشعراني قد قرأ من الكتب ما لا نعرف له اسماً وأنه لو ادعى تأليفها ما وجد في مصر منازعاً.

وقائمة الكتب التي ألفها الشعراني طويلة جداً ذكر كتاب المناقب الكبرى منها عدداً وآخر يزيد على مائة كتاب وأوضح أن بعضها يقع في ستة مجلدات وبعضها في خمسة مجلدات وأغلبها في مجلدين.

وأورد بعضهم أنه ألف ما يقرب من ثلاثمائة مجلد، وفي الخطط التوقيفية أن الشعراني ألف سبعين كتاباً، والمترجمون للشعراني يذكرون أن (بروكلمان) في كتابه تاريخ أدب اللغة العربية أحصى له ستين مؤلفاً، تضمّنت من فيض المعلومات ما يشهد بقوة ذاكرته وقدرته على استيعاب ما يقرأ وما يسمع.

ولا ينبغي أن نستكثر أو ننكر هذا النتاج الضخم على الشعراني مادام يوجد ما يدل عليه من مخطوطات، فقد عرفنا محنة مصر في أيام الفتح العثماني وأن هؤلاء الفاتحين قد نقلوا إلى بلادهم ما أمكنهم أن ينقلوه من نفائس ومن بينها الكتب والمخطوطات، فلا يستبعد أن تكون كتب الشعراني التي أشارت إليها بعض المصادر قد أصابها ما أصاب غيرها من تغريب وتشريد، على أن هناك مخطوطات كثيرة للشعراني لا تزال تنتظر عناية الغيورين على التراث الإسلامي فتتقدها من عوادي الإهمال، وتعيدها قريبة من الأيدي والعقول في صور قشبية من النشر والتحقيق.

والشعراني يعدّ من نعم الله عليه أن جميع أشياخه في الفقه

والتصوف وغيرهما من العلوم ماتوا وهم عنه راضون، وذلك من أكبر النعم، فإن رضا الأسيخ عن طلابهم عنوان رضاء الله عز وجل عنهم.

ثانياً: أقوال العلماء فيه سلباً:

لقد استظلّ الشعراي بظل الأزهر منذ أول يوم وطئت فيه قدماه أرض القاهرة، وبين جدرانه تلقى ألواناً مختلفة من العلوم والمعارف، وعلى أيدي علمائه الأجلّاء أيضاً، وفيه أصاب فيضاً من العلم، ودرس أصول المواد العلمية وفروعها، وتعلّم فنون الحكمة، وأقام بالجامع الأزهر ملازماً لشيخه (نور الدين الشوني) نحو خمس سنين، ثم غادر الأزهر بمشورة شيخه إلى الجامع الغمري عام 919هـ، ولبث به سبعة عشر عاماً، تحوّل بعدها إلى مدرسة (أم خوند)، بخط كافور الإخشيدي، وفيه استطارت شهرته وثار خصومه وحساده، وإليها يرجع الفضل في نبوغه في كل العلوم الشرعية واللّسانية والعقلية التي حصلها وأجادها وبرع وألّف فيها، وأصبح من النابغين والنابهين ومفكراً وقبلة العلماء والرؤساء، وهذا ما أصاب الشعراي من بعض العلماء نار الحقد والحسد، فأخذوا يضعون في طريقه الأشواك، ويثيرون حوله الغبار، ويفترون ضده الأقاويل، وينثرون حوله الشبهات ويدسون عليه بالحق وبالباطل.

واعتبره بعض الفقهاء مارقاً عن الدين لسبب في رأيهم وأنه كان يؤثر علم الباطن على علم الظاهر، وأدّاه ذلك في نظرهم إلى الحط

من شأن العلوم الدينية التي تجيء اكتساباً^(١) مع أن الإمام الشعراني ما كان يؤثر علم الباطن على الظاهر، ولم يحط من شأن العلوم الدينية كما زعموا، ولكنه كان يرى ويعتمد ما يراه ويعتقده شيخه الخواص من أن الحقيقة والشريعة كفتا الميزان، والإنسان قلبها، وكان دائماً يقول: الشريعة والحقيقة وجهان لشيء واحد وهو الشرع الحنيف.

والسبب الرئيس ليس هذا وإنما هو الغيرة والحسد من منزلة الشعراني، لأنه أصبح مقصد الناس ومعقد أملهم، وتواضع له الحكام والزعماء، وأصبح يمثل القيادة الشعبية الحقيقية التي كانت للأزهريين، وقد زيف الحاقدون من الفقهاء على لسان الشعراني وقلمه كلاماً ونسبوه إليه وشنعوا بسببه عليه، فقد زيفوا في مقدمة كتابه (كشف الغمة) ودسّوا في ثنايا كتاب (البحر المورود) كلاماً يخالف الشرع واستصدروا بذلك حكماً جائراً ضد الشعراني، واستفحلت الفتنة بعد أن أحكم الخصوم الخطة وأتقنوا تزويرهم، وروجوا هذه المقالات الزائفة في مختلف الأقطار، ولبث هذا التزييف قائماً فترة طويلة، وقد تزعم إشعال هذه الفتنة في الأزهر (الشيخ حسين العبادي)^(٢) الذي وقف كل همه على تبني قضيتها وأثار الخواطر والأذهان ضد الشعراني، ويقص الشعراني طرفاً من هذه الخصومة بأسلوبه قائلاً: «دسّوا عليّ في كتابي (البحر المورود) جملة من العقائد الزائفة، وأشاعوا تلك العقائد في

(1) الشعراني لتوفيق الطويل (47-50) بتصرف.

(2) البحر المورود المقدمة.

مصر ومكة نحو ثلاث سنين وأنا بريء منها، وكان العلماء كتبوا على النسخة التي عندي خطوطهم عليها وأجازوها، فما سكنت الفتنة حتى أرسلت إليهم النسخة التي عليها خطوطهم» وكان ممن انتدب لنصرتي الشيخ الإمام ناصر الدين اللقاني المالكي رضي الله تعالى عنه ثم إن بعض الحسدة أشاع في مصر ومكة أن علماء مصر رجعوا عن كتاباتهم على مؤلفات فلان كلها، فشك بعض الناس في ذلك فأرسلت النسخة للعلماء ثالث مرة فكتبوا تحت خطوطهم: «كذب والله من ينسب إلينا أننا رجعنا عن كتابتنا على هذا الكتاب وغيره من مؤلفات فلان»⁽¹⁾.

وظلّ (الشعراني) يكافح خصومه الذين تصدّوا له في كل ميدان وحاولوا أن يحطّوا من شأنه عند مناصريه، يحكي صاحب (المناقب الكبرى) عن ذلك قائلاً: «إن بعض الناس سعوا عند (ناصر اللقاني) بالباطل زاعمين له أن الشعراني يجمع بين النساء والرجال في مكان واحد، فتغيّر خاطر (ناصر الدين اللقاني) لذلك، ولكن الشعراني تمكن من أن يزيل ما في نفس الشيخ حين أطلعه على حقيقة حاله، وأنه بريء مما نسب إليه عن طريق كرامة من كرامته وفحواها: أنه أرسل إليه يستعير منه (مدونة الإمام مالك رضي الله عنه) فأرسل إليه قائلاً: عساه يتوب مما هو فيه، وكانت المدونة متعددة الأجزاء لا تحمل بسهولة، ولا يكفي قراءتها أشهراً معدودات، وحين حملها أحد أتباع (اللقاني) المقربين، أبقاه الشعراني عنده، وتمكن هذا التابع أن يطلع على حاله

(1) اليواقيت والجواهر ص 7.

حيث وجده صارفاً وقته في العبادة والتهجد، ولم يرَ عنده ما بلغ اللقاني عنه من أنه يجمع بين الرجال والنساء في مجلس الذكر ولا في غير مجلس الذكر.

بل وجد لكل طائفة حجراً مستقلة منعزلة، ولم يغب الشعراني عن نظر التابع غير فترة يسيرة قبل الفجر ثم صلى معه الصبح ومجلس الذكر حتى طلوع الشمس كالمعتاد ثم ناوله (المدونة) قائلاً له: بلغ الشيخ تحياتي وشكري.

وحينما عاد التابع إلى (اللقاني) بالمدونة ازداد استهزاءه بالشعراني، فقد ظنه يعيبه به، فإنه لا يعقل أن يكون قد وجد ضالته في (المدونة) في هذا الوقت القصير، ولكن (اللقاني) حين تصفحها وجد على كل صفحة منها تعليقاً بخط الشعراني وشرحاً في بعض المواضع مما يقطع بأنه قرأ (المدونة) كلها في ذلك الوقت اليسير الذي غاب فيه عن نظر التابع قبيل الفجر بقليل.

وأدرك اللقاني من فوره أن الله قد مدّ للشعراني في وقته وبارك له فيه، وذلك لا يحدث إلا لمن كانت العناية تلحظه وقام من فوره واعتذر إليه عن ذلك التغير الذي حدث في خاطره من جهته، وظلّ (اللقاني) يكرم الشعراني جداً، ويحدث عن ذلك قائلاً: «كُنْتُ إِذَا وَرَدْتُ عَلَى الشَّيْخِ (ناصر الدين اللقاني) يقوم لي من على مرتبته ويجلسني عليها بالجامع الأزهر ويجلس بين يدي كجلسة المتعلم، فأصير في خجل منه وحياء ولا يمكنني من فعل شيء غير هذا حتى أنصرف.

وكان الشعراني يدرك حسد الحساد فيعمد إلى استكتاب الأجلّاء

من العلماء على مؤلفاته كتقرير منهم بأن كتابته خالية من كل أمر خارج عن الشرع الشريف .

ولكن مكر هؤلاء الحساد كان يزيدهم سعيًا له بالباطل قائلين: إن الشعراني أضاف على آرائه في مؤلفاته آراء أخرى خارجة بعد أن حصل على إجازة العلماء عليها ، وذلك إمعانًا منهم في صرف الناس عنه .

سادسًا: آثاره:

1- اليواقيت والجواهر:

كان هم الشعراني أن يوفق بين الآراء المتشعبة والأفكار المختلفة والمذاهب المتباينة وحاول أن يسد هذه الفرجة الواسعة التي صدعت المسلمين وفتت وحدتهم ، وأوجدت بينهم روح التضامن والتطاحن ، ولذلك عكف على تأليف الكتب التي توحد بين آراء الفقهاء والمتكلمين والفلاسفة والصوفيين ، ووضع في ذلك مؤلفات مختلفة من بينها كتاب (اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الكبائر) .

وبيّن في مقدمة الكتاب سبب تأليفه قائلاً: «هذا كتاب ألّفته في العقائد حاولت فيه المطابقة بين عقائد أهل الكشف وعقائد أهل الفكر حسب طاقتي، وذلك لأن المراد والمعول في العقائد على هاتين الطائفتين ، إذ الخلق كلهم قسمان: إما أهل نظر واستدلال ، وإما أهل كشف وعيان ، وقد ألّف كل من الطائفتين كتباً لأهل دائرته ، فربما ظن من لا غوص له في الشريعة أنّ كلام إحدى الدائرتين مخالف للأخرى ، فقصدت في هذا الكتاب بيان أهلية الجمع بينهما ، ليتأيد

كلام أهل كل دائرة بالأخرى ، وهذا أمر لم أرَ أحداً سبقني إليه فرحم الله تعالى من عذرني في العجز عن الوفاء بما حاولته والتزمته ، فإن منازع الكلام دقيقة جداً .

ويحتوي الكتاب على واحد وسبعين مبحثاً تدور حول العقائد التي شغلت بال المتكلمين والصوفية» .

وقد اختار الشعراني الشيخ الأكبر (محيي الدين بن العربي) مثلاً في الصوفيّة في بيان عقائدهم في هذه المباحث ، وأوضح سبب اختياره له في مقدمة الكتاب بأنه أوسع الصوفية عبارةً .

2- (الفتوحات المكية)

وقد اعتنى به الشعراني من بين مؤلفاته بخاصة ، لأنه أجمع كتاب في مؤلفاته يصوّر عقيدته ، وقدم لكتابه بتوضيح لعقيدته ويدافع عن (محيي الدين بن العربي) موضحاً فيه نبذة عن أحواله ومفسراً لبعض كلمات موهمة نسبت إليه .

3- (لوائح الأنوار القدسية في العهود المحمدية)

وفي هذا الكتاب كان الباعث على تأليفه ناحية نقدية عند الشعراني فهو كما يقول: رأى الإخوان يفتشون على ما نقص من دنياهم ولم ير أحداً منهم يفتش على ما نقص من أمر دينه إلا قليلاً ، فدفعه ذلك إلى تنبيههم على ما نقص من أمور دينهم حتى يعرفوا ما لهم وما عليهم ويجتهدوا في تلافي النقص وتحري الكمال .

وقد بنى الشعراني كتابه على قسمين رئيسيين:

القسم الأول: فيه بيان لما أخلّ الناس به من المأمورات ، والقسم

الثاني فيه بيان لما أُخِلَّ الناس في اجتناب المنهيات .
وقد بدأ بالمأمورات رغم أن الواقعين في المحظورات أكثر، جرياً
على الأصل في الترتيب، إذ المعروف أن الطاعات أصيلة والمعاصي
عارضه فالترتيب إذاً طبيعي .

وقد اهتم الشعراني في هذا الكتاب - بصفة خاصة - بمجتمع العلماء
ومجتمع الصوفية ونقدهما نقداً يدل على خبرة ودراية .

4- (البحر المورود في موثيق العهود)

وهو يشبه كتاب (لوايح الأنوار القدسية في العهود المحمدية)
وهذا الكتاب أثار بعض العلماء في الأزهر ضد الشعراني وزيّفوا عليه
فيه بعض النصوص واضطرّ إلى مواجهتهم بنسخته الأصلية التي وجدت
مبرأة مما دسّ عليه فيها من افتراءات، وقد أشار هو على ذلك في مقدّمة
الكتاب كما أشار إليه في بعض تأليفه الأخرى، والعلاقة بين هذين
الكتابين (لوايح الأنوار القدسية، والبحر المورود) وما يجب أن يدع
من أمور أخرى حتى يصل على الكمال الروحي المنشود .
والفرق بين الكتابين أن العهود (في لوايح الأنوار القدسية)
مستقاة من حضرة النبي ﷺ، من حيث إنها وصايا لأُمَّته وعهوده عليها
التي كانت ثمرة رسالته في مدة ثلاث وعشرين سنة قضاها نبياً ورسولاً
بين ظهرانيتهم .

أما عهود (البحر المورود في موثيق العهود) فهي كما يقول
الشعراني أخذها عليه مشايخه الذين أدركهم في أول القرن العاشر .
وقد أحبّ أن يرقمها بهذه الطروس رجاء النفع بها، وهي محرّرة

على ضوء الكتاب والسنة تحرير الذهب والجوهر حسب طاقته .
جاء في (لوائح الأنوار) أن عهوده مبنية على التيسير واستعمال
الرخصة استناداً على الأثر: «إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب
أن تؤتى عزائمه»، أما (البحر المورود) عهوده مبنية على العزيمة لأنها
تريد أن تبني شخصية قوية متكاملة لا تركز إلى كسل من الأمور، بل
تقبل على الصّعب منها بعزيمة قوية وإرادة صلبة .

وله كتب أخرى منها:

5- (العهود والمواثيق)

6- (لطائف المنن)

7- (المناقب الكبرى)

8- ويقدر العلماء مؤلفات الشعراني أنها تزيد على ثلاثمائة وثمانية
(308) مؤلف، ولا يوجد مرجع منه إلا وهو يثني عليه ثناءً مستطاباً
ويذكر براعته الفائقة ويعرض بعض نتاجه كنموذج صادق لما تحلّت به
عقليته من حركة صاحبة لا تضمّر، ولما امتازت به هذه العقلية من
تحرر لا يعرف الجمود .

وقد سعت إليه الزعامة في الفقه والتصوّف حتى انفرد بها أواخر
عمره، وبها استبدّ هوى الجماهير، وانتزع إعجاب الفقهاء، واستلّ
افتتان الأمراء، ومال إليه الكثير من الحكّام، حتى أصبحت زاويته مركز
الحكم السياسي في مصر وزادت من إذاعة آرائه في العالم الإسلامي
طويلاً وعرضاً، وهذه قائمة ببعض مؤلفات الإمام الشعراني
أسردها سرداً.

- 9- الأجوبة المرضية عن أئمة الصوفية، مخطوط كما في هدية العارفين، والخطط التوقيفية، والإعلام للزركلي (180/4).
- 10- أدب القضاة كما في الإعلام مخطوط.
- 11- إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العاملين. مخطوط كما في الإعلام.
- 12- إرشاد المغفلين من الفقهاء والفقراء إلى شروط صحة الأمراء مخطوط رسالة في خزانة الرباط.
- 13- الاقتباس في علم القياس، كما في طبقات الصوفية للمناوي واللطائف والمنن للشعراني.
- 14- الأنوار القدسية في بيان قواعد الصوفية، كما في اللطائف ص 43 مطبوع بجزء في بيروت سنة 1962م.
- 15- الأنوار القدسية في بيان قواعد الصوفية، كما في اللطائف ص 43 مطبوع بتحقيق طه عبد الباقي سرور ومحمد عبد الشافي.
- 16- الأنوار القدسية في آداب العبودية. كما في هدية العارفين والخطط واللطائف ومعجم المطبوعات والإعلام والطبقات وهو مطبوع مع الطبقات الكبرى في دار الفكر.
- 17- البحر المورود في الموائيق والعهود. طبع حجر سنة (1378) هجري، كما في الأعلام وهدية العارفين ومعجم المطبوعات واللطائف والطبقات والخطط.
- 18- البدر المنير في غريب حديث البشير النذير. مطبوع بمصر سنة (1277) هجري، عدد صفحاته 148، كما في الطبقات

واللطائف وفهرس الفهارس ، ومعجم المطبوعات وفي هدية العارفين
والسراج المنير في غرائب أحاديث البشير النذير .

19- بهجة النفوس والأسماع والأحداق فيما تميز به القوم من
الآداب والأخلاق . (الأعلام . مخطوط) .

20- البروق الخواطف لبصر من عمل بالهواتف ، كما في فهرس
الفهارس والطبقات للمناوي واللطائف له .

21- تجريد أحاديث وآثار تفسير الإمام سعيد بن عبد الله
الأزدي يروى عن وكيع كما في اللطائف ص 40 .

22- تنبيه الأغيار على قطرة من بحر علوم الأولياء . كما في الهدية
وذكره في مقدمة كتابه الكبرى الأحمر . مخطوط .

23- تنبيه المغترين في آداب الدين . ذكره في الإعلام مطبوع .

24- تنبيه المغترين في القرن العاشر على ما خالفوا فيه
سلفهم الطاهر . مطبوع كما في الهدية واللطائف والإعلام والخطط
ومعجم المطبوعات .

25- تلخيص وصايا شيخه علي وفا . في عشرين ورقة في ترجمته
في الطبقات ص 22 إلى 65 .

26- التبع والفحص على حكم الإلهام إذا خالف النص . كما في
فهرس الفهارس واللطائف .

27- الجواهر والدرر الكبرى والوسطى والصغرى . جمع
فيها أقوال شيخه الخواص كما ذكر هو ، قال الإمام الشعراني فيه :
(جمعت فيها ما سمعته من العلوم والأسرار من سيدي علي الخواص)

وفرع من جمعه سنة 941 هجري بمصر كما في الطبقات للمناوي، وهدية العارفين، واللطائف، والأعلام، والخطط، ومعجم المطبوعات، وهو مطبوع بهامش الإبريز سنة 1276 هجرية.

29- الجوهر المصون في علوم كتاب الدر المكنون. وهو مشتمل على نحو ثلاثة آلاف علم منثورة على سور القرآن كما في اللطائف (4/1)، والطبقات للمناوي، وهدية العارفين، والخطط.

30- الجوهر المصون والسرّ المرقوم فيما تنتجه الخلوة من الأسرار والعلوم. انفرد به رضا كحالة كما في معجم المؤلفين.

31- حقوق إخوة الإسلام. مخطوط كما في هدية العارفين والأعلام.

32- صد الحسام على من أوجب العلم بالإلهام. كما في فهرس الفهارس وطبقات المناوي.

33- الأخلاق الزكية والعلوم اللدنية. كما في هدية العارفين والخطط التوفيقية.

34- الأخلاق المتبوية في الحضرة المحمّدية. كما في هدية العارفين والخطط.

35- الدرر المنثورة في زبد العلوم المشهورة. مطبوع كما في معجم المؤلفين والهدية ومعجم المطبوعات والأعلام وضبط باعتناء إسكندر شميت بطرس برج سنة 1914م كما في معجم المطبوعات

لسركيس ص 1131 .

36- درر الغواص في فتاوى سيدي علي الخواص . كما في هدية العارفين ومعجم المطبوعات والأعلام جمع فيها نبذة من فتاوى شيخه المذكور مترجماً عن معنى بعضها طبع شامي في سنة 1277 ص 140 .

37- الدرر واللمع في الصدق والورع . ذكره إسماعيل باشا في هدية العارفين .

38- ردع الفقراء عن دعوى الولاية الكبرى . رسالة في بيان جماعة سموا أنفسهم الصوفيّة وادعوا الولاية كذباً مطبوع سنة 1297 هجري ، كما في معجم المطبوعات لسركيس وهدية العارفين .

39- السر المرقوم فيما اختص به أهل الله من العلوم . كما في هدية العارفين والخطط التوفيقية .

40- سر المسير في التزود ليوم المصير . كما في هدية العارفين .

41- شرح جمع الجوامع للسبكي . كما في هدية العارفين ومعجم المؤلفين .

42- الطراز الأبهج على خطبة المنهج ، كما في هدية العارفين .

43- طهارة الجسم والفؤاد على من لم يعلم بالقرآن . كما في هدية العارفين .

44- طهارة الجسم والفؤاد من سوء الظن بالله تعالى والعباد ،

- كما في الخطط والتوقيفية .
- 45- الطبقات الكبرى المسمى بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار .
ويعرف بطبقات الشعراني .
وذكره هو بطبقات الصوفية كما في طبقات المناوي .
- 46- اللطائف . مطبوع بدار الفكر بهامشه الأنوار القدسية في بيان
آداب العبودية .
- 47- الطبقات الوسطى . منها نسخة في الخزانة التيمورية .
- 48- الطبقات الصغرى . وهو ذيل الطبقات الكبرى وطبع سنة
1970 بتحقيق عبد القادر عطا بمكتبة القاهرة .
- 49- فتح الوهاب في فضائل الآل والأصحاب . كما في هدية
العارفين .
- 50- الفتح المبين في ذكر جملة من أسرار الدين . مطبوع باسم
أسرار أركان الإسلام في شريعة الإسلام ، نشره عبد القادر عطا سنة
1980 وغير اسمه ليتطابق مع موضوعه تماماً .
- 51- فرائد القلائد في علم العقائد . كما في طبقات المناوي
وهدية العارفين والخطط .
- 52- الفلك المشحون في بيان أن علم التصوف هو ما تخلق به
العلماء العاملون . انفرد بذكره الكتاني في فهرس الفهارس ص 1079
وله فهرس مطبوع جمع فيه مروياته عن السيوطي كما ذكره في فهرس
الفهارس .
- 53- القول المبين في الرد على الشيخ محيي الدين كذا في

الهدية والخطط .

54- القواعد الموضحات الكشفية لمعاني الصفات الإلهية . كما
في هدية العارفين والأعلام .

55- قواعد الصوفيّة . كما في اللطائف المسمى بالأنوار القدسية
في معرفة قواعد الصوفية .

56- الكبريت الأحمر في بيان علوم الكشف الأكبر . كذا في
اللطائف .

57- الكبريت الأحمر في علوم الشيخ الأكبر . وهو منتخب من
لوائح الأنوار القدسية المختصر من الفتوحات المكية كما في هدية
العارفين والأعلام وطبقات المناوي مطبوع بدار إحياء التراث العربي
بأسفل اليواقيت والجواهر سنة 1970 .

58- كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان . كما في
اللطائف والهدية وطبقات المناوي وفهرس الفهارس والخطط .

59- كشف الغمة عن جميع الأمة . قال عنه الكتاني جمع فيه
أدلة المذاهب الأربعة في الحديث في مجلد كبير من أنفع كتبه إلا أنه
يسوق الحديث من غير تخريج إكتفاء بعلم أهل كل مذهب بمن خرج
دليلهم والغالب أنه اعتمد من كنز الهدى كما في فهرس الفهارس والهدية
وطبقات المناوي واللطائف والخطط .

60- لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة
الله على الإطلاق . ويعرف بالمنن الكبرى الجالبة للسرور والبشرى .
مطبوع في مجلدين منشورات دار الحكمة دمشق سنة 1985 وبأسفله

لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية كما في هدية العارفين والأعلام.

61- لواقح الأنوار القدسية وهي مختصر الفتوحات المكية كما في هدية العارفين وطبقات المناوي واللطائف .

62- لواقح الأنوار القدسيّة في بيان العهود المحمدية . مطبوع مع لطائف المنن كما في طبقات المناوي ومعجم المطبوعات لسركيس ، وطبع في مصر سنة 1308 و ذكر باسم مشارق الأنوار القدسية في هدية العارفين وطبقات المناوي وفهرس الفهارس للكتّاني .

63- لواقح الأنوار في طبقات الأخيار ، ويعرف بطبقات الشعرائي في جزأين بمجلد كبير كما في معجم المؤلفين وطبقات المناوي ومعجم المطبوعات والأعلام وفي خطط التوقيفية ذكره باسم لواقح الأنوار القدسية في مناقب الفقهاء والصوفية ج 14 ص 110 .

64- لواقح الخذلان على كل من لم يعمل بالقرآن . كما في طبقات المناوي وفهرس الفهارس واللطائف والخطط باسم علامات الخذلان .

65- المآثر والمفاخر في بيان علماء القرن العاشر . كما في هديّة العارفين وطبقات الشعرائي الصغرى ص 103 .

66- مدارك السالكين إلى رسوم طريق العارفين ، مطبوع بمصر حجر ، كما في معجم المطبوعات سركيس والأعلام .

67- مختصر سنن البيهقي الكبرى ، كما في طبقات المناوي واللطائف .

- 68- مختصر قواعد الزركثسي، كما في تاريخ الأدب العربي
واللطائف وفهرس الفهارس .
- 69- مختصر الألفية لابن مالك في النحو، كما في هديّة
العارفين .
- 70- مختصر المدوّنة في الفروع المالكية، كما في هديّة العارفين .
- 71- مختصر تذكرة القرطبي، مطبوع بمصر كما في
طبقات المناوي ومعجم المطبوعات لسركيس والأعلام .
- 72- مختصر الفتوحات المكية .
- 73- مختصر الهدى النبوي لابن القيم ذكره في اللطائف والمنن
ص 40 .
- 74- مختصر صفة الصفوة لابن الجوزي .
- 75- مختصر دلائل النبوة للبيهقي ذكره في اللطائف ص 40 .
- 76- مختصر كفاية اللبيب في خصائص الحبيب للسيوطي،
ذكره الكتاني في الرسالة المستطرفة ج 1 ص 203 .
- 77- المقدّمة النحوية في علم العربيّة، كما في هديّة العارفين
ومعجم المطبوعات .
- 78- مفحم الأكباد في بيان جواز الاجتهاد، كما في طبقات
المناوي وفهرس الفهارس والخطط واللطائف .
- 79- منهاج الوصول إلى علم الأصول، جمع فيه بين شرح
المحلي على جمع الجوامع وحاشية ابن أبي شريف كما في فهرس

الفهارس واللطائف .

- 80- منع الموانع ، كما في هديّة العارفين .
- 81- منح المِنَّة في التلبس بالسنة ، كما في فهرس الفهارس مطبوع بمصر سنة 1479 (154 صفحة) وفي حلب .
- 82- المنح السنّية على الوصية المتبولىّة شرح وصية المتبولى ، مطبوع بمصر حجر سنة 1276 كما في معجم المطبوعات والأعلام .
- 83- المنهج المبين في أخلاق العارفين ، كما في هدية العارفين .
- 84- منهج الصدق والتحقيق في تفليس غالب المدّعين للطريق ، كما في هدية العارفين والخطط .
- 85- المنهج المبين في بيان أدلّة المجتهدين كما في الفهرس وطبقات المناوي والهدية واللطائف والخطط قال عنه مؤلفه: عزوت فيه كلّ حديث إلى من رواه فكان كالتخريج لأحاديث كتاب كشف الغمة من اللطائف ص 43 .
- 86- الميزان الكبرى لجميع أقوال المجتهدين ومقلديهم في الشريعة المحمدية ، وفيه توحيد لطرق الأئمة الأربعة اعتماداً على طريقة شيخه الخضر الذي ظهر له في المنام كما في طبقات المناوي وهدية العارفين مطبوع بمصر بمجلدين وله الميزان الصغرى .
- 87- المختار من الأنوار في صحبة الأخيار طبع 1985 تحقيق عبد الكافي عميرة .
- 88- مشارق الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية ، كما في

اللطفائف 1 / 431 والأعلام.

89- النور الفارق بين المرید الصادق وغير الصادق، كما في هدية العارفين والخطط.

90- هادي الحائرين إلى رسوم أخلاق العارفين. كما في هدية العارفين والخطط.

91- اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر كما في الخطط واللطفائف والأعلام ومعجم المطبوعات وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان.

92- الموازين الذرية المبيّنة لعقائد الفرق العليّة، كما في تاريخ الأدب العربي لبروكلمان. وهو الكتاب الذي نحن بصدده الآن وأقوم بتحقيقه.

سابعاً: المصادر التي ذكرت كتب الشعراني:

1- طبقات الصوفيّة الكبرى المعروفة بالكواكب الدرّيّة في تراجم السادة الصوفيّة وتسمى بطبقات المناوي لزين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي المتوفى سنة 1021 هـ، ط 1/1999، تحقيق محمد أديب الجادر ج3 ص 95، دار صادر بيروت.

2- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة / 6/ 812 - 912، دار إحياء التراث العربي لبنان بيروت.

3- هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي ج7 / 641 دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

4- فهرس فهارس الأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات لعبد الحی بن عبد الکبیر الکتانی اعتناء د. إحسان عباس المجلد 1882/2، دار العربی الإسلامی بیروت لبنان 1982م.

5- تاریخ الأدب العربی - کارل بروکلمان - أشرف علی الترجمة د. محمود فهمی حجازی الهيئة المصرية العامة للكتاب 1993م.

6- معجم المطبوعات العربیة والمعربیة لیوسف إلیان مصر 1928.

7- لطائف المنن والأخلاق فی بیان وجوب التحدث بنعمة الله علی الإطلاق، وبهامشه کتاب لواقح الأنوار القدسیة فی بیان العهود المحمدیة، منشورات دار الحکمة بیروت طبع 1985 ج 1/23.

8- الخطط التوقیفیة الجدیة لمعرفة القاهرة مدنہا وبلادہا القدیمة الشهیرة لعلی باشا مبارک الطبعة الأولى سنة 1305 الأمیریة بولاق بمصر المحروسة ج 14/110.

9- معجم المطبوعات العربیة والمعربیة لیوسف إلیان سرکیس، مطبعة إلیان سرکس بمصر 1928م، ص 1129 إلى 1134.

ج. - مصطلحات الصوفیة وطریقة فهمہا:

لکل علم مصطلحات بها يُعرف، وبها یخاطب أهل هذا الفن، ولیس للغیر أن یعترض لأنه كما قیل: لا مشاحّة فی الاصطلاح.

تعتبر المصطلحات والرموز التي يتعامل بها أهل الفن من الأهمية
بمكان، بحيث يحرص أهلها على الالتزام بها فيما بينهم في الأقوال
وقد يتعدى ذلك إلى الأفعال والأحوال، كما هو الشأن عند أهل الله
الصوفية الأختيار.

كما يحرص أهل هذه المصطلحات على المحافظة عليها وعدم
تسريبها لغير أهلها، خوفاً من دخول الغرباء وولوجهم بيت المعرفة من
غير باب، مما يؤثر على كرامة هذه المصطلحات ومستوى التعامل
معا⁽¹⁾.

لذلك فإن الصوفية لم يحدثوا بدعاً من القول وزوراً، حينما
استنوا لأنفسهم منهجاً ومصطلحاً ولفظاً ليس لغيرهم معرفة كنهه أو
العلم بمراده ومقصده.

(1) ليس الصوفية ببدع في حرصهم على المحافظة على مصطلحاتهم، وعدم
تسريبها لغيرهم، فمن المعلوم أن لكل علم مصطلحات يُعرف بها،
ويتعارف أصحاب هذا العلم بعضهم مع بعض من خلالها فمثلاً لعلم
الحساب اصطلاحات اصطلح عليها أصحابها ويتفاهمون بها ويصعب
على أي دخيل عليهم أن يفهم رموزهم واصطلاحاتهم كما أن لعلم الطب
أيضاً إشارات واصطلاحات لا يمكن لغير الأطباء معرفتها إلا عن
طريق الدراسة وهذا أيضاً ما نجده عند المهندسين وغيرهم من أصحاب
المهن والصناعات، وتعتبر هذه الاصطلاحات من الأسرار التي لا
تعطى لغير أهلها، وذلك خوفاً من دخول الغرباء والدخلاء والمنفعيين
إلى المهنة ومن ثم انتشار المتطفلين بما يؤثر على كرامة ومستوى
التعامل فيها، وعلى هذا فإن الصوفية لم يأتوا بشيء غريب عندما اتخذوا
لأنفسهم منهجاً وألفاظاً لا يفهمها غيرهم ممن بذل الجهد والدراسة
لتحصيلها، (انظر معجم ألفاظ الصوفية د/ حسن الشرقاوي مقدمة الكتاب
ص 6).

فإن قيل ما مرجعية هذا العُسر في فهم مصطلحات الصوفيّة مع أن مصطلحات غيرهم يمكن فهمها بالتعلم؟ فالجواب شتان بين طريق القوم أهل الله وغيرهم في مصطلحاتهم وألفاظهم، فإن القوم يإنما تنشأ ألفاظهم ومصطلحاتهم عن طريق الذوق والكشف المبني على مخالفة الهوى ومجاهدة النفس، وعلمهم قطعي حيث يعلمون الحق من القول على ما هو عليه، بخلاف غيرهم، فإن مصطلحاتهم مبنية على علم يغلب عليه الظن وإن كان بعضه قطعياً. وأيضاً فإن طريق القوم ومصطلحاتهم وألفاظهم لا تعرف عن طريق منطق العقل والنظر والتخمين والقياس وغيره كما هو الشأن في علوم غيرهم.

يقول القشيري في الرسالة: «نعم ما فعل القوم من الرموز فإنهم فعلوا ذلك غيرة على طريق أهل الله عزّ وجلّ أن يظهر لغيرهم فيفهموها على خلاف الصّواب، فيفتنوا أنفسهم ويفتنوا غيرهم»⁽¹⁾.

وقد سأل أحد المتكلمين أبا العباس بن عطاء: «ما بالكم أيها الصوفيّة قد اشتقتم ألفاظاً أغربتم بها عن السامعين وخرجتم عن اللسان المعتاد؟ هل هذا إلا طلب التمويه أو ستر لعوار المذهب؟ فقال: ما فعلنا ذلك إلا لغيرتنا عليه ولعزته علينا. ثم اندفع يقول:

إن أهل العبارة سألونا أجبناهم بأعلام الإشارة
نشير بها فنجعلها غموضاً وتقصر عنه ترجمة العبارة
ونشهدها وتشهدنا سروراً له في كل جارحة إشارة

(1) الإمام القشيري الرسالة القشيرية ج2 ص 187 وما بعدها.

نرى الأقوال في الأحوال أسرى كأسر العارفين ذوي الخسارة
ومجمع القول إن هذه المصطلحات لأهل الله الصوفية إنما هي
ألفاظ وعبارات تعبر عن معارف ذوقية تلقوها عن الحق سبحانه
بالذوق فנסجوا معانيها بالقول، لذلك فإن الذين يسرون على طريق
الله إنما يلهمون إلهاماً بعلوم قلبية يقتضي دراستها وتحصيلها أزماناً
متطاولة، مثل مؤلفات الإمام الغزالي، والشيخ الأكبر محي الدين بن
عربي، والحكيم الترمذي، والإمام الشعراني، والجيلاني، والإمام
القشيري، والإمام الشاذلي، يجمعين. فالعلم الحق كما يراه الحكيم
الترمذي⁽¹⁾، هو الذي جاء به القرآن الكريم والسنة المحمدية من أمر
بمعروف ونهي عن منكر من حلال وحرام، إلا أن تطبيق الشريعة
يقتضي العلم، وكلما ازداد العالم تفقهاً ازداد علماً، وكلما ازداد علماً
ازداد صدقاً، وكلما ازداد صدقاً ازداد طاعة، فيكون ظاهره كباطنه،
شريعته كحقيقته فما يهديه إليه النظر من علم يتوافق حتماً مع ما يفيض
الله عليه من عرفان، وهنا انتقال من النظر إلى الذوق ومن البصر إلى
البصيرة ومن العلم إلى المعرفة فلا تعارض ولا تناقض وإنما فهم
أوسع وفكر أشمل، ورأي أصوب، وطريق أكمل.

فإذا صح اجتهاد العقل في زمان فإن اجتهاد الذوق يصلح في كل
زمان ومكان لأن الذوق الصوفي إنما صادر عن مطابقة للكمالات
الأخلاقية فالسلم الروحي يبدأ بمنطق العقل تأييداً لقوله تعالى: ﴿قُلْ

(1) انظر معجم ألفاظ الصوفية د. حسن الشرقاوي ص 13 وما بعدها بتصرف.

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿39﴾ [الزمر: 39] فإذا عاش العلم العقلي في سمرديّة العلم القلبي الوجداني كمل حال المتعلم وارتقى إلى المشاهدة وتاه في أنوار حبيبه فكان عينه التي يرى بها ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فكان لله وبالله وفي الله .

من أهم مصطلحات القوم:

الهاجس: يعبرون به عن الخاطر الأول وهو الخاطر الرباني وهو لا يخطئ أبداً .

الإرادة: هي لوعة القلب يطلقونها ويريدون بها إرادة التمني .

المريد: هو المتجرد عن إرادته .

المراد: عبارة عن المجذوب عن إرادته مع تهيؤ الأمور له فجاوز

الرسوم كلها والمقامات من غير مكابدة .

السالك: هو الذي مشى على المقامات كلها بحاله لا بعلمه فكان

العلم له عيناً .

المسافر: هو الذي سافر بفكره في المعقولات وهو الاعتبار .

السفر: هو القلب إذا أخذ في التوجه إلى الحقّ بالذكر .

الطريق: هو عبارة عن مراسم الحقّ تعالى المشروعة التي لا

رخصة فيها .

الوقت: هو عبارة عن حالك في زمان الحال لا تعلق له بالماضي

ولا بالمستقبل .

الأدب: هو الوقوف عند مرسوم الشرع والفناء عن رؤيتها مع

المبالغة فيها

المقام: عبارة عن استيفاء حقوق المراسم على الإتمام.

الحال: ما يردُّ على القلب من غير تعمُّل ولا اجتلاب.

عين التحكم: هو أن يتحدى الولي بما يريده إظهاراً لمرتبته

لمن يراه.

الانزعاج: هو أثر المواعظ الذي في قلب المؤمن.

الشطح: عبارة عن كلمة عليها رائحة الرعونة والدعوى، وهي

نادرة أن توجد من المحققين، وأما الشريعة فعبارة عن الأمر بالتزام

العبودية.

الأفراد: هم الرجال الخارجون عن نظر القطب.

القطب: الغوث: عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله تعالى

من العالم في كل زمان وهو على قلب إسرافيل عليه السلام.

الأوتاد: هم أربعة رجال منازلهم على منازل الأركان الأربعة من

العالم شرق وغرب وشمال وجنوب.

الأبدال: هم سبعة ومن سافر من القوم عن موضعه ترك جسداً

على صورته حتى لا يعرف أحد أنه فُقد، وهم على قلب إبراهيم عليه

السلام⁽¹⁾.

(1) وقد وجدت كلاماً نفيساً للإمام السيوطي في كتابه (الحاوي للفتاوي) عن الأبدال

وما ورد فيهم من أحاديث وآثار، فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

الحمد لله الذي فاوت بين خلقه في المراتب ، وجعل في كل قرن سابقين بهم يحيي ويميت وينزل الغمام الساكب ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد البدر المنير وعلى آله = وأصحابه الهداة الكواكب .

وبعد: فقد بلغني عن بعض من لا علم عنده إنكار ما اشتهر عن السادة الأولياء من أن منهم أبدالاً ونقباء ونجباء وأوتاداً وأقطاباً ، وقد وردت الأحاديث والآثار بإثبات ذلك فجمعتهما في هذا الجزء لتستفاد ولا يعول على إنكار أهل العناد ، وسميته «الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال» والله الموفق . فأقول:

ورد في ذلك مرفوعاً وموقوفاً من حديث عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وأنس ، وحذيفة بن اليمان ، وعبادة بن الصامت ، وابن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله ابن مسعود ، وعوف بن مالك ، ومعاذ بن جبل ، ووائلة بن الأسقع ، وأبي سعيد الخدري ، وأبي هريرة ، وأبي الدرداء ، وأم سلمة - رضي الله تعالى عنهم - ومن مرسل الحسن ، وعطاء ، وبكر بن خنيس ، ومن الآثار عن التابعين ومن بعدهم ما لا يحصى .

1- أخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده علي بن أبي طالب - وهو بالعراق - فقالوا: العنهم يا أمير المؤمنين؟ قال: لا ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الأبدال بالشام وهم أربعون رجلاً كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً يسقي بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب» [رجاله رجال الصحيح غير شريح ابن عبيد وهو ثقة] .

2- أخرج ابن عساكر في تاريخه عن شريح بن عبيد الحضرمي قال: ذكر أهل الشام عند علي بن أبي طالب فقالوا: يا أمير المؤمنين العنهم؟ فقال: لا ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الأبدال بالشام يكونون وهم أربعون رجلاً بهم تسقون الغيث وبهم تنصرون على أعدائكم ويصرف عن أهل الأرض البلاء والغرق» [قال ابن عساكر: هذا منقطع بين شريح وعلي فإنه لم يلقه] .

3- أخرج ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء عن علي: «سألت رسول الله ﷺ عن

الأبدال؟ قال: هم ستون رجلاً، فقلت: يا رسول الله جلهم لي، قال: ليسوا بالمتنطعين ولا بالمبتدعين وبالمتعمقين، لم ينالوا ما نالوا بكثرة صلاة ولا صيام ولا صدقة ولكن بسخاء الأنفس وسلامة القلوب والنصيحة لأئمتهم» أخرجه الخلال في كرامات الأولياء، = وفيه بدل: (ولا بالمتعمقين) (ولا بالمعجبين) وزاد في أخرى: «إنهم يا علي في أمي أقل من الكبريت الأحمر».

4- الطبراني عن علي بن أبي طالب عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تسبوا أهل الشام فإن فيهم الأبدال».

5- أخرج الحاكم في المستدرک من طريق أحمد عن عبد الله بن زهير الغافقي أنه سمع علي بن أبي طالب يقول: «لا تسبوا أهل الشام فإن فيهم الأبدال، وسبوا ظلمتهم» [من طريق أحمد بن الحارث بن يزيد به وقال: صحيح وأقره الذهبي في مختصره].

6- عن رجاء بن حيوة عن الحارث بن حومل عن علي بن أبي طالب قال: لا تسبوا أهل الشام فإن فيهم الأبدال.

وقال الحارث: يا رجاء اذكر لي رجلين صالحين من أهل بيسان فإنه بلغني أن الله تعالى اختص أهل بيسان برجلين صالحين من الأبدال، لا يموت واحد إلا أبدل الله مكانه واحداً، ولا تذكر لي منهما متماوتاً ولا طعاناً على الأئمة، فإنه لا يكون منهما الأبدال.

7- أخرج ابن أبي الدنيا عن عبد الله بن صفوان قال: قال رجل يوم صفين: اللهم العن أهل الشام، فقال علي: لا تسب أهل الشام فإن بها الأبدال، فإن بها الأبدال، أخرجه البيهقي، والخلال وابن عساكر.

8- قال يعقوب بن سفيان: ثنا يحيى بن عبد الحميد ثنا شريك عن عثمان بن أبي زرعة عن أبي صادق قال: سمع علي رجلاً وهو يلعن أهل الشام فقال علي: لا تلعنهم فإن فيهم الأبدال.

9- أخرج ابن عساكر عن الليث بن سعد عن عياش بن عباس القتباني أن علي بن أبي طالب قال: الأبدال من الشام والنجباء من أهل مصر والأخيار من أهل العراق.

10- وقال ابن عدي وابن شاهين والحافظ أبو محمد الخلال في كتاب كرامات الأولياء عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «البدلاء أربعون رجلاً: اثنان وعشرون بالشام وثمانية عشر بالعراق، كلما مات منهم واحد أبدل الله مكانه آخر، فإذا جاء الأمر قبضوا = كلهم فعند ذلك تقوم الساعة».

11- أخرج الحافظ أبو محمد الخلال في كتاب كرامات الأولياء عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «الأبدال أربعون رجلاً وأربعون امرأة، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً، وكلما ماتت امرأة أبدل الله مكانها امرأة» أخرجه الديلمي في مسند الفردوس من طريق أخرى عن إبراهيم بن الوليد.

12- أخرج ابن لآل في مكارم الأخلاق عن الحسن عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بكثرة صلاتهم ولا صيامهم ولكن دخلوها بسلامة صدورهم وسخاوة أنفسهم» أخرجه ابن عدي، والخلال وزاد في آخره: والنصح للمسلمين.

13- قال ابن عساكر: قرأت بخط تمام بن محمد عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «إن دعامة أمتي عصب اليمين وأبدال الشام وهم أربعون رجلاً، كلما هلك رجل أبدل الله مكانه آخر، ليسوا بالمتماوتين ولا بالمتهاكين ولا المتناوشين، لم يبلغوا ما بلغوا بكثرة صوم ولا صلاة، وإنما بلغوا ذلك بالسخاء وصحة القلوب والمناصحة لجميع المسلمين».

14- قال الطبراني في الأوسط: ثنا عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لن تخلو الأرض من أربعين رجلاً مثل خليل الرحمن فبهم يسقون وبهم ينصرون، ما مات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه آخر» قال قتادة: لسنا نشك أن الحسن منهم، قال الحافظ أبو الحسن الهيثمي في مجمع الزوائد: إسناده حسن.

15- قال الحكيم الترمذي في نوادر الأصول: ثنا أبي ثنا سليمان ثنا إسحاق بن عبد الله ابن أبي فروة عن محمود بن لبيد عن حذيفة بن اليمان قال: الأبدال بالشام وهم ثلاثون رجلاً على منهاج إبراهيم، كلما مات رجل أبدل الله مكانه آخر، عشرون منهم على منهاج عيسى بن مريم، وعشرون منهم قد أوتوا من مزامير آل داود.

16- أخرج الإمام أحمد في مسنده: ثنا عبد الوهاب بن عطاء أنا الحسن بن ذكوان عن عبد الواحد بن قيس عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: «الأبدال في هذه الأمة ثلاثون مثل إبراهيم خليل الرحمن، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً» أخرجه =الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، والخلال في كرامات الأولياء، ورجاله رجال الصحيح غير عبد الواحد، وقد وثقه العجلي وأبو زرعة.

17- أخرج الطبراني في الكبير: عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «الأبدال في أمتي ثلاثون، بهم تقوم الأرض وبهم تمطرون وبهم تنصرون» قال قتادة: إني أرجو أن يكون الحسن منهم.

18- أخرج الخلال في كتاب كرامات الأولياء: عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال أربعون رجلاً يحفظ الله بهم الأرض كلما مات رجل أبدل الله مكانه آخر وهم في الأرض كلها»

19- وأخرج إسحاق بن إبراهيم الختلي في كتاب الديباج له بسنده عن داود بن يحيى مولى عون الطفاوي عن رجل كان مرابطاً بعسقلان قال: بينا أنا أسير بالأردن إذ أنا برجل في ناحية الوادي قائم يصلي فوق في قلبي أنه إلياس، فذكر نحو ما قبله، ولفظه: قلت: فكم الإبدال؟ قال: هم ستون رجلاً - خمسون ما بين عريش مصر إلى شاطئ الفرات، ورجلان بالمصيصة، ورجل بأنطاكية، وسبعة في سائر الأمصار - بهم تسقون الغيث وبهم تنصرون على العدو وبهم يقيم الله أمر الدنيا حتى إذا أراد أن يهلك الدنيا أماتهم جميعاً.

20- وفي كفاية المعتقد لليافعي - نفعنا الله تعالى ببركته - قال بعض العارفين: الصالحون كثير مخالطون للعوام لصالح الناس في دينهم ودنياهم، والنجباء في العدد أقل منهم، والنقباء في العدد أقل منهم، وهم مخالطون الخواص، والأبدال في العدد أقل منهم نازلون في الأمصار العظام لا يكون في المصر منهم إلا الواحد بعد الواحد، فطوبى لأهل بلدة كان فيها اثنان منهم، والأوتاد واحد باليمن وواحد بالشام وواحد في المشرق وواحد في المغرب، والله سبحانه يدير القطب في الآفاق الأربعة من أركان الدنيا كدوران

الفلك في أفق السماء، وقد سترت أحوال القطب - وهو الغوث - عن العامة والخاصة
غيرة من الحق عليه، غير أنه يرى عالماً كجاهل، أبله كفطن، تاركاً أخذاً، قريباً بعيداً،
سهلاً عسراً، آمناً حذراً، وكشف أحوال الأوتاد للخاصة وكشف أحوال البدلاء للخاصة =
=والعارفين، وستر أحوال النجباء والنقباء عن العامة خاصة وكشف بعضهم لبعض، وكشف
حال الصالحين للعموم والخصوص؛ ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

وعدة النجباء ثلاثمائة والنقباء أربعون والبدلاء قيل ثلاثون، وقيل أربعة عشر، وقيل
سبعة - وهو الصحيح - والأوتاد أربعة، فإذا مات القطب جعل مكانه خيار الأربعة،
وإذا مات أحد الأربعة جعل مكانه خيار السبعة، وإذا مات أحد السبعة جعل مكانه خيار
الأربعين، وإذا مات أحد الأربعين جعل مكانه خيار الثلاثمائة، وإذا مات أحد الثلاثمائة
جعل مكانه خيار الصالحين، وإذا أراد الله أن يقيم الساعة أماتهم أجمعين، وبهم يدفع الله
عن عباده البلاء وينزل قطر السماء. انتهى، ثم قال: وقال بعض العارفين: والقطب هو
الواحد المذكور في حديث ابن مسعود أنه على قلب إسرئيل، ومكانه من الأولياء
كالنقطة في الدائرة التي هي مركزها، به يقع صلاح العالم قال: وقال بعضهم: لم يذكر
رسول الله ﷺ أن أحداً على قلبه؛ إذ لم يخلق الله في عالم الخلق والأمر أعز وألطف
وأشرف من قلبه ﷺ فقلوب الأنبياء والملائكة والأولياء بالإضافة إلى قلبه كإضافة سائر
الكواكب إلى كمال الشمس. انتهى.

21- وأخرج القشيري في الرسالة بسنده عن بلال الخواص قال: كنت في تيه بني
إسرائيل فإذا رجل يماشيني فعجبت، فألهمت أنه الخضر - عليه السلام - فقلت له:
بحق الحق من أنت؟ قال: أخوك الخضر، قلت: أريد أن أسألك، قال: سل، قلت: ما
تقول في الشافعي؟ قال: هو من الأوتاد، قلت: وما تقول في أحمد بن حنبل؟ قال: رجل
صديق، قلت: ما تقول في بشر الحافي؟ قال: لم يخلق بعده مثله، قلت: بأي وسيلة
رأيتك؟ قال: ببركة أمك.

وأخرج الإمام أحمد في الزهد، وابن أبي الدنيا، وأبو نعيم، والبيهقي، وابن عساكر،
عن جليس وهب بن منبه قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله أين

بدلاء أمتك؟ فأوماً بيده نحو الشام، قلت: يا رسول الله أما بالعراق منهم أحد؟ قال: بلى، محمد بن واسع وحسان بن أبي سنان ومالك بن دينار الذي يمشي في الناس بمثل زهد أبي ذر في زمانه.

22- وأخرج أبو نعيم عن داود بن يحيى بن يمان قال: رأيت رسول الله ﷺ في النوم فقلت: يا رسول الله من الأبدال؟ قال: الذين لا يضربون بأيديهم، وإن وكيع بن الجراح منهم. وأخرج ابن عساكر عن أبي مطيع معاوية بن يحيى أن شيخاً من أهل حمص خرج يريد المسجد وهو يرى أنه قد أصبح فإذا عليه ليل، فلما صار تحت القبة سمع صوت جرس الخيل على البلاط، فإذا فوارس قد لقي بعضهم بعضاً، قال بعضهم لبعض: من أين قدمتم؟ قالوا: أولم تكونوا معنا؟ قالوا: لا، قالوا: قدمنا من جنازة البديل خالد ابن معدان، قالوا: وقد مات، ما علمنا بموته، فمن استخلفتم بعده؟ قالوا: أرطاة بن المنذر، فلما أصبح الشيخ حدث أصحابه فقالوا: ما علمنا بموت خالد بن معدان، فلما كان نصف النهار قدم البريد بخبر موته.

23- وفي كفاية المعتقد لليافعي عن بعض أصحاب الشيخ عبد القادر الكيلاني قال: خرج الشيخ عبد القادر من داره ليلة فناولته إبيرقاً فلم يأخذه، وقصد باب المدرسة فانفتح له الباب، فخرج وخرجت خلفه ثم عاد الباب مغلقاً، ومشى إلى قرب من باب بغداد فانفتح له فخرج وخرجت معه ثم عاد الباب مغلقاً، ومشى غير بعيد فإذا نحن في بلد لا أعرفه فدخل فيه مكاناً شبيهاً بالرباط، وإذا فيه ستة نفر فبادروا إلى السلام عليه، والتجأت إلى سارية هناك وسمعت من جانب ذلك المكان أنيناً فلم نلبث إلا يسيراً حتى سكن الأنين، ودخل رجل وذهب إلى الجهة التي سمعت فيها الأنين ثم خرج يحمل شخصاً على عاتقه ودخل آخر مكشوف الرأس طويل الشارب وجلس بين يدي الشيخ فأخذ عليه الشيخ الشهادتين وقص شعر رأسه وشاربه وألبسه طاقية وسماه محمداً، وقال لأولئك نفر: قد أمرت أن يكون هذا بدلاً عن الميت، قالوا: سمعاً وطاعة، ثم خرج الشيخ وتركهم وخرجت خلفه ومشينا غير بعيد وإذا نحن عند باب بغداد فانفتح كأول مرة ثم أتى المدرسة فانفتح له بابها ودخل داره، فلما كان الغد أقسمت عليه أن يبين لي ما

رأيت، قال: أما البلد فهانود، وأما الستة فهم الأبدال، وصاحب الأنين سابعهم كان مريضاً فلما حضرت وفاته جئت أحضره، وأما الرجل الذي خرج يحمل شخصاً فأبو العباس الخضر - عليه السلام - ذهب به ليتولى أمره، وأما الرجل الذي أخذت عليه الشهادتين = فرجل من أهل القسطنطينية كان نصرانياً وأمرت أن يكون بدلاً عن المتوفى، فأتي به فأسلم على يدي وهو الآن منهم.

24- فائدة: أخرج أبو نعيم في الحلية عن أبي يزيد البسطامي أنه قيل له: إنك من الأبدال السبعة الذين هم أوتاد الأرض، فقال: أنا كل السبعة.

25- فائدة: أخرج الشيخ نصر المقدسي في كتاب الحجّة على تارك المحجّة بسنده عن أحمد بن حنبل أنه قيل له: هل لله في الأرض أبدال؟ قال: نعم، قيل: من هم؟ قال: إن لم يكن أصحاب الحديث هم الأبدال فما أعرف لله أبدالاً.

26- فائدة: قال سهل بن عبد الله: صارت الأبدال أبدالاً بأربعة: قلة الكلام، وقلة الطعام، وقلة المنام، واعتزال الأنام، وأخرج أبو نعيم في الحلية عن بشر بن الحارث أنه سئل عن التوكل فقال: اضطراب بلا سكون، رجل يضطرب بجوارحه وقلبه ساكن إلى الله تعالى لا إلى عمله، وسكون بلا اضطراب، رجل ساكن إلى الله تعالى بلا حركة، وهذا عزيز وهو من صفات الأبدال.

وأخرج عن معروف الكرخي قال: من قال في كل يوم عشر مرات: اللهم أصلح أمة محمد، اللهم فرج عن أمة محمد، اللهم ارحم أمة محمد، كتب من الأبدال، وأخرج عن أبي عبد الله النباجي قال: إن أحببتهم أن تكونوا أبدالاً فأحبوا ما شاء الله، ومن أحب ما شاء الله لم ينزل به من مقادير الله شيء إلا أحبه.

27- فائدة: في كتاب كفاية المعتقد لليافعي - نفعنا الله تعالى به - قيل: إنما سمي الأبدال أبدالاً لأنهم إذا غابوا تبدل في مكانهم صور روحانية تخلفهم، وبني على ذلك ما حكى عن الشيخ مفرج الدماميلي أنه رآه بعض أصحابه يوم عرفة [بعرفة] ورآه آخر في مكانه من زاويته بدماميل لم يفارقه في جميع ذلك اليوم، فلما رجع الحاج ذكر كل واحد منهما ذلك لصاحبه وتنازعا في ذلك وحلف كل بالطلاق فاخصما إليه، فأقرهما وأبقى

النقباء: هم الذين استخرجوا خبايا نفوسهم وهم ثلاثمائة .
النجباء: وهم أربعة وهم مشغولون بحمل أثقال الخلق فلا
يتصرفون إلا في حق الغير .

الإمامان: هما شخصان أحدهما عن يمين الغوث ونظره في
الملكوت والآخر عن يساره ونظره في الملك وهو أعلى من صاحبه
وهو الذي يخلف الغوث .

الملامتيّة: وهم الأمناء: وهم الذين لم يظهر على ظواهرهم مما في
بواطنهم أثر التيه وهم أعلى الطائفة .

قال سيدي ابن عربي في فتوحاته (476/2): الملامية ، وقد
يقولون: الملامتية وهي لغة ضعيفة ، وهم سادات أهل طريق الله وأئمتهم
وسيد العالم فيهم ومنهم وهو سيدنا محمد رسول الله ﷺ ، وهم الحكماء
الذين وضعوا الأمور مواضعها وأحكموها وأقروا الأسباب في أماكنها ،

كلا منهما على الزوجية ، فسئل عن الحكمة في عدم حث الاثنتين مع كون صدق أحدهما
يوجب حث الآخر ، فقال: الولي إذا تحقق في ولايته مكن من التصور في صور عديدة
وتظهر روحانيته في وقت واحد في جهات متعددة ، فالصورة التي ظهرت لمن رآها بعرفة ، =
=والصورة التي رآها الآخر في مكانه في ذلك الوقت حق ، وكل منهما صادق في يمينه ،
ولا يلزم من ذلك وجود شخص في مكانين في وقت واحد لأن ذلك إثبات تعدد الصور
الروحانية لا الجسمانية . انتهى .

وقد قررت نظير ذلك في الروح بعد الموت في باب مقر الأرواح في كتاب البرزخ ،
قال الشمس الداودي: قال مؤلفه شيخنا - رضي الله عنه وأرضاه - : ألقته يوم السبت ثامن
محرم سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة ، أحسن الله ختامها بمحمد وآله أجمعين .

ونفوها في المواضع التي ينبغي أن تنفى عنها ، ولا أحلّوا بشيء مما رتبته الله في خلقه على حسب ما رتبوه ، فما تقتضيه الدار الأولى تركوه للدار الأولى ، وما تقتضيه الدار الآخرة تركوه للدار الآخرة .

فنظروا في الأشياء بالعين التي نظر الله إليها لم يخلطوا بين الحقائق ، فإنه من رفع السبب في الموضوع الذي وضعه فيه واضعه وهو الحق فقد سفه واضعه وجهل قدره ، ومن اعتمد عليه فقد أشرك وألحد وإلي أرض الطبيعة أخلد ، فاللامتية قررت الأسباب ولم تعتمد عليها ، فتلامذة الملامتية الصادقون يتقبلون في أطوار الرجولية ، وتلامذة غيرهم يتقبلون في أطوار الرعونات النفسية ، فاللامتية مجهولة أقدارهم لا يعرفهم إلا سيدهم الذي حباهم وخصهم بهذا المقام ولا عدد يحصرهم بل يزيدون وينقصون .

وقلت في وصفهم: الملامية أو الملامتية قوم أشاروا عن منزل وهم في غيره ، وورّوا بأمر وهم لغيره ، ونادوا على شأن وهم على غيره ، فهم بين غيره عليهم تسترهم وأدب فيهم يصونهم وظرف يهذبهم . أهل هذه المنزلة استسروا اختياراً وإرادة لذلك ، صيانة لأحوالهم ، وكمالاً في تمكنهم ، فمقاماتهم عالية لا ترمقها العيون ولا تخالطها الظنون ، يشيرون إلى ما يعرفه المخاطب من مقامات المرئيين السالكين ، وبدايات السلوك ، ويخفون ما مكنهم فيه الحق سبحانه وتعالى من أحوال المحبة ومواجيدها ، وآثار المعرفة وتوحيدها ، فهذه هي التورية التي ذكرها .

فكانهم يظهرون للمخاطب: أنهم من أهل البدايات ، وهم في

أعلى المقامات ، يتكلمون معهم في البداية والإرادة والسلوك ، ومقامهم فوق ذلك ، وهم محقون في الحالتين ، لكنهم يسترون أشرف أحوالهم ومقاماتهم عن الناس .

وبالجملة: فهم مع الناس بظواهرهم، يخاطبونهم على قدر عقولهم ، ولا يخاطبونهم بما لا تصل إليه عقولهم ، فينكرون عليهم فيحسبهم المخاطب مثله ، فالناس عندهم وليسوا هم عند أحد .

قوله: (أشاروا إلى منزل ، وهم في غيره) يعني: يسيرون إلى منزل التوبة ، والمحاسبة وهم في منزل المحبة ، والوجد ، والذوق ونحوها .

وقد يريد أنهم يسيرون إلى أنهم عامة ، وهم خاصة الخاصة ، وإلى أنهم جهال ، وهم العارفون بالله ، وأنهم مسيئون ، وهم محسنون .

المكان: عبارة عن منازل في البساط لا يكون إلا لأهل الكمال الذين تحققوا بالمقامات والأحوال .

القبض: حال الخوف في الوقت، أو هو وارد يرد على القلب توجبه إشارة إلى عتاب وتأديب .

البسط: هو من يسع الأشياء ولا يسعه شيء ، أو هو وارد توجبه إشارة قبول وأنس .

الهيبة: هي أثر مشاهدة جلال الله في القلب وهو جمال الجلال .

التواجد: استدعاء الوجد .

الأنس: أثر مشاهدة جمال الحضرة الإلهية في القلب وهو جمال

الجلال .

الوجد: ما يصادفه القلب من الأحوال المغنية عن شهوده .

الوجود: وجدان الحق في الوجد .
 الجمال: نعوت الرحمة والألطف من الحضرة الإلهية .
 الجمع: إشارة إلى حقّ بلا خلق .
 جمع الجمع: الاستهلاك بالكلية في الله تعالى .
 الفرق: إشارة إلى الخلق بلا حقّ وقيل مشاهدة معبوده .
 البقاء: رؤية العبد قيام الله على كل شيء .
 الفناء: عدم رؤية العبد لفعله لقيام الله على ذلك .
 الغيبة: غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق .
 الحضور: حضور القلب بالحق عند الغيبة عن الخلق .
 الصّحو: رجوع إلى الإحساس بعد الغيبة بوارد قوي .
 السكر: غيبة بوارد قوي .
 الذوق: أول مبادئ التجليات الإلهية .
 الشرب: أوسط التجليات .
 الريّ: غاياتها في كل مقام .
 المحو: رفع أوصاف العادة وقيل إزالة العلة .
 الإثبات: إقامة أحكام العبادة .
 القرب: القيام بالطاعة .
 البعد: الإقامة على المخالفات .
 الحقيقة: سلب آثار أوصافك عنك بأوصافه .
 النفس: روح يسلطه الله تعالى على نار القلب ليطفئ شررها .
 الخاطر: ما يرد على القلب والضمير من الخطاب من غير إقامة

وقد يكون ربانياً أو ملكياً أو نفسانياً وشيطانياً .
 علم اليقين: ما أعطاه الدليل .
 عين اليقين: ما أعطته المشاهدة والكشف .
 حق اليقين: ما حصل من العلم بما أُريد له ذلك الشهود .
 الوارد: ما يرد على القلب من الخواطر المحمودة من غير تعمُّل .
 الشاهد: ما تعطيه المشاهدة من الأثر في القلب .
 النفس: ما كان معلولاً من أوصاف العبد .
 الوله: إفراط الوجد .
 الوقفة: حبس بين المقامين .
 الفترة: جمود نار البداية المحرقة .
 التفريد: وقوفك بالحق معك .
 اللطيفة: كل إشارة دقيقة المعنى تلوح في الفهم لا تسعها العبارة .
 العلة: تنبيه الحق لعبده بسبب أو بغير سبب .
 الرياضة: الخروج عن طبع النفس وهي رياضة الأدب .
 المجاهدة: حمل النفس على المشاق البدنية ومخالفة الهوى على
 كل حال .
 الفصل: فوت ما ترجوه من محبوبك .
 الذهاب: غيبة القلب عن حسّ كل محسوس يشاهده محبوبه كان
 المحبوب ما كان .
 الزاجر: واعظ الحقّ في قلب المؤمن وهو الداعي إلى الله .
 السحق: ذهاب تركيبك تحت القهر .

التجلي: ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب .
التخلي: اختيار الخلوة والإعراض عن كل ما يشغل عن الحق .
المحاضرة: حضور القلب بتوارد البرهان .
المشاهدة: يطلق على رؤية الأشياء بدلائل التوحيد .
المحادثة: خطاب الحق للعارفين من عالم الملك والشهادة كالنداء
من الشجرة لموسى عليه السلام .
المسامرة: خطاب الحق للعارفين من عالم الأسرار والغيوب نزل
به الروح الأمين على قلوبهم .
المكاشفة: ما يلوح من الأسرار الظاهرة من الشهود من حالٍ إلى
حالٍ .

الطواع: أنوار التوحيد تطلع على قلوب أهل المعرفة فتطمس
سائر الأنوار .

اللوامع: ما ثبت من أنوار التجلي .
الهجوم: ما يرد على القلب بقوة الوقت بغير تصنع منك .
التلوين: تنقل العبد في أحواله وهو عند الأكثرين مقام ناقص وعند
ابن عربي أكمل المقامات وحال العبد فيه حال قوله تعالى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ
فِي شَأْنٍ﴾ .

التمكين: حال أهل الوصول وعند ابن عربي التمكين في التلوين .
الرغبة: رغبة القلب في الحقيقة .
الاصطلام: نعت وُلّه يرد على القلب فيسكن تحت سلطانه .

الهمّة: جمع الهمم لصفاء الإلهام .
الغيرة: غيرة الحق لتعدي الحدود .
الحرية: إقامة حقوق العبودية لله تعالى هو حرٌ عن سوى الله تعالى .
الفتوح: فتوح العبادة في الظاهر وفتوح الحلاوة في الباطن وفتوح
المكاشفة .

المطالعة: توفيقات الحق للعارفين ابتداء عن سؤال مهم فيما يرجع
إلى حوادث الكون .

الوصل: إدراك الفئات .

الصعق: الفناء عند التجلي الرباني .

الخلوة: محادثة السر مع الحق حيث لا ملك ولا أحد .

الجلوة: خروج العبد من الخلوة بالنعوت الإلهية .

الأنانية: قولك أنا .

اللوح: محل التدوين والتسطير المؤجل إلى حد معلوم .

الرعونة: الوقوف مع الطبع .

النور: كل واردٍ إلهي يطرد الكون عن القلب .

الظلمة: قد يطلق على العلم بالذات فإنها لا يُكشَف معها غيرها .

الضياء: رؤية الأغيار بغير الحق .

الظل: وجود الرائحة خلف الحجاب .

الحجاب: كل ما ستر مطلوبك من عينك .

الإشارة: تكون مع القرب ومع حضور الغير وتكون مع البعد .

الغيب: كل ما ستره الحق عنك لا منه .

الجبروت: هو عالم العظمة.

** ** *

بعض أهم مراجع مصطلحات الصوفية

- 1- المعجم الصوفي د. سعاد الحكيم .
- 2- قاموس المصطلحات الصوفية أ. فؤاد كامل .
- 3- معجم ألفاظ الصوفية حسن الشرقاوي .
- 4- اصطلاحات الشيخ ابن العربي نشر دار الإمام مسلم .
- 5- طبقات الصوفية للإمام السلمي .
- 6- قوت القلوب للشيخ أبي طالب المكي .
- 7- مكاشفة القلوب أبو حامد الغزالي .
- 8- الكشف والتبيين أبو حامد الغزالي .
- 9- إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي .
- 10- حلية الأولياء أبو نعيم الأصفهاني .
- 11- مدارج السالكين ابن قيم الجوزية .
- 12- تاج العروس لابن عطاء السكندري .
- 13- رسائل ابن عربي لابن عربي .
- 14- تنبيه الغافلين للسمرقندي .
- 15- الميزان للإمام الشعراني .
- 16- لطائف المنن للإمام الشعراني .
- 17- مدارج السالكين للإمام الشعراني .
- 18- اليواقيت والجواهر للإمام الشعراني .

- 19- لواقح الأنوار القدسية للإمام الشعراني .
- 20- الأنوار القدسية للإمام الشعراني .
- 21- الكبريت الأحمر للإمام الشعراني .
- 22- المناقب الكبرى للإمام الشعراني .
- 23- روض الرياحين للإمام اليافعي .
- 24- درر الغوّاص في فتاوى الخوّاص للإمام الشعراني .

** ** *

الفصل الأول

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:

مفهوم الولاية

المبحث الثاني:

شخصيات الأولياء وأصنافهم عند الإمام الشعراني

المبحث الثالث:

الطريق إلى ولاية الله كما يراها الإمام الشعراني

المبحث الرابع:

التصوف في عصر الشعراني

مفهوم الولاية

المسألة الأولى: دلالة الولي اللغوية:

جاء في القاموس المحيط: «الولي: القرب والدنو، والمطر بعد المطر» والولي الاسم منه المحب والصديق والنصير، والولاية: الأمانة والسلطان، والمولى: المعتق والمعتق. والصاحب والقريب والولي والرب والناصر والمحب^(١).

وجاء في الصحاح: والولي ضد العدو والولاية ضد العداوة وأصل الولاية المحبة والتقرب كما ذكره أهل اللغة، وأصل العداوة البغض والبعء^(٢).

وقال الشوكاني: الولي في اللغة القريب، والمراد بأولياء الله خُلص المؤمنين كأنهم قربوا من الله سبحانه بطاعته واجتناب معصيته، وقد فسّر سبحانه هؤلاء الأولياء بقوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ أي: يؤمنون بما يجب الإيمان به ويتقون ما يجب عليهم اتقاؤه من معاصي الله سبحانه^(٣) وذكر ابن تيمية هذا المعنى اللغوي في كتابه «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»: وقد قيل: إن الوليَّ سُمِّيَ وليًّا من مولاته للطاعات^(٤) أي متابعتها لها وقال أيضاً: ويقابل

(1) القاموس المحيط 156/4.

(2) القاموس المحيط 320/2.

(3) قطر الولي ص 7.

(4) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ص 5.

بين الولي والعدو على أساس من القرب والبعد^(١) وهذا المعنى الذي يدور بين الحبّ والقرب والنصرة هو الذي أراده القرآن الكريم من كلمة ولي ومشتقاتها في كل موضع أتى بها فيه في جانب أولياء الله ، فمن قوله تعالى ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٢﴾ .

وقد فسّر الدكتور الشيبلي هنا الأولياء بالأحباء والمقربين إلى الله تعالى^(٣) وقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقُّ﴾^(٤) بالفتح فقد قال فيها الإمام أبو بكر السجستاني: (والولاية بالفتح: النصرة والربوبية ومنه تلك الآية المتقدمة يعني يومئذ يتولون الله ويؤمنون به ، ويتبرؤون مما كانوا يعبدون)^(٥) وقال الشوكاني في معناها والمعنى هنالك أي في ذلك المقام: النصرة لله وحده لا يقدر عليها غيره^(٦) .

المسألة الثانية: من هو الولي؟

جاءت كلمة ولي في القرآن في تسعين موضعاً، أربعة وخمسون منها في جانب أولياء الرحمن وستة وثلاثون موضعاً في جانب أولياء

-
- (1) قطر الولي ص 7 .
 - (2) سورة يونس آيتان: 62 - 63 .
 - (3) قطر الولي ص 7 .
 - (4) سورة الكهف آية: 44 .
 - (5) الصلة بين التصوف والتشيع (320/1) .
 - (6) نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن هامش سورة الكهف آية 44 .

الشیطان وأعداء الله تعالى ، والذي يهمننا هو دلالة الولي الله تعالى فكلها تصبّ في معنى الطاعة والالتزام وأنها الوصف الذي يجب أن يكون الإنسان عليه في الحدود التي حددها القرآن الكريم في جانب أولياء الله تعالى ، وهي وصف لمن نال محبة الله أو هي غاية ، الكل يسعى إليها ويجب على من يريد أن يتحقق بها أن يتمكن من الإيمان

بالله تعالى والتقوى قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿﴾ ويفسر ابن جرير الطبري الأولياء في الآية ، بأنهم أنصار الله . والأولياء جمع ولي وهو النصير وقد بينا ذلك بشواهد ، ثم ينقل الطبري ما جاء في الحديث: (إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله ، قالوا: يا رسول الله أخبرنا من هم وما أعمالهم؟ فإننا نحبهم لذلك قال: هم قوم تحابوا في الله بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلی نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس) وقرأ هذه الآية: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ، الحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم (573) وأبو داود في سننه رقم (3527) .

ثم يعلق الطبري على هذا . (والصواب من القول في ذلك أن يقال: الولي أعني ولي الله هو من كان بالصفة التي وصفه الله بها وهو

الذي آمن واتقى كما قال الله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.

ويقول الفخر الرازي في الولي: أما أن الولي من هو؟ فيدلّ عليه القرآن والخبر والأثر والمعقول، أما القرآن فهو قوله تعالى في هذه الآية: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿ الإيمان هنا إشارة إلى كمال القوة النظرية والتقوى إشارة إلى القوة العلمية، ويُستدل عليه من الأخبار برواية عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيهم «قوم تحابوا في الله» أخرجه أبو داود، ويروى من الآثار عن أبي بكر الأصم أن أولياء الله: (هم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان وتولوا القيام بحق عبودية الله تعالى والدعوة إليه)، وأما المعقول: فأساسه الاشتقاق لأن الولي معناه القريب، والقرب من الله تعالى ليس قرباً مكانياً بل المراد به الاستغراق في معرفة الله الإيمان بقدرته والثناء عليه وطاعته وهذا هو غاية القرب من الله.

فهذا الشخص يكون ولياً لله تعالى وإذا كان كذلك كان الله تعالى ولياً له أيضاً كما قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(١) ويجب أن يكون الأمر كذلك لأن القرب لا يحصل إلا من الجانبين، وقال المتكلمون: ولي الله من يكون آتياً

(1) سورة البقرة آية: 257.

بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل ويكون آتياً بالأعمال الصالحة وفق ما وردت به الشريعة^(١) ويرى العلامة أبو السعود أن المراد بالقرب الذي تدل عليه كلمة الولي هنا هو القرب الروحاني كما يدل على ذلك كل من الإيمان والتقوى اللذين يرتبطان بهذه الكلمة^(٢) وفي ضوء هذه المعاني فإن الإمام الشعراني يرى أنه لا بد لمن يريد أن يكون من الأولياء أن يكون متمسكاً بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ مقتدياً بها في أقواله وأفعاله يزن كل عمل يأتي به بميزان الكتاب والسنة فيقول: «واعلم يا أخي أن كل من غفل عن امتثال أمر ربه أو اجتناب نهيه فقد غفل عن ربه، وكل من غفل عن ربه فقد تلف، وعُدِمَ العزم الشرعي، وعرض جسمه لسائر الآفات، وذلك لأن الشفاء في الإقبال والداء المحض في الإدبار، فإن روائح الحضرة الإلهية تجلو الصدأ عن القلب لطيب رائحتها، وكل من توجه لغيرها جاءت الآفات من كل جانب وازداد قلبه صدأً^(٣)».

وقال أيضاً في تأكيده على هذا المعنى ناقلاً عن سيّد الطائفة الجنيد^(٤) (وقد كان سيّد الطائفة الإمام أبو القاسم الجنيد يقول: «كتابنا هذا يعني القرآن سيد الكتب وأجمعها، وشريعتنا أوضح الشرائع، وطريقتنا يعني طريق أهل التصوّف مشيدة بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ

(1) مفاتيح الغيب 5/112.

(2) هامش مفاتيح الغيب 3/5.

(3) لوائح الأنوار 514.

(4) الجنيد: ستأتي ترجمته في الكتاب المحقق.

القرآن ويحفظ السنّة ويفهم معانيها لا يصح الاقتداء به»، وكان رضي الله عنه يقول لأصحابه: «لو رأيتم رجلاً قد تربّع في الهواء فلا تقتدوا به حتى تروا صنعه عند الأمر والنهي، فإن رأيتموه ممثلاً لجميع الأوامر الإلهية مجتنباً لجميع المناهي فاعتقدوه، واقتدوا به، وإن رأيتموه يخلّ بالأوامر ولا يجتنب المناهي فاجتنبوه»^(١).

ونقل الشعراني عن شيخه الشيخ الخوّاص ما يؤكد هذا الإتجاه فيقول الشعراني: «وكان شيخنا سيدي الخوّاص رحمه الله يقول: إن طريق القوم محررة على الكتاب والسنّة تحرير الذهب والحير، ذلك لأنّ لهم في كل حركة وسكون نيّة خالصة بميزان شرعي ولا يعرف ذلك إلا من تبخر في علوم الشريعة»^(٢).

وقال أيضاً: «فاتخذ يا أخي شيخاً واقبل نصحي، وإيّاك أن تقول طريق الصوفية لم يأت به كتاب ولا سنّة فإنه كفر، فإنها كلها أخلاق محمّدية سداها ولحمتها منه» وقال أيضاً: «فإنّ شأن أهل الطريق أن يكون جميع حركاتهم وسكناتهم محررة على الكتاب والسنّة ولا يُعرف ذلك إلا بالتّبحر في علم الحديث والفقه والتفسير» وقال أيضاً: «وقد كان الإمام الجنيد رحمه الله يقول: «لا يكمل الرجل عندنا في طريق الله عزّ وجلّ حتى يكون إماماً في الفقه والحديث، ويحقق هذه العلوم على أهلها»^(٣) وقال أيضاً «وسمعته يقول (أي علي الخوّاص) كان

(1) تنبيه المغترين ص 25.

(2) تنبيه المغترين ص 29.

(3) لوائح الأنوار القدسية 472.

الأشياخ المتقدمون يقولون: لا يجوز للعبد أن يتصدّر للطريق إلا إن علم من نفسه التقيّد بالكتاب والسنة ويكون ظاهره محفوظاً من سائر البدع»^(١).

وقال أيضاً: وسمعتَه (أي الشيخ علي الخواص) رضي الله عنه يقول: لا يبلغ العبد مقام الكمال حتى يكون إماماً في التفسير والفقّه والحديث، ويسلك الطريق على يد شيخ عارف بالله تعالى ويصير يعرف الطريق بالذوق لا بالوصف والسمع، وهناك يدخل الحضرات المحمّدية ويعرف أحكام الشريعة المطهّرة ويميّزها من سائر البدع، لأن الكامل من شرطه ألا يكون له حركة ولا سكون في ليل ولا في نهار إلا على الميزان الشرعي^(٢) ونقل عن الإمام الجنيد قوله: (لا يكمل الرجل عندنا حتى يكون إماماً في الفقّه والحديث والتصوف، ويحقق هذه العلوم على أهلها)^(٣) ونقل عن علي الخواص قوله: من شرط من يدّعي الكمال في طريق أهل الله تعالى أن يكون فقيهاً محدّثاً صوفياً فقلت وقد منّ الله عليّ بالثلاثة^(٤). وقال أيضاً: (ولا يتصدّر أحدهم للإرشاد إلا بعد تبخّره في علوم الشريعة المطهّرة بحيث يطّلع على جميع أدلّة المذاهب المندرسة والمستمرّة ويصير يقطع العلماء في مجالس المناظرة

(1) لوائح الأنوار القدسيّة 9.

(2) لوائح الأنوار ص 633.

(3) المصدر نفسه ص 631.

(4) المصدر نفسه ص 435.

بالحجج القاطعة أو الراجحة الواضحة)^(١).

المسألة الثالثة: مفهوم الولاية

يرتبط مفهوم الولاية دائماً بحسن الصلة بالله تعالى ، ولذلك فالولي شخصٌ يؤيده الله وينصره وهو قريب من ربه يدعوه فيستجيب له ، ويستعيذ به من كل شيء فيعيذه هذا هو المفهوم العام للولاية . ولكن للصوفية مفهوم آخر للولاية ، فهي عندهم أن يصل العبد إلى مقام يفنى فيه عن نفسه بحيث لا يثبت لنفسه فعلاً أو عملاً مستقلاً بل يرى كل ذلك إنما كان بتوفيق الله وفضل الله ، وهذا هو مقام الفناء الذي لا يكمل الولي إلا بشهوده ذوقاً وحالاً ومقالاً ، ولذلك قال نيكلون في كتابه التصوّف الإسلامي :

(يطلق المسلمون اسم الولي على الرجل الذي وصل إلى مقام الفناء عن ذاته وإرادته وبقي بالإرادة الإلهية)^(٢) . ويقول الجرجاني في كتاب التعريفات: (إن الولاية هي قيام العبد بالحق عن الفناء عن نفسه)^(٣) .

ويظن بعض من لم يقف على حقيقة التصوّف أن الفناء هو سلب العقل عن التكليف وإعدام الذات ، ولذلك وقفوا موقف العداء من مقام الفناء وهاجموا أهله ، بينما مراد القوم هو أن ينسوا أنفسهم لا أن

(1) التصوف الإسلامي ص 157 .

(2) تنبيه المغترين ص 25 .

(3) الصلة بين التصوف 26/2 .

يعدموها ، وإذا تتبعنا كتب الشعراي وجدنا أنه يعبر عن هذه الحالة من خلال ما ينقله عن شيخه فيقول: وسمعت سيدي علي الخواص يقول: (مراتب شهود الأكارب ألا يروا شيئاً إلا ويرون الله قبله ، فيكون الحق تعالى حاجباً لهم عن الأكوان ومثل هؤلاء لا يؤمرون بغض البصر كالغير ، وإنما يعصمون أبصارهم حياء من الله تعالى وإجلالاً له ، قال ومشهد من دونهم ألا يروا شيئاً إلا ويرون الحق تعالى معه فيشهدون الحق مع الخلق مع الفرق بين العبد والرّب ، ومشهد أصحاب الفكر من العلماء أن لا يشهدوا شيئاً إلا ويرون الله بعده لأن الأكوان أمارات على القدرة الإلهية والصنعة تدل على الصانع بيقين)^(١).

والصفة الثانية التي أضيفت إلى مفهوم الولاية عند الصوفيّة هو العلم اللدني المأخوذ من قوله تعالى ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾^(٢) ومن قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِكُمُ اللَّهُ﴾^(٣) ومن الحديث المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من أخلص لله أربعين يوماً تفجّرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»^(٤).

(1) لواقح الأنوار القدسية 325.

(2) سورة الكهف آية رقم: 65.

(3) سورة البقرة آية: 280.

(4) الحديث أخرجه الشهاب القضاعي في مسنده حديث رقم (325) (385/1)، قال في كشف الخفاء ج 2 ص 29 (من أخلص لله أربعين يوماً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه) ورواه أبو نعيم بسند ضعيف عن أبي أيوب وقال في اللالكئ

قال الإمام الشعراني في بيان هذا العلم ومصدره: (اعلم رحمك الله أن حقيقة الصوفي فقيه عمل بعلمه فأورثه الله تعالى بعمله الاطلاع على دقائق الشريعة وأسرارها، حتى صار أحدهم مجتهداً في الطريق والأسرار، كما هو شأن الأئمة المجتهدين في الفروع الشرعية)^(١).

وقال أيضاً: إن الولاية وإن جلت مرتبتها وعظمت فهي آخذة عن النبوة شهوداً ووجوداً فلا تلحق نهاية الولاية بداية النبوة أبداً، ولو أن ولياً تقدم إلى العين التي أخذ منها الأنبياء لاحترق وغاية أمر الأولياء أنهم يتعبّدون شريعة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم قبل الفتح وبعده، ومتى ما خرجوا عن شريعة محمد ﷺ هلكوا وانقطع الإمداد عنهم فلا يمكنهم أن يستقلّوا بالأخذ عن الله أبداً، ثم قال: (وكذلك القول في الولي غايته الإلهام الموافق لشريعة محمد ﷺ بعد الفتح فلا يعمل به مستقلاً لأن نبوة التشريع قد انقطعت بموت رسول الله ﷺ ويطلعه على أسرارها حتى كأنه أخذها عن رسول الله ﷺ بلا واسطة)^(٢).

ومن الصفات التي أضيفت إلى مفهوم الولاية الحفظ. يقول الكلاباذي (ولطائف الله في عصمة أنبيائه وحفظ أوليائه من الفتنة أكثر

رواه أحمد وغيره عن مكحول مرسلًا بلفظ (من أخلص لله أربعين يوماً تفجرت ينابيع...).

(1) لواقح الأنوار القدسية ص 435.

(2) التعرف لمذهب أهل التصوف ص 99.

من أن تقع تحت الإحصاء والعدّ^(١) ويقول الإمام القشيري: (فإن قيل: فهل يكون الولي معصوماً؟ قيل: أمّا وجوباً كما يقال في الأنبياء فلا، وأمّا أن يكون محفوظاً حتى لا يصرّ على الذنوب إن حصلت هنات أو آفات أو زلّات فلا يمتنع ذلك في وصفهم)^(٢).

وقال الإمام الشعراني: «والأنبياء مقامهم العكوف في حضرة الإحسان، التي فيها حفظ من حفظ من الأولياء الذين دخلوا حضرة الإحسان، فاسلك يا أخي على يد شيخ ناصح ليدلّك على دخول الحضرة، التي تحفظ منها جوارحك عن الوقوع في شيء من المعاصي، ولا يصير لها قط شهوة إلى معصية وإلاّ فمن لزمك؟ الوقوع حتى لا يكاد يسلم لك عضو واحد من أعضائك من المعصية والله يتولّى هداك»^(٣).



(1) الرسالة ص 16.

(2) لوائح الأنوار 324 - 325.

(3) انظر لوائح الأنوار 324 - 325.

المبحث الثاني:

شخصيات الأولياء وأصنافهم عند الإمام الشعراني

الأولياء عند الإمام الشعراني ملتزمون بكل ما أمروا به، مجتنبون لكل ما نهوا عنه، يترسمون خطا الدين في كل صغيرة وكبيرة، بل إنهم ليتسامون فوق الالتزام بالمأمورات والمنهيات إلى الالتزام بالمندوبات والمحجوبات، لا يحبّ إلا الله ولا يبغض إلا الله.

ويؤكد هذا المعنى الإمام الشعراني فيقول: (أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن نتبع الكتاب والسنة المحمدية في جميع أقوالنا وأفعالنا وعقائدنا، فإن لم نعرف لذلك الأمر دليلاً من الكتاب والسنة والإجماع أو القياس توقفنا عن العمل به، ثم ننظر: فإن كان ذلك الأمر قد استحسناه بعض العلماء استأذنا رسول الله ﷺ فيه ثم فعلناه أدباً مع ذلك العالم وذلك كله خوف الابتداء)⁽¹⁾ وقال أيضاً: (وسمعت سيدي علي الخواص رحمه الله يقول: ليس مراد الأكابر من حثهم على العمل على موافقة الكتاب والسنة، إلا مجالسة الله ورسوله ﷺ في ذلك الأمر لا غير، فإنهم يعلمون أن الحق تعالى لا يجالسهم إلا في عمل شرعه هو ورسوله ﷺ، أما ما ابتدع فلا يجالسهم الحق تعالى ولا رسوله ﷺ فيه أبداً)⁽²⁾. والإمام الشعراني يؤكد أن بعض الأولياء لا يسامحون تلاميذهم في فعل المباح، وذلك تعويداً لهم على

(1) لوائح الأنوار القدسية ص 14.

(2) نفس المصدر السابق ص 14.

فعل المندوبات والواجبات وإيجاد العزائم عندهم على ترك المكروهات والمحرمات .

ولذلك قال الشعراني: (ثم لا يخفى عليك يا أخي أن من شأن أهل الله عزّ وجلّ كونهم يأخذون العهد على المرید بتركه المباح زيادة على الأمر والنهي طلباً لترقيّه، إذ المباح لا ترقّي فيه من حيث ذاته وإنما هو أمر برزخي بين الأمر والنهي، جعله الله مرتبة تنفيس للمكلفين يتنفسون به من مشقة التكليف، إذ الإقبال على الله تعالى في امتثال الأمر واجتناب النهي على الدوام ليس من مقدور البشر، فأراد أهل الله تعالى للمرید أن يقلل من المباح جهده ويجعل موضعه فعل المأمورات واجتناب المنهي أو المرغّب في فعله لأخذهم بالعزائم دون الترخيصات، فاعلم أن أهل الله تعالى من شأنهم ألا يوجدوا إلا في فعل واجب، وما ألحق به من المندوبات والأولى، أو في اجتناب المنهي عنه وما ألحق به من مكروه وخلاف الأولى، فإياك يا أخي أن تبادر إلى الإنكار عليهم إذا رأيت أحداً منهم يأخذ العهد من مرید بتركه المباح وتقول: كيف يأخذ العهد على مریده بترك المباح مع أن الشارع أباحه له، فإنك في وادٍ وأهل الله في وادٍ، وقد صحّ أن رسول الله ﷺ نهى بعض أهله عن فعل المباح، فنهى فاطمة ل عن لبس الحرير والذهب مع أنه ﷺ أباحهما لإناث أمته وقال: (يا فاطمة من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة)⁽¹⁾.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه في لبس الحرير حديث رقم (5494).

ونهى ﷺ عائشة ل عن الأكل في يوم واحد مرتين^(١) وقال لها:
«أكلتان في النهار إسراف والله لا يحب المسرفين»^(٢).

وهنا غالى الإمام الشعراني في حكمه على المباح غلواً شديداً
والحق أن الإباحة معنى كريم ينبغي أن يعنى به رجال الدين
الإسلامي، لأنه ينافي التزمّت الذي يتّهم به رجال الشريعة الإسلامية
وعلماءها، وهو جدير أن يشرح أكبر المعاني التي يتبيّن بها صلاحية
الدين الإسلامي لكل زمان ومكان، وبخاصة ما نُطلق عليه اسم الإباحة
التي تتمثل في الرّخص التي يلجأ إليها المضطر ويتنفس بها المكروب
الضائق، فمن أنصف هذا النوع من الأحكام الشرعية وفاه حقه من
العناية الدائمة... باحثاً ومنقّباً ومستقصياً ليستعرضه في نفسه ويعرضه
على الناس أداءً لحقه ودينه وجماعته.

يضاف إلى ذلك أن الإباحة في أصل معناها الانطلاق
وعدم التقيّد، وهو معنى مطلوب للنفوس وضالّة منشودة لها، فإذا
أمكن أن يتحقق على عين الشريعة الإسلامية وبإشرافها عليه وتمكينها
فيه، كان ذلك من طبيعة ما تتطلع إليه النفوس البشريّة، وتهوي إليه
الأفئدة، ثم إن الإباحة فضلاً عما تقدّم تعينه على تحقيق معاني الجد
وإدراك غايات الحق، إذ في التيسير على النفوس وإطلاقها من عقال
التكاليف قوة عظيمة في تحقيق مشاقّ التكاليف أنفسها، والسر فيما
يتجلى من أحوال النبي ﷺ في بعض أحيانه من أن يمزح ولا يقول إلا

(1) لم أجد هذا الحديث بعد البحث.

(2) لواقح الأنوار ص 25.

حقاً؟ وقد ثبت عن أبي الدرداء (عويمر بن مالك بن زيد الخزرجي):
إني لأستجم نفسي بشيء من الهوى لأستعين به على الحق، وهذا قلة
تخفيف من أعباء التكاليف واللجوء إلى المباحات.

والقرآن الكريم يقول: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا
ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ
أَجْرَهُمْ^ط وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ سورة الحديد آية: 27.

فالله عز وجل لم يذم أتباع عيسى عليه السلام على الابتداء،
ولكنه ذمهم على عدم الرعاية، فهل الشأن في الإسلام كهذا؟
الحق أن البدعة كما تكون في إحداث جديد، تكون في ترك
شيء من الأشياء المباحة على سبيل التدين والتعبّد، وذلك كترك نوع
من الأطعمة ونوع من اللباس والزينة، أباحها الله لكنه تركها زاهداً
وقصد بذلك العبادة، ففي هذه الحالة وضع نفسه في منزلة الشارع في
اعتبار الترك عبادة، والشارع لم يشرع إلا فيما عيّنه، ويلحق بذلك
الابتداء بقصد الحصول على زيادة الثواب عند الله، ويظن أن طريق
هذا تحميل النفس مشقة من جنس ما يتعبّد الله به، وهذا تارة يكون
بالحاق غير المشروع بالمشروع لأنه يزيد في المقصود من التشريع،
ومن أمثلة ذلك التعبّد بترك السحور في شهر رمضان لأنه يضاعف قهر
النفس المقصود من مشروعية الصوم، والتعبّد بتحريم الزينة المباحة
التي لم يحرمها الله لأنه يزيد في المقصود من تحريم الذهب والفضة.
وأكد الإمام الشعراني أهمية المحافظة على السنن وعدم التهاون

بها وأنها شرط من شروط أهل التربية ، ولذلك ينقل عن شيخه فيقول :
وسمعت سيدي محمد بن عنان يقول : « لا يبلغ الفقير مقام الأدب مع
الله تعالى ، إلا إن تاب من ترك السنن كما يتوب من ترك الواجبات ،
ويندم على فعل المكروهات كما يندم على فعل الكبائر هذا لفظه » قال
سمعت سيدي علي الخوَّاص رحمه الله يقول : « لا يبلغ العبد مقام
الأدب مع الله تعالى حتى يفرِّق بين الأوامر والنواهي ، فيعتني بالتوبة
من ترك الواجب أكثر من توبته من ترك السنن ، ويندم في فعله الكبائر
أكثر من فعله الصغائر ، ويندم في فعله للصغائر ، أكثر من ندمه في فعل
المكروهات ، ويندم في فعله للمكروهات أكثر من ندمه في فعل خلاف
الأولى ، لأننا تابعون لا مشرِّعون » قال الشعراني مُعلِّقاً على النصِّين :
« أي فإن الشارع فاوت بين المأمورات والمنهيات ، والأدب أن نفاوت
بينها في المرتبة ولا نجعلها كلها واحداً ، فيحمل كلام سيدي محمد
ابن عنان على أحوال المريدين وكلام سيدي علي أحوال العارفين لأن
المريد في مقام الزجر والتنفير والترغيب ، والعارف في مقام
التحقيق ، لبعد مقامه عن الاستهانة بفعل مأمور أو ترك
منهي ، بخلاف المريد >(1).

وقال الإمام الشعراني أيضاً : « وبالجملة فالكمال في الشخص إنما
يكون بمراعاة معرفة الشرع والعرف والعمل بهما والسلام »(2) .
يبدو لي والله أعلم أن الإمام الشعراني كتب هذه العبارة ونُصب

(1) لوائح الأنوار القدسية ص 347 .

(2) المصدر نفسه ص 343 .

عينه قول الله عزَّ وجلَّ ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: 199] فقوله ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ يتناول جميع ما أمر به الشارع، بل يتناول الكف عن جميع ما نهى عنه، لأن كل نهى يتضمن أمراً بضده، فتناول كل ما أمر به الشارع ونهى عنه، وتناول كل ما تعارفه الناس من العادات الحسنة وطرق المعاملات الحسنة، وعلى هذا فالعرف قسمان: قسم أمر الله به، وقسم تواضع عليه الناس وألفوه، أعني العقلاء منهم وأهل الفضل والعلم، ورضيه جمهور المسلمين، ولهذا القسم أيضاً الذي تواضع عليه الناس، طلب الله سبحانه المحافظة عليه، ما لم يخالف نصّاً شرعياً من الكتاب والسنة.

وهذا العرف المتواضع عليه يختلف باختلاف العصور والبلاد، فقد تنكر أمة عرف أمة، وقد ينكر عصر عُرف عصر، ومع هذا فإن الله يطلب العمل بالعرف، ويحترم عادات الناس.

وعليه فالعرف حسن جميل إما لأنه مطلوب الشارع، وإما لأنه محبوب عند جمهور الناس وغير مناقض لأصول الشريعة وللعرف فضل عظيم في الفقه الإسلامي وهو من المصادر الشرعية التبعية المختلف فيها، وقد أَلَّف فيه ابن عابدين رسالة مستقلة سماها (نشر العرف في فضل العرف) وقد تكلم عليه الأصوليون في مؤلفاتهم وألفت فيه رسائل دكتوراه معاصرة نظراً لأهميته ومكانته، وقد عطف الإمام الشعرائي العرف على الشرع، مع أن العرف من مصادر الشرع ولعلَّ الإمام الشعرائي فعل ذلك من باب عطف الخاص على العام لتأكيد مكانة العرف.

والأولياء عند الإمام الشعراني هم الملتزمون بالاستقامة في أعلى مراتبها ولذلك جاء في أسئلته لشيخه الخواص عن معنى الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [سورة فصلت: 30].

فقال: وسألته رحمته الله عن الموصوف حقيقة بهذه الأوصاف فقال رحمته الله: هذه الآية مخصوصة بأكابر الأنبياء وكُمَّل ورثتهم في ظاهرها، وعامتهم في باطنها من وجه آخر فقلت له كيف؟ فقال: (إن الذين قالوا ربنا الله) كُمَّل الأنبياء، (ثم استقاموا) محمد صلوات الله عليه (تتنزل عليهم الملائكة) عامة النبيين، (ألا تخافوا ولا تحزنوا) كُمَّل العارفين، (وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) جميع المؤمنين، فقد بينت هذه الآية مراتب الكُمَّل التي تليها صفاتهم وأحوالهم، وهذه الآية في الجوامع.

ويعتبر الإمام الشعراني أن من علامات الاستقامة البعد عن الحرام والشبهات: فقال: أجمع أشياخ الطريق كلهم على أن من أكل الحرام والشبهات لا يصح له إخلاص في عمل، لأنه لا يخلص إلا من دخل حضرة الإحسان ولا يدخل حضرة الإحسان، إلا المطهَّر من سائر النجاسات الباطنة والظاهرة، لأن مجموع أهل هذه الحضرة أنبياء وملائكة وأولياء، وهؤلاء من شروطهم العصمة والحفظ من تناول الحرام والشبهات، فكلَّ شيخ لم يصحَّ له الحفظ في نفسه فهو عاجز عن توصيل غيره إلى تلك الحضرة، اللهم إلا أن يمنَّ الله تعالى على بعض

المريدين بال جذب دون السلوك المعهود إلى تلك الحضرة .
وقال أيضاً في بيان شروط الاستقامة مراقبة الله في جميع الحركات
والسكنات: وقد رأيت بعض الأكابر من العارفين يشهد الله تعالى كل
يوم في جميع ما يتحرك فيه أو يسكن ويقول: (اللهم إن كنت تعلم أن
جميع حركاتي وسكناتي في هذا اليوم خير لي فاقدرها لي ويسرها
لي، وإن كنت تعلم أنها شرّ لي فاصرفها عني واصرفني عنها) ولذلك
يعتبر الإمام الشعراني أن الاستقامة لها مظاهر متعددة في سلوك الأولياء،
ومن أهم هذه المظاهر الورع، ولذلك يقول: (ثم لا يخفى أن أهل الله
تعالى لا يعولون في الورع على العلامات الظاهرة في الأيدي، وإنما
يعولون على ما يلقيه الحقّ تعالى في قلوبهم، فقد يكون الذي يأخذونه
من يد صالح حراماً، وقد يكون الذي يأخذونه من ظالم حلالاً، فمثل
هؤلاء يسلم لهم حالهم لاطلاعهم على بواطن الأمور، بخلاف من لم
يطلع إلا على ظواهرها).

وقال الإمام الشعراني: إن أهل الله عزّ وجلّ لا يسامحون المرید
بارتكابه شيئاً من المكروهات، فضلاً عن المحرّمات الظاهرة أو
الباطنة، وأن طريقهم محررة على موافقة الكتاب والسنة كتحرير
الذهب، بخلاف ما يظنّه من لا علم له بطريقهم، وقد أجمع أهل الله
تعالى على أنّه لا يصحّ دخول حضرة الله تعالى في صلاة وغيرها إلا
لمن تطهّر من سائر الصفات المذمومة ظاهراً وباطناً، بدليل عدم صحة
الصلاة لمن صلّى وفي ثوبه أو بدنه نجاسة غير معفو عنها، أو ترك
لمعة من أعضائه بغير طهارة، ومن لم يتطهر كذلك فصلاته صورة لا

روح فيها حقيقة، كما أن من احتجب عن شهود الحق تعالى بقلبه في لحظة من صلواته بطلت صلواته عند القوم، كذلك وقد نبّه الشارع ﷺ باشتراط الطهارة الظاهرة على اشتراط الطهارة الباطنة، فأراد الله تعالى من المرید أن يطابق في الطهارة بين باطنه وظاهره ليخرج من صفة النفاق.

وقال أيضاً: ومن هنا كان الفقراء يأخذون المرید على كل حركة فعلها مع غفلة أو سهو، فأرادوا له أن يمشي على مدرجة الأنبياء وهجره على ذلك طلباً لترقيهم فافهم^(١).

وقال أيضاً: (أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن نسعى في تطهير باطننا من سائر الأدناس بالسلوك على يد شيخ مرشد ليطابق لباسنا الأبيض قلبنا الأبيض، فإن الشارع ﷺ ما ندبنا إلى لباس الأبيض إلا ليتنبه لذلك العارفون فيسعون على تبييض قلوبهم مثل ثيابهم)^(٢).

وقال أيضاً: (من أقل شروطه (أي الشيخ) التورّع عن أموال الولاية، وألا يكون له معلوم في بيت المال ولا مسموح ولا هدية)^(٣)، والأولياء عند الإمام الشعراني من أحسن الناس أخلاقاً صفحاً عن زلات الناس وتحملاً لجفائهم، ومقابلة تقصيرهم بالإعراض والصلة إليهم وقد أكد هذا المعنى فقال: (أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن نروّض

(1) لواقح الأنوار ص 748.

(2) لواقح الأنوار ص 346.

(3) لواقح الأنوار القدسية ص 10.

نفوسنا على مراقبة الله عزّ وجلّ، حتى نرفق بخلق الله، ونتأنّى في
تحصيل ما نطلبه، ونحلم على من خالفنا وعصانا وآذانا، وهذا العهد من
أكمل أخلاق الرجال وقليل فاعله، ومن تخلّق به ذوقاً لم يصر عنده
غلظة ولا فظاظة إلا على من أمره الله بالإغلاظ عليهم كالكفار، وكذلك
من تخلّق به لم يتكدر ممن أبطأ في قضاء الحاجة أبداً لأن الرسول لم
يبطئ بها وإنما أبطأ بها وقتها المضروب لها في علم الله⁽¹⁾.

ويؤكد الإمام الشعراني على أهمية الأخلاق الفاضلة اللازم
توفرها في الولي فقال: أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن
نعوّد نفوسنا طيب الكلام وطلاقة الوجه لكل مسلم من عدوّ وصديق،
ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سلوك على يد شيخ ناصح
يدخل به الحضرات الإلهية، فيشاهده محاسن الوجود، ويحجبه عن
مساويه، إذ المحاسن هي الأصل والمساوي عارضة عرضت من حيث
الأحكام الشرعية لا غير).



(1) المصدر نفسه ص 465.

المبحث الثالث:

الطريق إلى ولاية الله كما يراها الإمام الشعراني

المسألة الأولى: أهمية الشيخ في الطريق إلى ولاية الله:

ركز الإمام الشعراني في هذا الجانب على أهمية المريد والشيخ، والمريد هو الذي صمم تصميمًا لا رجعة فيه أن يقطع حاجز الغفلة والبعد عن ربه، وأن يجاهد نفسه مجاهدة جادة، حتى يتحرر من أسر الشهوات والغرائز، ويعتاد على الالتزام بكل الأوامر الإسلامية والابتعاد عن المنهيات، وهذا المريد لربما يضعف عندما ينفر بنفسه في المجاهدة، ولذلك لا بد له من أسوة يتأسى بها ومن قدوة يأخذ بيده، ومن شيخ يرى عليه آثار الكمال يستطيع أن ينهض بهمته، ولذلك أطلق الصوفيّة هذا المبدأ العظيم وهو قولهم: «ما فاز من فاز إلا بصحبة من فاز، ولا وصل من وصل إلا بصحبة من وصل» ويعتبرون الشيخ كالأخ الكبير الذي يأخذ بيد أخيه الصغير رحمة وشفقة من أن يقع في مهاوي المخالفات والتقصير، وهذا ما أكد عليه الشعراني كثيرًا في غالب كتبه وبخاصة في كتاب (لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية) ولذلك سأقتصر على نقل بعض النصوص التي تعزز هذه القضية، وتدلل على هذا الاتجاه.

يقول الإمام الشعراني: (فاطلب يا أخي شيخًا صادقًا إن طلبت الترقّي إلى مقام الإخلاص ولا تسأم من طول طلبك له، إنه أعز من

الكبريت الأحمر^(١).

والشيخ عند الإمام الشعراني كالطبيب الذي ينّبّه على الداء المتبصّع في جسم المريض، فهو ينّبّه المرید على تقصيره وتفويته للخيرات حتى يبادر ويسارع في تدارك ما فاته من خير قال الشعراني: (فاسلك يا أخي على يد شيخ يخرجك من هذه الرعونات والظلمات والدعاوى، وتصير تبكي على تفريطك في الأعمال حتى يصير لك خطّان أسودان في وجهك من سيلان الدموع، وإن لم تسلك كما ذكرنا فيطول تعبك في الآخرة ويا خسارة تعبك في تحصيلك في الدنيا).

ويبرّر الإمام الشعراني إلحاحه بضرورة الالتزام مع شيخ يسلك به ويدلّه على الصواب في إزالة الموانع فيقول: (اعلم يا أخي أن طريق العمل بالكتاب والسنة قد توعّرت في هذا الزمان، وعزّ سالكها لأمر عرضت في الطريق يطول شرحها، حتى صار الإنسان يرى الأخلاق المحمّدية فلا يقدر على الوصول إلى التخلّق بشيء منها، ولذلك كنت أقول في غالب العهود وهذا العهد يحتاج من يعمل به إلى شيخ يسلك به الطريق، ويزيل من طريقه الموانع التي تمنعه عن الوصول على التخلّق به)^(٢).

وقال أيضاً: (وكذلك أجمع أهل الطريق على وجوب اتخاذ الإنسان له شيخاً يرشده إلى زوال تلك الصفات التي تمنعه من دخول

(1) لوائح الأنوار القدسية ص 10.

(2) المصدر نفسه ص 4.

حضرة الله تعالى بقلبه حتى تصحَّ صلواته من باب: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ولا شك أنَّ حبَّ الدُّنيا والكِبَر والعُجب والرِّياء والحسد والحقد والغِلِّ والنِّفاق ونحوها كلُّه واجب التخلُّص منه كما تشهد له الأحاديث الواردة في تحريم هذه الأمور والتوعُّد بالعقاب عليها^(١).

والشعراني يرى أن حبَّ الدُّنيا إذا تمكَّن من القلب ابتعد صاحبه عن كل خير واقترب من كل شر لأنَّ حبَّ الدُّنيا رأس كل خطيئة ولذلك يقول: (أخذ علينا العهد من رسول الله ﷺ أن يكون عندنا سماحة في البيع والشراء^(٢) وسهولة في أخذ حقنا وفي وزن ما للناس

(1) لوائح الأنوار القدسية ص 9.

(2) خلاصة الكلام في هذا المقام أن الإمام الشعراني يريد من المُريد أو التلميذ أن يكون له حرفة أو صناعة يتقوى بها على شؤون الحياة وما ذهب إليه هذا الإمام رحمه الله موافق لما جاء في نصوص الشريعة من القرآن والسنة، وليس أدلَّ على ذلك من قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل 97] قال الحافظ ابن كثير ما نصه: هذا وعد من الله تعالى لمن عمل عملاً صالحاً أو أن هذا العمل المأثور به مشروع من عند الله بأن يحييه حياةً طيبةً في الدنيا وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة. وعلى هذا القول جمهور العلماء والمفسرين.

ومن الأحاديث الدالة على فضل العمل ومكانته قول النبي ﷺ (ما أكل عبد طعاماً خيراً من أن يأكل من عمل يده، وأن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده) أخرجه البخاري، فتح الباري كتاب البيوع باب كسل الرجل ج 4 ص 355 حديث رقم (2071) وقال عليه الصلاة والسلام (لأن يأخذ أحدكم أحبله ثم يأتي الجبل، فيأتي بحزمة من الحطب على ظهره فيبيعها فيكفَّ بها وجهه، خير له من =

علينا، ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى السلوك على يد شيخ صادق، يخرج من حضرة محبة الدنيا والحرص على جمعها، ويدخله حضرة الولاية التي منها يرى الدنيا بأسرها لا تزن عند الله جناح بعوضة، ويرى منها عظمة حرمة المؤمن وأن الدنيا بأسرها لو كانت في يده وأخذها إنسان فلا فرق عنده بينها وبين كناسة البيت، وهناك يكون عنده سماحة في البيع والشراء وحسن المطالبة والعطاء، ومن لم يسلك الطريق كما ذكرنا فمن لازمه غالباً تقديم تحصيل الجديد النقرة^(١) على حرمة أبيه فضلاً عن الأجنب، فاعمل يا أخي على السلوك على يد شيخ إن أردت أن تكون من أهل الجنة ومحجوباً عند الله وعند الناس والله يتولى هداك^(٢) وقال أيضاً: ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد (المحافظة على قيام الليل والزهد في الدنيا) إلى شيخ يخرج من حب الدنيا شيئاً فشيئاً حتى لا يبقى له همّ دون الله

= أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه) أخرجه البخاري (فتح الباري كتاب الزكاة باب الاستعفاف عن المسألة ج 3 ص 393 حديث رقم (1471) وسئل رسول الله ﷺ أي المكاسب أفضل؟ فقال ﷺ: (أكل الرجل بيده وكل بيع مبرور) (الترغيب والترهيب ج 523/2) وقال عليه الصلاة والسلام: (من أمسى كالأ من عمل يده أمسى مغفوراً له) (مجمع الزوائد 67/4، والطبراني في الأوسط 524/2). ومما يؤثر عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ قوله: (لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة). وقوله ﷺ: (إني لأرى الرجل فيعجبني فإذا قيل لا صنعة له سقط من عيني) والآيات والأحاديث والآثار في ذلك كثيرة..

(1) أي تحصيل الدرهم والدينار الجديدين ضرباً.

(2) لوائح الأنوار القدسية ص 304.

تعالى ولا عائق يعوّقه، فإن حكم الشيخ في سلوكه بالمريد وترقيّه في الأعمال حكم من يمر بالمريد على جبال الفلوس الجدد، فإذا زهد فيها سلك به على جبل الفضة، فإذا زهد فيها سلك به حتى يمر به على جبال الذهب، ثم الجواهر، فإذا زهد فيها، مر به إلى حضرة الله تعالى فأوقفه بين يديه من غير حجاب، فإذا ذاق ما فيه أهل تلك الحضرة زهد في نعيم أهل الدنيا والآخرة، وهناك لا يقدم على الوقوف بين يدي الله شيئاً أبداً، وأما بغير شيخ فلا يعرف أحد يخرج من ورطات الدنيا ولو كان من أعلم الناس بالنقول في سائر العلوم فاطلب لك يا أخي شيخاً يسلك بك كما ذكرنا^(١).

وقال أيضاً: (ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يسلك به حتى يمزق محبة عوائده، ولا يصير له عن الله عائق بل يفهم مراد الحق تعالى بأول وهلة)^(٢).

والشيخ ضروري عند الشعراني لقطع الخواطر وحديث النفس في الصلاة فقال: (فاسلك يا أخي على يد شيخ ناصح يشغلك بالله تعالى حتى يقطع عنك حديث النفس في الصلاة)^(٣). وقال في هذا الغرض (ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يسلك به حتى يقطع عنه الخواطر المشغلة عن خطاب الله تعالى)^(٤).

(1) لوائح الأنوار القدسية ص 100.

(2) المصدر نفسه ص 113.

(3) المصدر نفسه ص 44.

(4) المصدر نفسه ص 44.

كما أن الشيخ ضروري عند الشعراني لتعريف المرید بعظمة الله تعالى ومقدار حضرته تعالى فقال: (فتحتاج يا أخي إلى شيخ يسلك بك حتى تعرف عظمة الله تعالى، وتعرف مقدار حضرته وأهلها، وتصير يشقّ عليك مفارقتها حتى ترى الضرب بالسيف أهون عليك من مفارقتها وإلا فمن لازمك التهاون بها لأنك لم تعرف للحضور مع الله طعماً والله يتولى هداك)^(١).

وقال أيضاً: (فاسلك يا أخي على يد شيخ يعلمك مراتب العبادات والاعتناء بأوامر الله تعالى)^(٢).

وأهم صفة للمرید المتصدّر للمشيخة عند الشعراني أن يكون نفاعاً للناس فقال: (من أعظم حسن الخلق أن يكون الإنسان نفاعاً للناس مع ذلك يذمونه وينتقصونه فلا يمنعه ذلك من النفع لهم)^(٣).

وقال أيضاً: (من شرط الداعي إلى الله تعالى ألا يكون عنده غلظة ولا فظاظة على الفسقة والمارقين، بل يجب عليه تليين الكلام والتقرب إلى خواطرهم بالإحسان إليهم حتى يميلوا إليه فإذا مالوا فينصحهم إذ ذاك). ومن صفات المشايخ عند الشعراني عدم هجران أحد من المسلمين إلا لمصلحة. لذلك قال: (اعلم أن الأكابر لا يهجون أحداً إلا لمصلحة فهم يتركون السلام عليه تقبيحاً لصنيعه، وهم في الباطن

(1) لوائح الأنوار القدسية ص 17.

(2) المصدر نفسه ص 71.

(3) لوائح الأنوار القدسية ص 462.

يحبونه محبة أهل الإسلام لبعضهم بعضاً^(١). وقال أيضاً: (فإن من شرط الشيخ أن يكون محفوظ الظاهر مهأباً في العيون)^(٢).

وقد اشترط الإمام الشعراني شروطاً في هذا المرید الذي يريد أن يتخذ له شيخاً فقال: (ومن شأنه (أي المرید) ألا يتلمذ إلا لشيخ قد تزلّع من علوم الشريعة وذلك ليكفيه عن الاجتماع على غيره)^(٣) وقال أيضاً: (ومن شأنه أن يحافظ على آداب الشريعة والمشى على ظاهرها ما أمكن فإن الترقّي كله في امتثال أمر الشارع)^(٤).

وقال أيضاً: (فالكَمَلُ في الأخلاق الإلهية لا يغضبون لأنفسهم كما أن الله تعالى لا يغضب لنفسه ويغضب لغيره، فلو انتقم الله تعالى لنفسه لأهلك الخلق كلهم في لمحة فافهم، وبلغنا أنهم صبوا مرة على الجنيد عليه السلام غسالة سمك وهو خارج لصلاة الجمعة، فعمّته من رأسه إلى ذيله فضحك، وقال من استحق النار فصولح بالماء لا ينبغي له الغضب، ثم عاد إلى البيت واستعار ثوب زوجته فصلّى فيه.

وكان السلف الصالح ي يقولون: الدرجات هي الخلق الحسن فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدرجات، وكانوا إذا آذاهم إنسان يعتذرون إليه ويقولون نحن الظالمون لك)^(٥).

-
- (1) المصدر نفسه ص 467.
 - (2) المصدر نفسه ص 319.
 - (3) قواعد الصوفية ص 90.
 - (4) المصدر نفسه ص 114.
 - (5) لوائح الأنوار القدسية ص 460.

ومن هذه الشروط أيضاً التي ذكرها الإمام الشعراني في وصف الشيخ: (ألا يدخل في طريق القوم إلا بعد تضرّعه في علوم الشريعة والحديث، وإلا فيخاف عليه الزندقة والابتداع، وتعليل ذلك أنه كثيراً ما يفتح أمام السالك أمور منها: لا فاعل إلا الله، ولا ملك إلا الله ولا موجود إلا الله، هذا وإن كان حقاً إلا أن الميزان الشرعي يزن الأمور، ويوجّه الأحكام، ويقرّر النظم، فلا يخرج السالك عن حدود الشرع رغم شهوده ذلك، وعليه أيضاً أن يقرأ شيئاً من عقائد أهل السنّة قبل دخوله الطريق ليصحّ اعتقاده مما يتوهمه بعضهم من التشبيه والجسمية، ولا يطّلع إلا على كلام الكمّل من الأولياء الذين لا ينقص ظاهرهم عن باطنهم^(١)).

وقال أيضاً: (ومن شأن الشيخ التواضع وعدم التميّز عن غيره من الخلق بخلق غريب يعرف به، إلا إن كان مغلوباً^(٢)) ولا بد للشيخ من أن ينزل الناس منازلهم، ولا يتبع التقليد في ذلك، بل يكون يقظاً، فأعظم الناس حرمة وأحقهم بالتعظيم أكثرهم اتباعاً للنبي ﷺ^(٣)).

وقال أيضاً: (وعليه أن يتحمّل الأذى منهم ومن جميع الخلق، ويشهد ذلك من رحمة الله به ونعمته عليه حتى لا يركن إلى سواه لاسيّما في ابتداء أمر الفقير، ويستشهد الشعراني في ذلك بقول الشاذلي رحمته):

(1) البحر المورود ص 123.

(2) البحر المورود ص 124.

(3) المصدر نفسه ص 129.

«جرت عادة الحقّ سبحانه وتعالى مع أنبيائه وأصفيائه أن يسلّط عليهم الأذى في مبتدأ أمرهم ثم تكون الدولة لهم آخرًا»^(١).

وقال أيضاً: (وعليه أن يعتمد في إرشاده على ما يلقيه الحقّ في قلبه وقال أيضاً: (فيعطي كل شخص من مرّديه ما يقبله استعداده)^(٢).

وقال أيضاً: (وعليه أن يحذر من الألفاظ التي يفيد ظاهرها الدعوى وتزكية النفس مثل: نحن ما بقينا ناساً إلا من حين اجتمعنا بالشيخ الفلاني أو مثل: الكشف إنما يقع للناقصين والكاملون لا كشف لهم)^(٣).

وقال أيضاً: (من آداب الشيخ ألا يظهر تكلفاً زائداً على حالته التي يكون عليها منفرداً إذا طرّقه زائر ويستشهد على ذلك بقول الفضيل ابن عياض: «لو دخل عليّ شخص وسوّيت لحيّتي بيدي لدخوله لخفت أن أكتب عند الله من المنافقين»^(٤).

وقال أيضاً: (ومن شرطه أن ينظر في مصالح إخوانه ويأمرهم بالحرفة وعمل اليد ولا يعطلّهم بأخذهم معه في الولايم ولو طلبوا منه ذلك لأنهم قاصرون، وكل ساعة تمر على العبد وهو في حرفته التي يعود منها نفع عليه وعلى عياله، أفضل من حضور ألف وليمة معه لا

(1) المصدر نفسه ص 13 .

(2) المصدر نفسه ص 150 .

(3) المصدر نفسه ص 15 .

(4) المصدر نفسه ص 15 .

يتعين عليه حضورها، فالعارف من يسلك الناس وهم في حرفهم، ولا يزال يحث على ذلك وعلى الورع عن الأكل من مال الغير ما أمكن^(١).

وقال أيضاً: (ومن شروطه أن يرفع همته عمّا بأيدي أصحابه من الدنيا، ويخفي حاجته عنهم ما أمكن، إيثاراً لتحمل المشقة عنهم، واقتداء بالنبي ﷺ إذ كان يعصب الحجر على بطنه من الجوع، وليحذر التعريض بحاجته في بعض الأمور وبخاصة بحضرة الأمراء، أما إذا كانت الحاجة للإخوان فلا بأس بذلك)^(٢).

وسبب تركيز الشعراني على شروط الشيخ وضرورة توافرها فيه لأنه يترتب عليها آثار كبيرة على نفوس الأتباع والمريدين، لأن الشيخ هو القدوة يصلح بصلاحه المرید ويفسد بفساده، ولأنه رأى في عصره من الشيوخ من لا ينهضون بواجبهم ولم يؤدوا رسالتهم وكان وجودهم مدعاةً للإفساد لا للإصلاح، فوجد أن من واجبه أن ينصح هؤلاء حتى ينجو التصوف مما لحق به على أيديهم، وحتى يعود له شبابه ونضرتة، وحتى يسلم الدين من عواديتهم، والله أعلم.

المسألة الثانية: المرید:

لئن كان الإمام الشعراني اهتم بالشيخ، فلقد عني بالمرید عناية

(1) المصدر نفسه ص 180.

(2) البحر المورود ص 160.

بالغة وورسم له طريقه الواضح، الذي إذا سار عليها صلح أمره وتمّ رشده، ووضع له آداباً معينة، عليه أن يتبعها ويتحلّى بها من زهد، وورع، وخشية، وملازمة للطاعة، ومحافظة على الورد، والخلوة، وصمت، وسهر، وسياحة، وعزلة، وغير ذلك مما سيمرّ بعضه بإذنه تعالى.

فهو يرى أن المرید قبل تلقينه الذكر عليه أن يكون ذا حرفة، ويرى أن الزهد لا ينافي مقامه للتجارة والبيع والسفر في أمور الدنيا الظاهرة، لأنّ دنيا الزاهدين لآخرتهم، وآخرتهم لربهم، وعلى ذلك يحمل أصحاب التجارات والأموال من الصحابة والسلف الصالح، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا نُلْهِمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾⁽¹⁾ ولا ينافي هذا قوله تعالى في حقّهم في آية أخرى ﴿مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾⁽²⁾ لأنّ المراد منكم من يريد الدنيا أي للآخرة بدلاً وإيثاراً ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ أي لفضل الجهاد لا غير، ولم يطلب غنيمة ولم يلتفت إليها فمن الصحابة الفاضل والأفضل والكامل والأكمل فحذار أن تظنّ غير ذلك⁽³⁾. وقد أورد عن شيخه الخواص حين سأله عن الاحتراف

(1) سورة النور آية: 37.

(2) سورة آل عمران آية: 152.

(3) آداب العبودية ص 45.

قوله: «من لا عمل له لا أجر له» وأوضح ذلك القول: بأن الأعمال والاكْتساب مديرة للفلك وموجبة للأثر بحسب نيات من ظهر عنهم، وكل من كان فعله أتقن وأكمل كان فعله أسرع دوراناً للفلك، وكان مضاعفة الحسنات أكثر، ومن كان تاركاً للأسباب أصلاً، دار الفلك بنصيب غيره، ولم يحصل له شيء من الإمداد، لكونه لم يعمل شيئاً وهذا فهم في غاية الروعة والجمال.

كما يركّز الإمام الشعرائي على ضرورة أن يكون المرید متعلّماً، ولا يفرّق رحمه الله تعالى بين العلوم الشرعية والعلوم الكونية، ويرى أنها كلها موصلة إلى الله تعالى، ولذلك يرى أن: العلم الظاهري ضرورة لتعمير الحياة بل ويرى أنه وسيلة للتقرّب إلى الله تعالى عند أهل الحقّ.

ويقول في ذلك: «إن أهل الحقّ يشهدون جميع العلوم، حتى الحساب، والهندسة، وعلوم الرياضيات، والمنطق، والعمل الطبيعي لها دلالة وطريقة إلى العلم بالله تعالى»⁽¹⁾.

وإنني في هذا الموضوع أؤيد الإمام الشعرائي رحمه الله في بيان فضل العلم وأهله، وأن العلم في نظر الإسلام ليس خاصاً بعلم الشرائع والأحكام من حلال وحرام، وإنما العلم في نظره يشمل جميع العلوم التي تفيد الإنسان في القيام بالمهمة التي خلق من أجلها منذ قُدِّرَ خَلْقُهُ، وَجُعِلَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ، وحسبنا في ذلك أن أوّل نداء

(1) درر الغواص ص 131.

إلهي افتتح الله به وحيه إلى رسوله ﷺ قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿١﴾ وقوله عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢) ويفهم من هاتين الآيتين أن العلم المطلوب ليس خاصاً بمعرفة الدين، بل ويشمل كل ما يدركه الإنسان من الطرق المشروعة التي تفيد الإنسانية جمعاء، وإدراك ما يصلح الحيوان علم، وإدراك ما يسعد الإنسان ويقويه علم.

وقد أدرك المسلمون الأوّلون قيمة العلم ومنزلته في نظر الإسلام، وأنه أساس الإصلاح وأساس عمران الدنيا والكون، وأنه ضروري لرقى الأمم والأفراد، وكان هؤلاء المسلمون الأوّلون أمة أمية فجدّوا في محو أميتهم بكل الوسائل.

ولأول مرة في تاريخ البشرية جعل النبي ﷺ فدية أسرى المشركين الذين يعرفون القراءة والكتابة تعليم الأميين من المسلمين، ولأول مرة أوجب النبي ﷺ صحابته أن يعلموا الجهّال، وأوجب على الجهّال أن يتعلموا منهم، وأمهل الفريقين سنة، وأنذرهم بأن من لم يُعلم أو من لم يتعلم يعدّ مجرماً اجتماعياً، يستحق العقوبة في الدنيا عدا عن عقوبته عند الله في الآخرة.

ومما يعزّز هذا الكلام ما جاء في الترغيب والترهيب للحافظ

(1) سورة العلق الآيات: 1 - 5.

(2) سورة الزمر آية: 9.

المنذري أن رسول الله ﷺ خطب ذات يوم فأثنى على طوائف المسلمين خيراً ثم قال «ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم، ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم؟! ما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون؟ والله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم، ويعظونهم ويأمرونهم وينهونهم، وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون أو لأعاجلنهم بالعقوبة الدنيا» فقال قوم: (من تروونه عنى بهؤلاء؟ قالوا: عنى الأشعريين، هم قوم فقهاء ولهم جيران جفاة من أهل المياه والأعراب، فبلغ ذلك الأشعريين فأتوا رسول ﷺ فقالوا: يا رسول الله ذكرت قومًا بخير وذكرتنا بشر، فما بالنا؟ فأعاد عليهم إنذاره فقالوا: يا رسول الله، أنفطن غيرها؟ فأعاد قوله عليهم، فأعادوا قولهم: أنفطن غيرنا، فأعاد أيضاً قوله عليهم، قالوا: يا رسول الله أمهلنا سنة، فأمهلهم سنة ليفقهوهم، ويعلموهم ويعظوهم) (١) ثم قرأ رسول الله ﷺ قول الله تعالى ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٢).

وإلى هذا المبدأ الجليل يرجع الفضل في النهضة العلمية والحضارة الإسلامية، حيث كانت العلوم الشرعية والعلوم الكونية تمشي جنباً إلى جنب، مع انتشار الإسلام وفتوحاته في عصوره الأولى الزاهرة،

(1) رواه الطبراني في الكبير.

(2) سورة المائدة الآية: 78.

قبل أن يستولي الكسل والجمود على المسلمين في العصور المتأخرة ،
عصور الضعف والانحلال .

ويرد على من يرى في دراسة هذه العلوم حجبا عن الله : «فإن
الذي يشهد ذلك إنما هو محجوب عن موضع الدلالة فيها عن الحق ،
فعلم أن: جميع العلوم التي تحجب أكثر الناس هي عند أهل لا
حجاب فيها»⁽¹⁾.

وهذا ذوق عال في الفهم وإدراك لم يسبق إليه إلا أنه يرى إلى
جانب ذلك البدء في تلقي العلوم بالأهم فالأهم ، والأهم هو الذي
يُسأل عن تضييعه يوم القيامة ، وبخاصة العلم المتعلق بالفرائض
والعبادات والأحكام ، ثم بعد ذلك يبين أن المرید هو الذي قرر أن
يلتزم بأخلاق القوم ، ويسير على نهجهم في الأوراد والمجاهدات ،
وأول طريق يسلكه المرید هو التلقي وتلقي الذكر ، ولذلك يقول الإمام
الشعراني: فاعلم رحمك الله أنه ورد تلقين رسول الله ﷺ لأصحابه
كلمة لا إله إلا الله جماعة وفرادى ، وتسلسلت السلسلة من كل منها
لجماعة ، مع اتصال السند . فقد روى أحمد والبخاري والطبراني وغيرهم
بإسناد حسن: أن رسول الله ﷺ كان يوماً مجتمعاً مع أصحابه فقال:
هل فيكم غريب - يعني أهل الكتاب - ؟ قالوا: لا يا رسول الله ، فأمر
بغلق الباب وقال: ارفعوا أيديكم وقولوا: لا إله إلا الله ، وقال شداد بن
أوس فرفعنا أيدينا وقلنا: لا إله إلا الله ، ثم قال رسول الله ﷺ : (اللهم

(1) آداب العبودية ص48.

إنك بعثتني بهذه الكلمة، وأمرتني بها، ووعدتني عليها الجنة، وإنك لا تخلف الميعاد، ثم قال رسول الله ﷺ: أبشروا فإن الله قد غفر لكم^(١). فهذا دليل الأسيخ في تلقينهم الذكر لجماعة معاً^(٢).

ثم بين الإمام الشعراني آداب الذكر فقال:

(وأما بيان آداب الذكر وبيان ثمرة التلقين، فاعلم يا أخي أن كل عبادة خلت عن الآداب فهي قليلة الجدوى، وأجمع الأسيخ أن العبد يصل بعبادته إلى حصول الثواب ودخول الجنة، ولا يصل على حضرة ربه إلا إن صحبه الأدب في تلك العبادة، ومعلوم أن مقصود القوم القرب من حضرة الله الخاصة قال تعالى في الحديث القدسي: «أنا جليس من ذكرني»^(٣).

ووضع الإمام الشعراني شروطاً للمريد الذاكر وهذه أهمها:

التوبة النصوح وهي أن يتوب من كل ما لا يعنيه من قول أو فعل أو إرادة.

و أن يكون ملبسه حلالاً. وإحضار معنى الذكر بقلبه على اختلاف درجات المشاهدة في الذاكرين، بشرط أن يقص على شيخه كل شيء يرقى إليه من الأذواق ليعلمه طريق الأدب فيه، وكيف يجب أن تتفرغ

(1) رواه الحاكم في المستدرک ج2/ص50 وأحمد في المسند ج4/124 والهيثمى في مجمع الزوائد 1/18.

(2) الأنوار القدسية في قواعد الصوفية ص48.

(3) الأنوار القدسية في قواعد الصوفية ص56 والحديث أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ج1/108 برقم 1224.

القلوب عن كل موجود حال الذكر سوى الله^(١).

ويؤكد الإمام الشعراني على التزام المرید بالأذكار، ويعتبره اللبنة الأساسية في الطريق إلى ولاية الله تعالى فيقول: (وأجمع القوم على أن الذكر مفتاح الغيب وجاذب الخير، وأنيس المستوحش ومنشور الولاية، فلا ينبغي تركه ولو مع الغفلة، ولو لم يكن من شرف الذكر إلا أنه لا يتوقت بوقت لكان ذلك كفاية في شرفه، قال تعالى ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾^(٢).

وقالوا: ما ثمّ أسرع من فتح الذكر، وهو جامع لشتات صاحبه، وإذا غلب الذكر على الذاكر امتزج بروح الذاكر حبّ اسم المذكور^(٣). وقال أيضاً: (وما لم يكثر العبد من ذكر الله عزّ وجلّ لا يحصل له هذا الأمن بل يقع في كل معصية كالبهائم السارحة)^(٤). وقال أيضاً: (ما ثمّ كرامة للعبد أفضل من ذكر الله تعالى لأنه يصير جليساً للحق كلما ذكره)^(٥). واستدلوا على أهمية الذكر بآيات قرآنية وأحاديث نبوية.

فمن الآيات القرآنية قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا

(1) الأنوار القدسيّة في قواعد الصّوفيّة ص 166.

(2) آل عمران آية: 191.

(3) لواقح الأنوار القدسيّة ص 260.

(4) المصدر نفسه ص 260.

(5) الأنوار القدسيّة في قواعد الصّوفيّة ص 166.

وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴿١﴾ وقال تعالى ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ ﴿٢﴾ وقال تعالى :
﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ ﴿٣﴾ .

ومن الأحاديث قوله ﷺ «ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأرضاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ، ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا: بلى ، قال: ذكر الله» ﴿٤﴾ . وقال معاذ بن جبل : (ما عمل امرؤ بعمل أنجى له من عذاب الله عز وجل من ذكر الله) . وجاء في الحديث أيضاً: يقول الله تعالى في الحديث القدسي «أنا عند ظنّ عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني» ﴿٥﴾ .

ويبين الإمام الشعراني أنّ للمريد آداباً لا بدّ من مراعاتها في نفسه ، وآداباً مع إخوانه ، وآداباً مع شيخه .

وأول آداب المريد مع شيخه كما يذكر الشعراني :

أن يصدق في محبة الشيخ ، لأنّه دليله في السلوك به في عالم

(1) آل عمران آية: 191 .

(2) الأحزاب آية: 33 .

(3) الأحزاب آية: 35 .

(4) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرک في الدعاء رقم (1825) ومالك في الموطأ (211/1) حديث رقم (492) ، والترمذي في سننه 459/5 حديث رقم (3377) .

(5) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد برقم 7494 ، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء برقم 6981 .

الغيب ، ومن علامة ذلك المحبة والطاعة^(١) .

- ومن شأنه ألا يدخل في عهد شيخ حتى يتوب من سائر الذنوب الظاهرة والباطنة، كالغيبية وشرب الخمر والحسد والحقد ونحو ذلك^(٢) .

- ومن شأنه ألا يتكلم ولا يسكت إلا لضرورة أو لحاجة شرعية ، وقد نُقل عن بشر بن الحارث رضي الله عنه أنه قال: «إذا أعجبك الكلام فاسكت وإذا أعجبك السكوت فتكلم»^(٣) .

- ومن شأنه ألا يكتم عن شيخه من أحواله الظاهرة والباطنة حتى الخواطر التي استقرت عنده ، والمراد بالأمور هنا الأمور التي يحصل بها الترقّي عادة في الطريق من ذكر علل الأعمال دون الأمور ، فافهم^(٤) .

- ومن شأنه أن يعتقد في شيخه الكمال وذلك بأن يعتقد فيه أنه أعلم منه بطريق الشريعة الحقيقيّة ، قالوا: ولا يبالغ في كماله بحيث يرفعه إلى مقام العصمة ، وقد قال الإمام القشيري رحمه الله: «لا ينبغي للمريد أن يعتقد في شيخه وأضرابه العصمة ، وإنما يراعي مع الله حدوده فيما يتوجّه عليه هو من الأمور ، وما وصل إليه مع العلماء ، من

(1) قواعد الصوفيّة ص 78 .

(2) المصدر نفسه ص 19 .

(3) المصدر نفسه ص 79 .

(4) المصدر نفسه ص 239 .

علم الشريعة»^(١).

- ومن شأنه: «أن يصحب الشيخ للتربية فقط دون علة أخرى من أكل وشرب ووظيفة ونحو ذلك، ومن دخل في صحبة شيخ لعلّة من هذه العلل أو غيرها، لا يصلح أبداً ما دامت تلك العلة فيه»^(٢).

- ومن شأنه: «أن يلزم الأدب مع شيخه، ولا يتجسس له قط على حال، ولا حركة ولا سكون، ولا يتشوّف إلى ذلك، ولا يقف له على نوم، أو طعام، ولا شراب، ولا غسل من جنابة، وكلّ مرید تجسّس على مثل ذلك حصل له المقت»^(٣).

وأما آداب المرید مع نفسه إضافة إلى بعض ما مرّ فيذكر الإمام الشعراني أهمّها فيقول:

- ومن شأنه مخالفة هوى نفسه فلا يوافقها قط فيما تهواه وقد أجمع الأشياخ على أن رأس مال المرید مخالفة نفسه، ومن أطلق عنان نفسه فيما تهواه فقد أهلكته، وكان أبو حفص رحمه الله يقول: «من لم يتهم نفسه على دوام الحالات، ولم يخالفها في جميع الشهوات، ولم يجرّها إلى مكروهاها في سائر الأوقات، فهو مغرور في سائر الحالات»، وكان أبو بكر الطمستاني يقول: «أعظم حجاب بينك وبين ربك موافقة نفسك»^(٤) وقال أيضاً: ومن اتبع الهوى إيثار النوم

(1) المصدر نفسه ص 245.

(2) قواعد الصوفية ص 304.

(3) المصدر نفسه ص 305.

(4) قواعد الصوفية ص 87.

على قيام الليل في مثل ليالي الصيف، وذلك دليل على عدم كمال محبته لله عزّ وجلّ، ومن لا يحبّ الله فهو عدو الله، لأن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: (يا داود: كذب من ادعى محبتي فإذا جنّه الليل نام عني)، فشهد الحق تعالى على أن من ينام من غير غلبة بأنه كاذب في محبته⁽¹⁾.

ومن شأنه: «أن يأخذ بالأحوط في دينه ويخرج من خلاف العلماء إلى وفاقهم ما أمكن، مثابرة على وقوع عبادته صحيحة على جميع المذاهب أو أكثرها، فإن رُخص الشريعة إنما جعلت للضعفاء وأصحاب الضرورات والأشغال، وأما القوم فليس لهم شغل إلا مؤاخذه نفوسهم بالعزائم ولذلك قالوا: «إذا ما انحط الفقير عن درج الحقيقة إلى رُخص الشريعة، فقد فسخ عهده مع الله تعالى ونقضه»⁽²⁾ ومن شأنه: «أن يخفي أحواله التي تكون بينه وبين الله تعالى ما أمكن حتى يرسخ في مقام الله تعالى وحده دون أحد من خلقه، فلا يكاد أحد يأخذ من الفقير الصادق مقاماً ولا يعرف له حالاً من شدة كتمان»⁽³⁾ وقال أيضاً: (وقد أجمع أهل الطريق على أنه إذا لم يكن المرید ملاحظاً للحقّ في الباعث على أعماله لا يجيء منه شيء، وأجمعوا أيضاً على أن كل مرید أحب الظهور بأن يطّلع الناس على كمالاته فهو مقطوع به، لا سيّما إن صار الناس يتبرّكون به فإنه يهلك

(1) المصدر نفسه ص 88، والأثر أخرجه بن شهاب في مسنده.

(2) قواعد الصوفية ص 97.

(3) المصدر نفسه ص 97.

بالكُليَّة والله أعلم^(١).

- ومن شأنه: مكابدة خواطره ومعالجة أخلاقه ونفي الغلبة عن قلبه بمداومة الذكر، وأما عمل المرید الدائم فإنه يكون في تنظيف ظاهره وباطنه عن الصفات التي تمنعه من دخول حضرة الله عزَّ وجلَّ كالغضب وغيره.

- ومن شأنه أن يغضَّ بصره عن رؤية الصور المستحسنة ما أمكن، فإن النظر إليها كالسهم الذي يصيبه في قلبه فيقتله، لا سيَّما إن نظر بشهوة فإنه كالسهم المسموم الذي يذيب جسم الإنسان في لمحة، وكان أبو القاسم القشيري رحمه الله يقول: «من أكبر القواطع على المرید مصاحبة الأحداث والنسوان والمساكنة إليهم بميل القلب، ومن ابتلاه الله بشيء من ذلك فبإجماع القوم، ذلك عبد أهانه الله وخذله بل عن مصالحي نفسه شغله»^(٢).

- ومن شأنه: «أن يحافظ على آداب الشريعة والمشى على ظاهرها ما أمكن فإن الترقِّي كَلَّه في امثال أمر الشارع، يجب عليه ألاَّ يدع الشريعة تعترض عليه في شيء من أحواله، وهذا أمر قد أغفله غالب من شم رائحة التوحيد من أهل هذا الزمان، فيصير يتعدَّى حدود الله في مأكله وملبسه وكلامه وفعله، ويقول: إن الله تعالى قد خلق ذلك لي، وبعضهم ترك التوبة من سائر الذنوب وقال: ليس لي فعل حتى

(1) المصدر نفسه ص 98.

(2) قواعد الصوفية ص 101.

أتوب منه، فهلك مع الهالكين وهو لا يشعر، وبعضهم صار يأكل حراماً ويفطر في بيوت المساكين في مثل شهر رمضان، ويقول: الكل لله تعالى ليس لأحد معه ملك وأنا عبده، والعبد يأكل من مال سيّده، وهذا كله زندقة لرفضه الشرائع ولو أنه كان يؤمن بها لما تجرّأ على ذلك»^(١).

- ومن شأنه: «أن يكون قصير الأمل وذلك حتى يجد في الطاعات ويجتنب المخالفات، فإنه من كان طويل الأمل لازمه التسويف بالخيرات والوقوع في المخالفات، ومن هنا قالوا: «إنَّ الفقير ابن وقته» لا نظر له إلى ماضٍ ولا آتٍ، لأن نظره إليها تفويت للوقت الحاضر، وقد قالوا: كل من نظر إلى عمله بالتسويف خسر عمره، وفاته الزرع، فخرس الدنيا والآخرة والله غفور رحيم»^(٢).

- ومن شأنه: ألا يكون له التفات إلى معلوم وظيفه، أو إخراج رزق، أو أجره بيت، ولا يعلّق خاطره بشيء من ذلك، ويجب عليه في الطريق مجاهدة نفسه حتى يصير لا التفات له إلى شيء دون الله تعالى، ومن لا يجاهد نفسه كذلك، فلا يجيء منه شيء في الطريق، إذ الالتفات إلى وراء، مضاد للركي وقال سيدي أحمد الرفاعي رحمه الله: «ملتفت لا يصل، ومشكك لا يفلح، ومن لم يعرف من نفسه النقصان فكل أوقاته خسران».

(1) قواعد الصوفية ص 114 .

(2) المصدر نفسه ص 120 .

وكان أبو القاسم القشيري رحمه الله يقول: «ظلمة الركون إلى المعلوم تطفئ نور القلب»، وسمعت سيدي المرصفي رحمه الله يقول: «من جلس بين فقراء الزاوية والتفت إلى معلوم دنيوي وقف عن السير وأفسد ضعفاء فقراء الزاوية، فإن وقفها أو ما يهدى إليها إنما هو بالأصالة لمن ترك الدنيا واشتغل بعبادة الله عزّ وجلّ، فلمحبّة الواقف أو المهدي في الله تعالى وقف أو أهدى، حتى لا يلتفت الفقير لغير ما هو بصدده»^(١).

بعد هذه الإفاضة في بيان آداب المرید مع نفسه عزّج الشيخ الإمام الشعراني على أدب المرید مع إخوانه، والتركيز على الجانب الأخلاقي في السير والتربية للوصول إلى ولاية الله سبحانه وتعالى وقد لخص الإمام الشعراني هذه الآداب بقوله: ويجمع آداب الفقير مع إخوانه كلهم ألا يعاملهم إلا بما يحبّ أن يعاملوه به، وأن يرجو لهم من الخير والمسامحة في ذنوبهم ما يرجوه لنفسه، وأن يحملهم في جميع ما يقعون فيه من مواطن التهم على أحسن المحامل مما يحبّ أن يحملوه عليه لو وقع هو في ذلك^(٢).

ثم شرع ببيان جملة من أخلاق المرید على جهة التفصيل فقال:
- ومن شأنه أن ينفق على نفسه وعلى إخوانه كلما فتح الله تعالى به عليه من الحلال أولاً فأول ولو كانت فجلة أو خيارة، ولا يعود نفسه الاختصاص بشيء عن إخوانه مطلقاً، فإنّ من أثر نفسه على

(1) قواعد الصوفية ص 120.

(2) قواعد الصوفية ص 401.

إخوانه في الشهوات لم يفلح أبداً، وما صار الناس رؤساء في الطريق إلا لكرمهم وإيثارهم وسلامة صدورهم من الحقد والحسد والضغائن .

- ومن شأنه: أن يكون عنده شفقة على دين إخوانه أكثر من شفقته عليهم في أمر دنياهم، فيتفقدهم في أوقات المواسم وتفرقة المواهب الإلهية كالأسحار والأوقات الفاضلة، ويكون ذلك بسياسة ولين ولفظ سيادة، لا بغلظة واحتقار، وكذلك ينبههم قبل دخول وقت الصلاة حتى يكونوا على أهبة فلا يخافون فوت الإحرام مع الإمام، أو فوت السنّة الراتبية قبل الفريضة^(١).

- ومن شأنه أن يكون سداً ولحمته مسامحة لإخوانه في كل شيء آذوه به من قول أو فعل أو سوء ظن، ونقل عن شيخه الشيخ أحمد الزاهد قوله: «ما صبر مرید على الكلام في عرضه، واشتغل بالله ورضي بعلمه تعالى إلا جعله الله تعالى إماماً يقتدى به عن قرب»^(٢).

- ومن شأنه أن يحبّ لإخوانه من الخير ما يحبّه لنفسه ويقربّ عليهم طريق الوصول إلى مراتب الكمال كما يحبّ ذلك لنفسه، وذلك بالاشتغال بالذكر على الدوام فإن الله تعالى جعل لكل مرید مشاغل وعقبات لا يصل إلى مقام الكمال إلا بقطعها كلها^(٣).

- ومن شأنه أن يحثّ إخوانه على مجلس الذكر صباحاً ومساءً برحمة ورفق، وأن يرشدهم ويعلمهم الآداب الشرعية الصوفيّة من غير

(1) قواعد الصوفية ص 408.

(2) قواعد الصوفية ص 426.

(3) قواعد الصوفية ص 426.

أن يرى نفسه عليهم بذلك ، فقد يكون أحدهم أكثر إخلاصاً لله تعالى منه وأحسن معاملة فلا يلزم من كونه أعلم من المرید أن يكون أفضل منه عند الله تعالى (١)

- ومن شأنه ألا ينسى إخوانه من الدعاء لهم بالمغفرة والرحمة والعتو كلما وجد الوقت صافياً مع ربه عز وجل ، سواء كان في ليل أو نهار أو سجود أو غير ذلك ، ومن فائدة الوفاء بحقوقهم ليقول الملك الموكل بالدعاء ولك مثل ذلك. ودعاء الملك لا يرد ، وسمعت سيدي علي الخواص رحمه الله يقول : «إذا وجد أحدكم الوقت رائقاً من الكدورات فليسأل الله تعالى المغفرة لجميع أهل المعاصي وهذا من أعظم حقوق المسلمين ، ولا يتنبه له كل أحد إلا بحكم التبعية لناس مخصوصين في تطبيقهم لحديث : «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (٢). وفي القرآن الكريم العظيم :

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ (٣).

- ومن شأنه : ألا يكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ولو قال كلمة الكفر لأن الناس بهم اليوم قلة ورع في المنطق ، وعسر معرفة الألفاظ دون غيرها إذ التكفير أمرها ، بل أقل ما فيه أنه إخبار عن إنسان أنه خالد في النار ، لا تجري عليه أحكام الإسلام لا في حياته ولا بعد

(1) المصدر نفسه ص 426.

(2) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان برقم 15 ، والترمذي صفة القيامة برقم 2705 ، والنسائي الإيمان وشرائعه برقم 5030 ، وابن ماجه في المقدمة 69.

(3) سورة الحشر آية : 10.

مماته ، وهذا أمر خطير وضرر جسيم لا يثبت إلا بدليل قطعي^(١) .
وبعد أن تناول الإمام الشعراني مجموعة من الآداب الهامة واللازمة
في طريق الولاية أخذ يتحدث عن أركان الولاية فقال: وأجمع القوم
على أن الذكر مفتاح الغيب، وجاذب الخير، وأنيس المستوحش،
ومنشور الولاية، فلا ينبغي تركه ولو مع الغفلة، ولو لم يكن من شرف
الذكر إلا أنه لا يتوقت بوقت لكان ذلك كفاية في شرفه، وقالوا: وما ثم
أسرع من فتح الذكر، وهو جامع لشتات صاحبه، وإذا غلب الذكر على
الذاكر امتزج بروح الذاكر حبُّ المذكور^(٢) .

وجعل الإمام الشعراني أركان الطريق أي (الولاية) أربعة أشياء:
الجوع، والعزلة، والسهر، وقلة الطعام وأنشدوا:

بيت الولاية قسمت أركانه ساداتنا فيه من الأبدال
ما بين صمت واعتزال دائماً والجوع والسهر النزيه الغالي
وكان أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى يقول: إنما أساس باب
الطريق الجوع، لأنهم لما وجدوا أن ينابيع الحكمة لا تحصل لهم إلا
به، فقد كانوا يتدرجون في تقليل الأكل شيئاً فشيئاً حتى وصلوا إلى
لقمة واحدة كل يوم وليلة، وبعضهم وصل إلى تمر أو لوزة أو زبيبة
وكان سهل بن عبد الله التستري^(٣) يقول: لما خلق الله الدنيا جعل

(1) قواعد الصوفية ص 443.

(2) قواعد الصوفية ص 66.

(3) التستري: هو سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله أبو محمد، أحد أئمة
القوم وعلمائهم والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضات وعيوب الأفعال توفي سنة

في الجوع العلم والحكمة، وجعل في الشعب الجهل والمعصية»، وكان رحمه الله إذا جاع قوي وإذا شبع ضعف، وكان أبو سليمان الداراني^(١) يقول: «مفتاح الدنيا الشعب ومفتاح الآخرة الجوع» يعني أعمالها وكان يحيى بن معاذ يقول: «الشبع نار، والشهوة مثل الحطب يتولد منه الإحراق ولا تنطفئ ناره حتى تحرق صاحبها» وقال مالك بن دينار^(٢) رحمه الله: «من أراد أن يفر الشيطان من ظله فليخالف شهوته»^(٣).

وعد الشعراني المجاهدة طريقاً للوصول إلى الولاية والتحقق فيها، ولذلك قال: (ومن شأنه أي السالك إلى الله تعالى ملازمة المجاهدة لنفسه فلا يصطلح معها أبداً وكان الشيخ أبو علي الدقاق^(٤)

283 هجرية (حلية الأولياء ج 10 ص 199-212، وفيات الأعيان ج 1 ص 49، شذرات الذهب ج 2 ص 182 - 184).

(1) الداراني: أبو سليمان الداراني عبد الرحمن بن عطية هو من أهل داريا قرية من قرى دمشق (حلية الأولياء ج 9 ص 254 - 280 وشذرات الذهب ج 2 ص 13، وتاريخ بغداد ج 10 ص 248 - 250).

(2) مالك بن دينار: هو مالك بن دينار البصري أبو يحيى من رواة الحديث كان ورعاً يأكل من كسبه ويكتب المصاحف بالأجرة، توفي بالبصرة 131 هجرية، (وفيات الأعيان ج 1 ص 440، وحلية الأولياء ج 2 ص 357).

(3) في قواعد الصوفية ص 84.

(4) أبو علي الدقاق: هو الحسن بن علي النيسابوري الشافعي، لسان وقته، وإمام عصره، كان محمود السيرة، نقي السريرة، جنيدي الطريقة، أخذ الفقه من مذهب الإمام الشافعي عن الإمام القفال والحصري وغيرهما، وبرع فيه، وفي الأول والعربية، حتى شدت إليه الرحال في ذلك، ثم أخذ بعد ذلك في العمل، وسلك طريق أهل التصوف وأخذ عن النصر أبادي وكان له كرامات ظاهرة ومكاشفات

رحمه الله يقول: «من زين ظاهره بالمجاهدة زين الله باطنه بالمشاهدة ، ومن لم يجاهد نفسه في بدايته لم يشم في الطريق رائحة ، لأن من خصائص طريق أهل الله تعالى أن العبد إذا لم يعط الطريق كله لا تعطه الطريق بعضها» وكان أبو عثمان المغزلي رحمه الله يقول: «من ظن أنه يفتح عليه بشيء من هذه بغير المجاهدة فقد رام المحال» ، وكان أبو علي الدقاق يقول: «من لم يكن له في بدايته قومة لم يكن له في نهايته جلسة» وكان الحسن القزاز يقول: «بنيت طريق القوم على ثلاثة أشياء: ألا يأكل إلا عند الفاقة ، ولا ينام إلا عند الغلبة ، ولا يتكلم إلا عند الضرورة الشرعية» ، وكان سيدي إبراهيم بن أدهم⁽¹⁾ رحمه الله يقول: لا ينال الرجل درجة الصالحين حتى يكون فيه ست خصال: المجاهدة للنفس ، والذل لها ، والسهر ، ومحبة التقلل من الدنيا ، والفرح

باهرة ، وكان أزهد زمانه وعالم أوانه كما وصفه حجة الإسلام الغزالي ، ومما يؤثر عنه قوله: من سكت عن حق هو شيطان أخرس ، توفي رحمه الله سنة (405 أو 406 هجرية) شذرات الذهب ج 3 / 180 - 181 ، ومعجم المؤلفين للكحالة ج 3 ص 261 .

(1) إبراهيم بن أدهم: هو أبو إسحاق إبراهيم بن منصور العجلي ، ويقال التميمي أصله = من بلخ ، وكان من أولاد الملوك روى عن جماعة من التابعين ، كأبي إسحاق السبيعي ، وأبي حازم الأعرج ، وقتادة ومالك بن دينار ، والأعمش ، وشغله الزهد والعبادة عن الرواية توفي رحمه الله سنة (140 هجرية) ودفن في مدينة صور (وفيات الأعيان ج 1 ص 13 ، طبع دار صادر بيروت ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر لابن بدران الدمشقي ج 2 ص 167 ، وحلية الأولياء ج 7 ص 367 طبع السعادة مصر ، والبداية والنهاية لابن كثير ج 10 ص 135 .

بإدبارها، وقصر الأمل»^(١).

ونقل الشعراني عن أبي بكر الوراق رضي الله عنه أنه كان يقول: لا تطمع في الأنس بالله أبداً وأنت تخالط الخلق، ولا تطمع في رضا الله تعالى وأنت تخالط الظلمة، ولا تطمع في حب الله لك وأنت تحب الدنيا، ولا تطمع في لين قلبك وأنت تجفو على اليتيم^(٢).

ونقل عن إبراهيم بن أدهم أنه قيل له: بم نلت هذه الحكمة التي نراك تنطق بها؟ فقال: ببدن عار، وقلب خائف، وبطن جائع، وفي رواية قال: نلتها بقلة الأكل، وقلة النوم، وعدم ادخار شيء لغد^(٣). ونقل الشعراني عن داود الطائي^(٤) أنه كان يقول: «لا تصلح العزلة عن الناس إلا لمن زهد في الدنيا أما الراغبون فيها فلا فائدة في عزلتهم، فمن اعتزل الناس ولم يجعل الحق تعالى مؤنساً، والقرآن محدثاً، فقد أخطأ الطريق ولم تصح عزلته»^(٥).

(1) تنبيه الغافلين ص 407.

(2) قواعد الصوفية ص 81.

(3) المصدر نفسه ص 513.

(4) هو داود بن نصير الطائي أبو سليمان من أئمة الصوفية، كان في أيام المهدي العباسي وأصله من بلاد خراسان، ومولده في الكوفة رحل إلى بغداد وأخذ عن أبي = حنيفة وغيره وعاد إلى الكوفة واعتزل الناس ولزم العبادة إلى وفاته (انظر تاريخ بغداد ج 8 ص 347، وحلية الأولياء ج 7 ص 335).

(5) المصدر نفسه ص 407.

ونُقل عن سيدي إبراهيم الدسوقي^(١) رحمته الله أنه كان يقول: يجب على المرید أن یجمع همة العزم لیعرف الطریق بالذوق لا بالوصف والقلم، وكان یقول لمریده: إن كنت یا ولدی صارماً فتجرد من قلبك إلى قلبك، والزم الصمت عن الاشتغال بكل ما لا فائدة فیهِ من الجدال، وزخارف الأقوال، وصمم العزم واركب جواد الطریق^(٢).

وكان رحمته الله یقول أيضاً: من شرط المرید الصادق ألا یمل من شهود رؤية التقصیر فی نفسه، فإن رؤية التقصیر، تفتح له باب المزید فی الدرجة وقد یعطي المولی من هو قاصر ما لا یعطیه لأهل المحابر^(٣).

ونُقل عنه أيضاً أنه كان یقول: قوت المرید الصادق فی بدايته الجوع، ومطره الدموع، ووطره الرجوع، یصوم حتی یرق ویلین، وتدخل الرقة قلبه. وأما من شبع ونام ولغا فی الكلام وترخص وقال: ما علی فاعل ذلك ملام فلا یجیء منه شیء والسلام^(٤).

(1) إبراهيم الدسوقي: هو إبراهيم بن أبي المجد بن قريش بن محمد، يتصل نسبه بالحسين السبط: من كبار المتصوفين، كثير الاخبار. من أهل دسوق (بغربية مصر) تفقه على مذهب الشافعي في أوليته ثم اقتفى آثار الصوفية وكثر مریدوه ونقلوا عنه كلاما على طريقة القوم. توفي سنة (676 هجرية) (الأعلام للزركلي ص 59 الطبعة الحادية عشرة).

(2) قواعد الصوفية ص 149.

(3) المصدر نفسه ص 153.

(4) المصدر نفسه ص 154.

كلمات مضيئة في الطريق إلى الولاية:

قال إبراهيم الدسوقي رحمته الله: «كيف يدعي المرید الصادق في الحب للطريق وهو ينام وقت الغنائم، ووقت فتح الخزائن، ووقت نشر العلوم، وإظهار المكتوم، أما يستحي الكذاب من الدعاوى، همته راقدة، وعزيمته خامدة، وهو مع ذلك يدعي الصدق^(١) وكان الشيخ أبو السعود بن أبي العشائر^(٢) يقول: «الأصول التي يبني عليها المرید أمره أربعة أشياء: اشتغال اللسان بذكر الله عز وجل مع حضور القلب، وجبر القلب على جمعه لمراقبة الله عز وجل، ومخالفة النفس والهوى من أجله تعالى، وتصفية اللقمة لعبوديته من الشبهة»^(٣)، وكان علي بن وفا^(٤) يقول: «كل من أغفل قلبك عن ربك فهو عدو لربك، فأعرض عنه، وتبرأ منه إلى ربك، وتوجه بقلبك وجسدك إلى خالقك، تكن أوهاً حليماً»^(٥). وكان أبو الحسن الشاذلي^(٦) رحمه الله يقول: «إذا

(1) قواعد الصوفية ص 155.

(2) أبو العشائر: هو أبو السعود بن أبي العشائر الباذيني من أجلاء مشايخ مصر، وكان السلطان يزوره في بعض الأحيان وتعلمذ عليه داود المغربي، وخلق كثيرون، توفي بالقاهرة سنة 644 هجرية ودفن بسفح جبل المقطم (طبقات الطبري للشعراني ج 1 ص 162).

(3) المصدر نفسه ص 161.

(4) ستأتي ترجمته مفصلة في القسم الثاني.

(5) المصدر نفسه ص 173.

(6) أبو الحسن الشاذلي ستأتي ترجمته.

ثقل الذكر على لسانك ، وكثر اللفظ في مقالك ، فاعلم أن ذلك من عظيم أوزارك ، أو لكمون نفاق في قلبك ، فتب إلى ربك من ذنوبك ، واعتصم بالله يكفك ، ويصلح حالك .

وقال أيضاً: «لا يترقى مرید قط إلا إن صحت محبة الله له ، ولا يحبه الله حتى يبغض الدنيا وأهلها ، ويزهد في نعيم الدارين ، وفي كل شيء يشغله عن مشاهدة ربه»^(١)

وقال أيضاً: لا يصح لعبد مجالسة الحق جل وعلا في الدنيا والآخرة ، وهو يميل إلى شيء من الكونين ، فإنه لا يجالس الله إلا عبد الله ، وأما غيره فهو مجالس لما أحب من الأكوان لا يرقى عن ذلك ، وقال أيضاً: خصلتان إذا فعلهما العبد صار من قريب إماماً يقتدي به الناس ، وهما: الإعراض عن الدنيا ، واحتمال الأذى من الإخوان مع الإيثار^(٢) .

*** ** **

(1) قواعد الصوفية ص 172 .

(2) قواعد الصوفية ص 172 .

خاتمة المبحث

لقد مر أن الإمام الشعراني رسم الطريق إلى الله عز وجل ، أو إلى الولاية وأنها تتلخص بالأمور الآتية:

1- الزهد: كما نقل عن أبي يزيد البسطامي أنه وجد المعرفة بالله تعالى ببطن جائع ، وبدن عار .

2- الخلوة والعزلة: وذلك ليتمكن من المجاهدات العملية التي من شأنها أن تهيب السالك لأحوال الوجد ، والفناء ، والمعرفة ، وتبديل الخصال المذمومة ، والاتصاف بالكمال الخلقى ، فهي صفة أهل الصفوة ومن أمارات الوصلة ، وقد جعلوها ضرورية للمريد في ابتداء أمره ، فهي في مقدمة الطريق الموصلة إلى الله تعالى ، أو الموصلة إلى الإيمان ، والمجددة له ، لذلك اهتم بها الإمام الشعراني وساق كثيراً من الأقوال في فضيلتها وحث المريدين على التزامها .

3- ومن لوازم الوصول إلى الله عند الشعراني: رؤية تجليات الأسماء والصفات الإلهية على قلب الولي ، وتنزل العلوم الإلهية ، والإلهامات الرحمانية ، وقد مر معنا أن هذا اللازم يعتبر أثراً من آثار الذكر .

4- الإيمان بالله تعالى: لأنه الباب الأعظم للدخول إلى ساحة الولاية ، وهذا الذي يحدد درجة الولي من الولاية ، وحظه من العمل والثواب ، لأن من لازم الإيمان القوي العمل السوي ، وأن يسعى للوصول إلى مقام الإحسان: «وهو أن يعبد الإنسان ربه كأنه يراه فإن

لم يكن يراه فإن الله يراه»، وهذا مقام مهم في طريق الولاية، لأنه من كان مقامه الإحسان كان في المرتبة الأولى من اليقين والإخلاص والانصراف إلى الله بالكلية، ويتفرع على هذا المقام الخشوع والخوف والخشية من الله عز وجل والمحافظة على أداء الفرائض كما جاء في صحيح البخاري قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه»^(١) لأن في أدائها امتثال لأمر الله تعالى، وهو مظهر للطاعة، وإظهار لذل العبودية، وعظمة الربوبية، والفرائض منها ظاهر ومنها باطن قال تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَهْرَ الْأَثَمِ وَبَاطِنَهُ﴾^(٢).

والفرائض الظاهرة هي أركان الإسلام الخمسة، وما ألحق بها كترك المعاصي مثلاً. والفرائض الباطنة مثل إخلاص النية في أداء الأعمال، وقد جعلها الإمام الشعراني عمدة الأعمال التي تترتب عليها صحتها أو فسادها، ومنها البعد عن سوء الظن غير المشروع وعن الحسد والتباغض والتدابير، وكذلك البعد عن الكبر والعجب، وكذلك الالتزام بالصدق والبعد عن النفاق، والالتزام بالأمانة والبعد عن الخيانة.

(1) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب التواضع حديث رقم 6137 والهندي في كنز العمال في لوائح كتاب الإيمان حديث رقم 1155 وأحمد في المسند في حديث السيدة عائشة.

(2) سورة الأنعام آية: 120.

5- الإكثار من النوافل: عملاً بالحديث القدسي «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه» والنوافل التي يطلب الإكثار منها هي نافلة الصلاة ونافلة الصيام ونافلة الصدقة، وقد مر كل ذلك لما تحدثنا في مسائل المبحث الثالث ونقلنا في مواضعها النقول المؤكدة لهذا الاتجاه الذي أشبعه بحثاً، وبثه الإمام الشعراني في كتبه، فرحمه الله رحمة واسعة آمين.

ويلاحظ إن الإمام الشعراني لم يلتزم بترتيب الصوفية للمقامات والأحوال الذين سبقوه، وإنما سلك: طريقاً آخر ارتآه لنفسه، والخطب في هذا يسير، فمعلوم أن لكل شيخ طريقةً ومسلماً خاصاً به، ويراجع في هذا الشأن بعض كتب الصوفية وأذكر على سبيل المثال: منازل السائرين للهروي، وشرحه مدارج السالكين لابن القيم، وغيرهما من كتب الصوفية الأخرى.

*** ** **

المبحث الرابع

التصوف في عصر الشعراني

المسألة الأولى: الشعراني واعتراضه على مدعي التصوف

لقد ولد الإمام الشعراني ونشأ في القرن العاشر، وكان هذا العصر عصرًا متميزًا في شهرة التصوف والصوفية، إلا أن التصوف في عصر الشعراني شابه شيء كثير من الدخيل ولذلك نجده يتصدى لتنقيته، ويعد الإمام الشعراني من أبرز الشخصيات التي تصدت لحركة إصلاح التصوف من الدخيل والدخلاء، وتجليته منهجًا إيمانيًا تعبديًا خالصًا لله تعالى، كما قام الإمام الشعراني بربط المعارف الصوفية اللدنية بالعلوم الإسلامية الظاهرة وأعادها إلى روح الدين وجوهره ودعا إلى العمل لتحقيق اليقين الثابت، والعمل الصالح، والوحدة القلبية، والفكرية، وإقامة أسس الحياة على الرحمة والمحبة، لا على الشقاق والجدل البغيض.

لقد حمل الشعراني أعباء رسالة علمية إصلاحية ما أظن أن صوفياً سواه فعل ذلك، بل لا أعتقد أن عالماً من المفكرين الإسلاميين حمل مثلها، أو قام بالشبيه لها، تلك الرسالة هي التوفيق بين شتيت الآراء والمذاهب والأفكار الإسلامية، والتقريب بينها بتنقيتها من التطرف وإبعاد الدخلاء والزائفين عن ساحاتها⁽¹⁾.

عمل الشعراني على التوفيق بين الفقه والتصوف أو بين الشريعة

(1) الميزان الكبرى ص 15.

والحقيقة ، كما جاهد للتوفيق بين التصوف وبين رجال الكلام والتوحيد .
وبين رجال الكلام والتوحيد وأصحاب النظر العقلي من الفلاسفة
والمتكلمين ، يقول الشعراني في كتابه الميزان : «وحاولت المطابقة بين
عقائد أهل الكشف وعقائد أهل الفكر حسب طاقتي ولم يسبقني إلى
ذلك أحد»⁽¹⁾ .

فقد حارب الشعراني وحورب من أدياء التصوف من المجاذيب
والبهاليل وال دراويش وكانوا أصحاب الجاه والسطوة في عهده .
كما حارب الإمام الشعراني أيضاً المتفلسفين من رجال التصوف
ونازلهم منازل قاسية ، حتى إننا لنراه أحياناً يهاجم محيي الدين وهو
المحب الأكبر والتلميذ الأمين لمحيي الدين ، ويهاجم الغزالي كما
رأينا في الكتاب عندما اعتبر أن أكبر زلة للغزالي كانت عندما تحدث
في الذات الإلهية ، مع إجلاله العظيم لحجة الإسلام ويهاجم جمهرة
من سادة المتصوفين القدامى مع احترامه لهم وتقديره ، وكان الشعراني
يهدف لغاية أكبر من الحب والإجلال والتقدير للسابقين من الصوفية ،
كان يهدف إلى حماية عقول العامة وأشباه العامة في عهده من صولة
الآراء الصوفية .

وهي صولة لا يعرفها إلا من ذاق وعرف ، وهي صولة أكبر من
أن تطبقها العقول الضعيفة ، أو تحتملها القلوب الجامدة .
وعصر الشعراني كان لا يطبق تلك الصولة القوية للآراء الصوفية

(1) الإمام الشعراني والتصوف الإسلامي ص 129 .

العليا، فعمل الشعراني للصالح العام، ولم يلق بالأ إلى عواطف
الحب والاحترام، فقام بهجومه الكبير القوي على كلمات التصوف
الجانحة، وعباراته الرحبية الأفق التي تحمل أكثر من معنى وتؤدي إلى
أكثر من غاية.

المسألة الثانية: الرد على شطحات الصوفية

يقول الشعراني: «وبالجملة فلا تحل قراءة كتب التوحيد الخاص
وكتب العارفين إلا لعالم كامل أو من سلك طريق القوم، وأما من لم
يكن واحداً من هذين الرجلين، فلا ينبغي له مطالعة شيء من ذلك
خوفاً عليه من إدخال الشبه التي لا يكاد الفطن أن يخرج منها فضلاً
عن غير الفطن»^(١). ثم يقول: «ولكن من شأن النفس كثرة الفضول
ومحبة الخوض فيما لا يعنيه وقد وضع بعض العلماء من السلف كتاباً
جمع فيه كثيراً من الكلمات التي ينطق بها العوام مما يؤدي إلى الكفر
وحذر فيه من النظر في جملة من الكتب، وقد حبب إليّ أن أذكر لك
طرفاً من ذلك لتجتنب النطق به والنظر فيه، فأقول: ومما يقع فيه كثير
من الناس قولهم: «يا من يرانا ولا نراه»^(٢) وقولهم: «يا ساكن هذه

(1) البواقيت والجواهر 35/1.

(2) لا أرى في كلام الإمام الشعراني في قوله (يا من يرانا ولا نراه) مخالفة لما جاء في
نصوص الشريعة الإسلامية وأذكر من ذلك على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿لَا
تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ ومما يستأنس به من قول الإمام الشعراني
المذكور ما جاء في حديث جبريل عليه السلام: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن

القبة الخضراء» وقولهم: «سبحان من كان العلا مكانه» ونحو ذلك مما لا يجوز التلفظ به لما يورث من الإيهام عند العوام، وأن الله تعالى مكاناً خاصاً، وإن قال هذا القائل أردت بقولي «ولا نراه» عدم رؤيتنا له في الدنيا، قلنا له قد أطلقت القول، والإطلاق في محل التفصيل خطأ، وقد أجمع أهل السنة على منع كل إطلاق لم ترد به الشريعة، سواء كان في حق الله تعالى أو في حق أنبيائه، أو في حق دينه.

وكان الشيخ أبو الحسن الأشعري يقول: ما أطلق الشرع في حقه تعالى أو في حق أنبيائه أطلقناه، وما منع منعناه، وما لم يرد فيه إذن ولا منع نظرنا فيه، فإن أوهم ما يمتنع في حقه تعالى منعناه وإن لم يوهم شيئاً من ذلك رددناه إلى البراءة الأصلية، ولم نحكم فيه بمنع أو إباحة فقد اتفق الإمامان⁽¹⁾ على منع كل إطلاق يوهم محظوراً في حق الله تعالى، وتبعهما العلماء على ذلك قاطبة، وكذلك منع من يقول: يا دليل الحائرين، يا دليل من ليس له دليل، ونحو ذلك وكله لم يرد به شيء.. وقد أجمع أهل الحق على وجوب تأويل أحاديث الصفات كحديث: «ينزل ربنا إلى سماء الدنيا» وقد بلغ بأحد الضالين⁽²⁾ أن يقول وكان على المنبر فنزل درجاً منه وقال للناس:

لم تكن تراه فإنه يراك». والحديث صحيح رواه الإمام النووي في الأربعين النووية.

- (1) يقصد بالإمامين الإمام أبو الحسن الأشعري والإمام أبو منصور الماتريدي.
- (2) الذي يقصده الإمام الشعراني بقوله (أحد الضالين) هو الإمام شيخ الإسلام أحمد ابن عبد الحلیم بن تیمية الحراني تقي الدين المتوفى سنة 728هـ، فقد ألف كتاباً مستقلاً شرح فيها حديث النزول والكتاب مطبوع في دمشق المكتب الإسلامي وأنا

«ينزل ربكم عن كرسیه إلى سماء الدنيا كنزولي عن المنبر هذا» وهذا جهل ليس فوقه جهل⁽¹⁾.

ومما يمنع شرعاً إطلاق بعضهم على الله تعالى <الخمارة> و<الساقية> و«راهب الدير» و«صاحب الدير» و«ليلي» و«لبنى» و«سعداً» و«أسماء ودعد وهند والكنز الأكبر» ونحو ذلك وكذلك لا يجوز إجماعاً إرادة ذاته تعالى بقول بعضهم:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
وقول بعضهم:

تمازجت الحقائق بالمعاني فصرنا واحداً روحاً ومعنى
فكل هذا وأمثاله لا يجوز عند أهل السنة والجماعة وسئل سيدي علي الخواص عن التغزلات التي في كلام القوم هل مرادهم بها الله تعالى؟ فقال: لا، إنما مرادهم بها الخلق، ولكن يفهم الفاهم منها في حق الحق ما يعثه عند سماعها إلى الحضور مع الحق.

ثم قال: لأن أولياء الله تعالى أعرف الخلق بالله تعالى بعد الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ويجلُّون الحق تعالى عن أن يجعلوه

أوافق الإمام الشعراني على ذلك لأن رأيه في هذه المسألة وغيرها من المتشابهات =
= يوافق مذهب الأشعرية، ومذهب الخلف وقد لخص مذهب الخلف والسلف قول
الناظم:

وكل نص أوهم التشبيها أوله أو فوض ورم تنزيها

(1) اليواقيت والجواهر 34/1.

محلاً لتغزلاتهم، فلذلك ضربوا الأمثال بالمحيين المحبوبين، من قيس ولبنى ونحو ذلك.

وإنما الصواب أن يقال: ما في الوجود في الأزل إلا الله ومعرفة الله في قلوب العارفين وإليه الإشارة بحديث: «وسعني قلب عبدي المؤمن»⁽¹⁾، أي وسع معرفتي من غير إحاطة بي وكذلك مما ينبغي اجتنابه قولهم: «هذا زمان سوء» لأن الزمان هو الدهر والدهر هو الله، وكذلك قول بعض الخطباء: «سبحان من لم يزل معبوداً» لأنه عبد عند من لم يعلم كونه معبوداً بالقوة، أي أهلاً لأن يعبد لأنه يوهم قدم العالم، وذلك كفر. ومما يجب اجتنابه قولهم: «يا قديم الزمان» لأن الرب لا يتقيد بالزمان، فهو كلام باطل، وكذلك قول بعضهم كل ما يفعله الله خير، لإيهامه نفي وجود الشر في العالم، وأن كل ما يكسبه العبد من المعاصي خير، وكذلك قول: «فلان يطلع على الغيب» لأنه يوهم باطلاً وإنما الأدب أن يقال: «فلان له فراسة صادقة، أو كشف أو اطلاع فقط» لئلا يزاحم الرسل في مقام العلم والقطع، فإنه ليس للأولياء إلا الظن الصادق فقط، الذي هو في اصطلاحهم عبارة عن الاعتقاد الصحيح الجازم المطابق للواقع فقط، وهذا الظن هو الذي يسمونه إلهاماً وفتحاً وكشفاً. وكذلك مما يجنب قوله، قول بعضهم: «باعك الله» و«أقالك الله» إذا اشتغل في البيع أو الإقالة، لأنه يوهم مذهب أهل الاتحاد، وذلك كفر.

(1) لم أجد له أصلاً بعد البحث.

قال الإمام العلامة عمر بن محمد الإشبيلي في كتابه المسمى: «لحن العوام» وليحذر من العمل بمواضع من كتاب الإحياء للغزالي ومن كتاب النفخ والتسوية له، وغير ذلك من كتب القوم، فإنها إما مدسوسة عليه أو وضعها في أوائل أمره، ثم رجع عنها كما ذكر في كتابه «المنقذ من الضلال».

وكذلك يحذر من مواضع في كتاب «القوت» لأبي طالب المكي نحو قوله: «الله تعالى قوت العالم» ومن مواضع في تفسير «مكي» ومن مواضع كثيرة في كلام ابن ميسرة الحنبلي.

ويعدد الشعراني كتباً كثيرة ثم يقول: وليحذر أيضاً من مطالعة كتب الشيخ محيي الدين بن عربي رحمته الله، لعلو مراقبيها ولما فيها من الكلام المدسوس على الشيخ، لا سيما الفصوص والفتوحات المكية، فقد أخبرني الشيخ أبو طاهر عن شيخه عن الشيخ بدر الدين بن جماعة أنه كان يقول: «جميع ما في كتب الشيخ محيي الدين من الأمور المخالفة لكلام العلماء مدسوس عليه»، وكذلك كان يقول الشيخ مجد الدين صاحب القاموس.

ويوالي الشعراني حملته الكبرى فيقول: «وليحذر أيضاً من مطالعة كتب عبد الحق بن سبعين مما يوهم الحلول والاتحاد والتشبيه وأقوال الملحدين، ومنع بعضهم من سماع كلام سيدي عمر بن الفارض في التائية، والجمهور على جواز ذلك مع التأويل».

ويختم الشعراني تلك الدراسة المؤمنة الصادقة التي يهدف بها

إلى حماية العوام وأشباه العوام من صولة التصوف والمتصوفة بقوله:
«فهذه عدة نصائح وتحذيرات قد سقتها إليك فزنها بميزان الشرع،
وعليك بمطالعة كتب الشريعة، من حديث وتفسير وفقه والاقتداء بأئمة
الدين من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ومقلديهم من الفقهاء
والمتكلمين، وإياك الاجتماع بهؤلاء الناس الذين تظاهروا
بطريقة القوم».

والشعراني وهو يهاجم التفلسف في التصوف، ويرفع الستار عن
الدخيل والمدسوس على المتصوفة، لا ينسى أبداً رسالته كصوفي ولا
ينسى أن يكشف الستار عن حقائق العلم الصوفي الصادق الذي صدر
عن وجد وحب أو عن ذوق رفيع واصطلاح صوفي يدق إلا على من
يتذوق حال القوم ومقاصدهم.

ولهذا فهو يعقب على حملته بدفاع حار عن أقطاب التصوف
وعن كلمات لهم أو اصطلاحات أولها الناس فخرجوا بالتأويل عن
مقاصدهم وأهدافهم.

ومن هذا القبيل كلمة حجة الإسلام الغزالي المشهورة: «ليس في
الإمكان أبدع مما كان» والتي اتخذها ابن تيمية وسيلة لتجريح الغزالي
والتهكم به، بدعوى أن في هذا القول ما يشبه الحجر على قدرة الله في
الإبداع المستمر.

يقول الشعراني: كلمة الغزالي كلمة مؤمنة صادقة وإن جهلها
خصومه لأن جميع الممكنات أبرزها الله على صورة ما كانت في علمه
تعالى القديم، وعلمه القديم لا يقبل الزيادة، وفي القرآن الكريم،

﴿رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى﴾ (طه 50) ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ (السجدة 7).

ودافع عن الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي وأوضح ما يريده من قوله في الفتوحات وغيرها: «حدثني قلبي عن ربي، أو حدثني ربي عن قلبي، أو حدثني ربي عن نفسي تعالى» بارتفاع الوسائط. يقول الشعراني: ليس مراده أن الله تعالى كلمه كما كلم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وإنما مراده أن الله تعالى يلهمه على لسان ملك الإلهام بتعريف ببعض أحوال، فهو من باب قوله ﷺ: «إن يكن في أمتي محدثون فعمر»⁽¹⁾.

ويقول الشعراني: «ومما نقل عن القوم قولهم: «اللوح المحفوظ هو قلب العارف» ليس مرادهم نفي اللوح المحفوظ وإنما مرادهم أن قلب العارف إذا انجلى ارتسم فيه كل ما كتب في اللوح المحفوظ نظير المرأة إذا قابلها لوح مكتوب».

وقولهم أيضاً: «دخلنا حضرة الله وخرجنا من حضرة الله» ليس مرادهم بحضرة الله عز وجل مكاناً خاصاً معيناً فإن ذلك ربما يفهم منه التحيز للحق، تعالى عن ذلك علواً كبيراً، وإنما مرادهم بالحضرة

(1) أخرجه البخاري في المناقب باب مناقب عمر بن الخطاب حديث رقم 3486 بلفظ: «لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر» ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر، والترمذي في المناقب حديث رقم (3776).

حيث أطلقوها شهود أحدهم أنه بين يدي الله عز وجل ، فما دام يشهد أنه بين يدي ربه عز وجل فهو في حضرته ، فإذا حجب خرج عن حضرته تعالى ، وللشعراني في هذا الباب إسهاب وتفصيل لم يسبق إليه ، وبذلك أنصف الشعراني التصوف الصادق بدفاعه الصادق ، كما أنصف الحقيقة بهجومه على كل من شطح أو تفلسف فأوهم كلامه ما يخدش الإيمان أو يتنافى مع حقائق الإحسان ، لقد جاء الشعراني في اللحظة الحاسمة التي يهبها الله جل جلاله لخلقه لتكون فاصلاً بين عهدين ، وفيصلاً بين فكرتين ، وبداية لصفحة جديدة وحياة جديدة .

وجاء الشعراني فرأى أمة تسبح في الظلمات، ورأى دولة الدراويش دولة الإقطاع الروحي تمرح في الشهوات، وشاهد مدعي الولاية الكاذبين متزعمي الطرق الصوفية المضللين ، وليس فيهم أو بينهم مصباح واحد يرسل شعاعاً من نوره ليهدي الحيارى إلى الله .

فأوقف قلمه ولسانه وعقله وحياته على الجهاد الأكبر ، لتطهير المحراب الصوفي من الدجل والشعوذة ، وتحويل التيار الأعظم المندفع إلى الهاوية إلى الجادة المستقيمة الواضحة ، ولم تكن الرسالة هينة ، ولم تكن الغاية مأمون السبيل ، فالطريق شاق مهلك تقوم به الأشواك والأهوال ، وتغمره الزلازل والمتاعب .

والشعراني لم يكن في مناعة من حياته ، بل كانت تنوشه أقلام الفقهاء وألسنتهم ، فقد جاء مزلزلاً لمكانتهم محطماً لصولتهم ، وتخدشه أنياب رجال الكلام وأظفارهم ، فهم معه في معركة لم يهدأ أوراها بعد ،

ويرمقه رجال الحكم والولاية بعين الحذر والغضب ، فهو دائماً ينازعهم الأمر ، منتصراً للضعفاء ، ومن في حكم الضعفاء من أصحاب الحاجات وما أكثرهم!

والصيحات تأخذه من كل جانب ، ولمحترفي التصوف دولة ولزعمائهم صولة ومكانة شعبية لا تسامى ولا تضارع .

المسألة الثالثة: كتب الشعراني تصحيح للمسار الصوفي:

ولكن الشعراني رغم سياسته التي سنعرض لها بعد ، ورغم ليونة قلمه في جداله مع الفقهاء وحواره مع رجال التوحيد والكلام لم تزل له الأهوال التي تحف به ، بل تقدم إلى المعركة الكبرى عنيفاً قاسياً على غير عادته ، لأنه يعلم علم يقين أنه ينازل فئة هي أخطر على الإسلام ومقدساته من كل خصم وعدو ، تقدم ليحطم الهيكل المدنس على عباده ، وليقوض الصرح الظالم على اللائذين به والملتجئين إليه ، ثم لينني على الأنقاض صرح الإيمان الصادق وهيكل التصوف الذي هو قمة الإيمان ، وخلاصة الدين ، ونوره الوضاء المبين .

بسبيل هذه الغاية المقدسة ألف الشعراني كتابه العظيم «المنن» ، لا ليتحدث عن نفسه ولا ليباهي بأخلاقه وأعماله ومقاماته - كما ظن بعض المستشرقين والسائرين تحت ألويتهم من كُتّابنا - ولكن لقد جاء الشعراني كما يجيء المطر للأرض المجدبة التي يريد الله أن يبعثها ويحييها لينفع بها عباده .

ليضع أمام أدياء التصوف ، وليضع أمام الأمة الإسلامية التي

خدعت في هؤلاء الأدياء المثل العليا للأخلاق المحمدية، والمثل العليا للآداب الربانية، فقد كان رسول الله ﷺ: «خُلِقَ الْقُرْآنُ»^(١) كما تقول السيدة عائشة رضوان الله عليها، وكل متصوف صادق هو على سنن نبيه العظيم ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٢).
والمنن من الناحية الموضوعية أعظم كتاب أخلاقي في تاريخ العربية.

بل لعله أعظم كتاب للمثاليات الإيمانية الصوفية في تاريخ التعبد الإسلامي.

فلقد رسم الشعراني في كتابه الفذ الخطوط العليا العريضة للآداب الإسلامية من وجدانية ونفسية وعلمية، كما رسم الخطوط العريضة الواضحة لما يقابلها من سيئات منحدره هابطة إلى أسفل، وما يحف بها من شهوات وما يلوذ بها من أحقاد النفس ووساوس القلب، وما يعترك في الطبع الإنساني من غل وحسد وشهوات. فالمنن إذن من الناحية الفنية، فيصل مبین بين التصوف الصادق الذي يركز على الخلق المحمدي، وبين أدياء التصوف الهابطين بأخلاقهم وأعمالهم إلى ما ينكره الإسلام ويبرأ من الإيمان ولا يرضى عنه الخلق الكريم.

ولا يضير الشعراني أنه عمد في بعض فصول هذا الكتاب إلى ما يشبه الأسلوب العامي، أو الوعظ القصصي، فلقد هدف الشعراني منذ

(1) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (23460).

(2) سورة الأحزاب آية: 21.

خط السطر الأول في هذا الكتاب إلى مخاطبة الجماهير العامة في عصره وهي الجماهير التي ضللها أدعياء التصوف، وعبث بها الإقطاعيون الروحانيون.

والجماهير العامة في كل الأمم وفي عصر الشعراني خاصة لا يصلح لها سوى هذا الأسلوب السهل الرقيق، وسوى هذا اللون من الإرشاد والتوجيه المبين الواضح القريب من القلوب والأرواح. بل لعل هذا اللون من البيان الذي يشبه الدررشة الكلامية هو الأسلوب الحكيم الذي لا أسلوب سواه، يصلح للغاية التي هدف إليها الشعراني، ورسم خطوطها وحدد أهدافها.

يقول الشعراني في مقدمة هذا الكتاب: «فهذه جملة من النعم والأخلاق التي تفضل الحق تعالى لي أوائل دخولي في محبة طريق القوم يجمعين، كان الباعث لي على تأليفها ورقمها في هذه الطروس أموراً: أحدها ليقندي بي إخواني فيها، وكنت أمرهم بالتخلق بها فلا يسمعون، فقال لي يوماً جماعة منهم: هذه الأخلاق التي تأمرنا بها لا نجد أحداً أبداً تخلق بها من أهل عصرنا حتى نقندي به فيها، فاستخرت الله تعالى وأظهرت لهم تخليقي بها فاتبعوني عليها، وما بقي لكم حجة في ترك التخلق بها فلولا ذلك لربما كان الكتمان أولى»⁽¹⁾.

علم الشعراني أن الأخلاق العالية لا بد أن يكون لها رمز تتمثل فيه، لتشاهدها الأعين حية متحركة قائمة بين الناس، وعلم أن أصحابه

(1) مقدمة لطائف المنن: وانظر مقدمة فضيلة الشيخ الإمام الأكبر الدكتور عبد الحلیم محمود علی کتاب عبد الوهاب الشعرانی إمام القرن العشرين عبد الحفیظ فرغلی.

وأهل عصره لا يمكن أن يتحملوا تلك الثورة الإيمانية التي يبشر بها ويحمل أعلامها، فرمز لهذه الأخلاق بنفسه، هذه الأخلاق التي قال معاصروه عنها: إنهم لم يروا أحداً متخلقاً بها. وليس معنى هذا أن الشعراني كان بعيداً عن هذه الأخلاق أو كان مدعيّاً في نسبتها إلى نفسه، ولكننا قصدنا أنه صاغها على نفسه وليكون وقعها في معاصريه أكمل وأتم.

وفي سبيل هذه الغاية العليا أيضاً ألف الشعراني كتابه الفريد البديع «لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية».

والعهود المحمدية التي عناها الشعراني هي خلاصة الدين الرباني أو صفوة الأخلاق المحمدية، وكل أخلاقه صلوات الله وسلامه عليه صفوة. ولقد وضع الشعراني هذا الكتاب: ليظهر الفرق الشاسع بين أخلاق الرسول ﷺ وهو المثل الأعلى لكل مسلم وهو الإمام الأكبر لكل صوفي، وبين أخلاق الشيوخ المتصدرين لقيادة مواكب التصوف الزائف، حتى يحصص الحق، وينبلج الصبح المنير، ويتبين كل من ينشد هدى، هل هؤلاء الشيوخ المتصدرون لقيادة التصوف، أذعياء أم مؤمنون ببرة؟

يقول الشعراني في مقدمة هذا الكتاب:

«هذا كتاب نفيس لم يسبقني أحد إلى وضع مثله، ولا أظن أحداً نسج على منواله، ضمّنته جميع العهود التي بلغتني عن رسول الله ﷺ من فعل المأمورات وترك المنهيات، وكان الباعث لي على تأليفه ما رأيته من كثرة تفتيش الإخوان على ما نقص من دنياهم، ولم أر أحداً

منهم يفتش على ما نقص من أمور دينه إلا قليلاً فأخذتني الغيرة
الإيمانية عليهم وعلى دينهم، فوضعت لهم هذا الكتاب المنبه لكل
إنسان على ما نقص من أمور دينهم، فمن أراد من الإخوان أن يعرف
ما ذهب من دينه فلينظر في أي عهد ذكرته له في هذا الكتاب ويتأمل
نفسه، يعرف يقيناً ما أدخل به من أحكام دينه فيأخذ في التدارك أو
الندم والاستغفار.

ثم اعلم يا أخي أن طريق العمل بالكتاب والسنة قد توعرت في
هذا الزمان وعز سالكها لأمر عرضت في الطريق يطول شرحها، حتى
صار الإنسان يرى الأخلاق المحمدية فلا يقدر على الوصول إلى
التخلق بشيء منها فلذلك كنت أقول في غالب عهود الكتاب: «وهذا
العهد يحتاج من يعمل به إلى شيخ يسلك بت الطريق ويزيل من طريقه
الموانع»⁽¹⁾.

وفي سبيل الغاية التي رسمها الشعراني وهي الثورة على أدياء
التصوف ورسم المثل العليا للتصوف الصادق القائم على الكتاب والسنة
ألف كتابه الصوفي الرائع «الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية»
خصصه لتوضيح المناهج الصوفية النقية، والصلوات التي تربط الشيخ
بالمريد والمريد بالشيخ، والآداب الواجبة على كل منهما، كما شرح
فيه معاني الإلهام الصوفي ودقائق ورفائق الطريق الرباني وما فيه من
أنوار وما تتطلبه تلك الأنوار من آداب وأخلاق، لأن النور ثمرة

(1) لواقح الأنوار القدسية ص 8.

الإيمان بالحق ، والإلهام ثمرة العبادة الصادقة والطاعة المؤمنة .

ويقول الإمام الشعراني أيضا في مقدمة هذا الكتاب :

«وقد سألتني بعض الفقراء الصوفية من الإخوان نفع الله بهم أن أملي جملة من آداب العبودية، آداب الفقراء عموماً وخصوصاً، وما يدخل على كل طائفة من الدسائس في مقاصدهم، لأن الشيطان لهم بالمرصاد ولا ينجو منه إلا القليل من عباد الله»⁽¹⁾.

ولم نذكر هذه الكتب الثلاثة على سبيل الحصر وإنما ذكرناها على سبيل الرمز والمثال، فالحقيقة أن كل كتب الشعراني التي أربت على الثلاثمائة لم تخل من هذا التوجيه، ولم تخل من هذا اللون من التوضيح والإرشاد.

هذا هو جانب البناء في صراع الشعراني مع أدعياء التصوف، أما الجانب الآخر فهو الصراع العنيف المر، والمعركة القاسية التي خاض الشعراني غمارها في وجه العاصفة، ويا لها من عاصفة.

فقد روت لنا كتب المناقب أن مصر حفلت في عصر الشعراني بطوائف من الدراويش يخطئهم العدد، واكتظت الشوارع والطرق بمواكبهم، والبيوت بولائمهم، والزوايا والمساجد باجتماعاتهم، وانتشر الشيوخ والأتباع في الريف والحضر، وتغلغلوا في المدن والقرى، وامتد سلطانهم إلى كافة طوائف الشعب، وأضحى المتصوفة فوق القانون، وفوق العرف وفوق الدين، واقتسموا بينهم مناطق مصر، فاستولى كل ولي مساحة من الأرض يتصرف في أهلها

(1) الأنوار القدسية ص 3.

يستغل مواردها. وكان على الشعب أن يكفلهم ويقوم بحاجتهم، وينظم لهم الموالد والولائم، وقد كان من أظهر مميزات التصوف في هذا العصر تحوله من ظاهرة وجدانية فردية إلى ظاهرة اجتماعية؛ تتمثل في حياة أتباعه في رحاب الزوايا والتكايا، حيث يعيشون مع زوجاتهم من فيض الأوقاف الضخمة التي تُحسب عليهم، والأرزاق التي تجري من أجلهم، وكانت العطايا من الكثرة بحيث أحالت زهدهم رخاء، وتشفهم ترفاً، وكان المتصوف إذا خرج إلى الشارع أو سار في الأسواق تهافت عليه الناس وتكاثر حوله العديد منهم وسدوا طريقه، وانهلوا على يديه وقدميه تقبيلاً ولثماً تقريباً إلى الله وزلفى؟^(١).

ويروي لنا الشعراني من أخلاق هذه الطائفة القوية السائدة عجباً أي عجب، لا نكاد نتصوره في عهدنا، مع أنه كان اللون الغالب السائد في عصر الشعراني في دولة المجازيب وال دراويش وكان الجهل الفاضح، والتحلل الشائن من الدين، بل التمرد على الدين هو طابع الشيخ الجاهل والمريد المدعي في هذا العصر. يروي لنا الشعراني في معرض الحديث عن جهالة مشايخ الأحمدية والبرهامية في عصره، أنه سأل واحداً منهم عن قواعد الإيمان فقال: لا أدري، فسأله عن فرائض الوضوء فقال: لا أدري! فسأله عن شروط الصلاة فقال: لا أدري. ويقول الشعراني معلقاً على هذا: «مع أنه شيخ كبير في زاوية يأخذ العهد ويتصدر للوعظ»^(٢).

(1) التصوف في مصر إبان العصر العثماني.

(2) قواعد الصوفية ص 34.

ويقول الشعراني عن شيخ كبير من هؤلاء الشيوخ جاء لزيارة الشعراني فسأله الشعراني عن بعض مسائل في الدين، فصرح مفاخرًا بأنه لم يقرأ في العلم شيئًا، لأنه يحتقر العلم، ولا يعرف عن شروط الصلاة والوضوء كثيرًا ولا قليلًا، لأنه فوق العبادات^(١).

ويروي لنا المناوي في طبقاته الكبرى، أن زعامة التصوف قد آلت بعد الفتح العثماني إلى رجلين يمثلان المعسكرين: معسكر التصوف العلمي الرباني، ومعسكر الأدعياء الجهلة هما الشعراني، ومحمد كريم الخلوتي.

ثم يقص علينا المناوي قصة اللقاء بين الرجلين الزعيمين. قال المناوي: سأل الشعراني الخلوتي عن مسألة الوضوء، فأعلن هذا جهله بها، رغم زعامتهم ورغم ما أصاب من شهرة بين الناس والأمراء، فقال له الشعراني: إنك لا تصير صوفيًا بغير علم، فقال الخلوتي: علمني، فشرع الشعراني في تعليمه، ثم زاره مرة ثانية ليواصل تعليمه، فأغلق هذا باب زاويته في وجهه، فعاد مرة ثالثة عسى أن يتمكن من تعليمه، فأساء الخلوتي استقباله، وأغلق الباب في وجهه، وقال لمريده ساخرًا: إن الشيخ الشعراني طلب أن يجعلني فقيهاً وأنا صوفي، قال الشعراني: «ففهمت من كلامه أنه اعتقد أنني دعوته إلى أمر فيه نقص، وقد أخذ الخلوتي ومريدوه يهزؤون بالشعراني ويقولون: إنه يريد أن يجعلنا فقهاء مثله»^(٢).

(1) تنبيه المغترين ص 52.

(2) طبقات المناوي الكبرى ص 519.

ويصف لنا الأستاذ أدوار لين الذي زار مصر بعد انقضاء العصر العثماني بنيف وعشرين عاماً في كتابه القيم عن مصر خلال هذا العهد، زعماء التصوف في هذا العصر وصفاً عجباً يقول: «ومعظم الأولياء المعروفين في مصر مجانين أو مخابيل أو دجالون، يسير بعضهم في الشوارع عارياً كامل العري، فيلقى من الناس كل الاحترام والتوقير، حتى إن النساء لا يتجنبن الاتصال بهم، بل يأذن لهؤلاء الجبناء أحياناً بأن يكونوا معهن على قارعة الطريق أحراراً كاملي الحرية، ولا يعتبر هذا في عرف الطبقة الدنيا من الشعب معرة ولا منقصة، بل هم يؤوّلون ما يشاهدون وما أعجب تأويلهم»⁽¹⁾.

هذا موقف الشيوخ والزعماء، أما موقف المريدين والأتباع فيكفي أن نقول: إن أحدهم احتاج في تزويج ابنة له، فمضى إلى التجار ملتمساً قرضاً في نظير رهينة من شعر أخذه من رأس شيخه، فقال له التاجر ساخراً متهكماً، لو أعطيتني إردباً من شعر شيخك ما أخذته بدائق، ولم يحزن المريد لحرمانه من المال بل كان حزنه الأكبر لسخرية الناس من شعر شيخه المقدس الذي لا يقدر بمال.

رأى الشعراني ذلك البلاء المحيط بالأمة الإسلامية في مصر، فسدد قلمه، وأرسل لسانه في ثورة ملتهبة، وحملة صادقة، تجتث أصول هذا البلاء وتحطم صرح هذا البهتان. وأخذ الشعراني ينقض دعاوى تلك الطوائف متعقباً لخطاها مترصداً لحركاتها، مدلاً بالآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة على مروقهم من الدين وبراعتهم من الإيمان.

(1) كتاب الأستاذ لين ص 334.

وأفتى الشعراني فيما أفتى بأن الأحمديّة والرفاعيّة والبسطاميّة والأدهميّة والمسلميّة والدسوقيّة في عهدّه، خارجون عن شريعة الله، لأن أفعالهم يكذبها طريق شيوخهم السابقين، كما يكذبها الكتاب والسنة وهما أصل الإسلام وبرهانه المبين.

وتعقب الشعراني شيوخ عهدّه شيخاً فشيخاً مظهراً جهلهم، وسوء أدبهم وأنهم أضل من الأنعام، وأن التصوف هو الطهارة الكاملة، والزهد الشامل قد أصبح على أيديهم طريقاً إلى الشحاذة والتسول، وهان حتى في أعين الطغاة كما يقول.

ثم وضع الشعراني رسالته «ردع الفقرا عن دعوى الولاية الكبرى» فكانت السهم الأكبر، هاجم بها مدعي الولاية زوراً وبهتاناً، محترفي التصوف كذباً ونفاقاً، قائلاً: إنهم يقنعون بلبس الزي، فإن سألت شيخاً منهم عن قواعد الإيمان قال: لا أدري، أو فرائض الوضوء قال: لا أدري. ولا يعترف الإسلام على من يجهل قواعد دينه، فضلاً عن أن يكون شيخاً أو مرشداً.

وألف الشعراني كتبه الكبرى: تنبيه المغترين، والمنن الكبرى، والعهود المحمدية، والأنوار القدسية، وقواعد الصوفية، ليجلو الأخلاق الصوفية المثالية، التي عرفها التصوف الصادق، وليظهر الفرق البعيد بينه وبين مواكب المتصوفين المرتزقة الزائفين.

المسألة الرابعة: موقف الشعراني من المتصوفة العاطلين:

وقد جر هذا اللون من التصوف الكاذب إلى الحياة الاجتماعية

في مصر نكبات نالت من اقتصاديتها وعزائم بنيتها، وأثرت في مكانتها الدولية.

فلقد كانت البطالة والتعطل من المبادئ العامة المحترمة المعترف بها في بيئات متصوفة هذا العصر.

فكل من تزيًا بزيّ المتصوفة ترك العمل وانقطع إلى الزاوية، أو التكيّة الخاصة بشيخه، ورأى أن من حقه على الناس أن يطعموه، وأن يقوموا بمعاشه بل وبمعاش أسرته أيضاً.

وقبلت الجماهير المصرية من هؤلاء الدراويش هذا الوضع، بل اعتبروا تقديم الطعام والملبس وما شابه ذلك إليهم واجباً يحتمه الدين عليهم.

وللكسب والعمل في الإسلام مكانة لا يضارعها إلا الجهاد في سبيل الله، مرّ على النبي صلوات الله وسلامه عليه رجل فرأى أصحاب الرسول من جلده ونشاطه في الكسب والارتزاق يتحدثون فيه، فقالوا: يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله فقال صلوات الله وسلامه عليه: «إن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله! وإن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين كبيرين فهو في سبيل الله»⁽¹⁾.

وعاد بعض صحابة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه من سفر

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم (280) وفي الأوسط رقم (6835) وفي الصغير رقم (940).

فأخذوا يحدثون الرسول ﷺ عن رجل كان معهم كثير العبادة، كثير الصلاة كثير الصوم متفرغاً أبداً لتقواه، فقال لهم النبي ﷺ: «من كان يقوم به في معيشته؟ قال: أخوه، قال: أخوه أعبد منه»⁽¹⁾.

ذلك هو منطق الإسلام لكن أدعياء التصوف أبدلوه ونقضوه، كما أبدلوا ونقضوا كل عرى الإسلام.

وأدرك الشعراي خطورة هذا الأمر على الفكر الإسلامي وعلى الناحية الاقتصادية في الأمة الإسلامية، فخصص جانباً كبيراً من حملته على أدعياء التصوف، لتلك النقطة الخطيرة.

دعا الشعراي إلى الجمع بين العبادة والعمل باعتبارهما دعامة الحياة وساق الأدلة التاريخية على تحريض كبار الصالحين من أهل التصوف على تجنب العيش على صدقات المحسنين، وفضل الشعراي الصُّنَاع على العبَاد: لأن هؤلاء يساهمون في نفع الناس، بينما العبادة يقتصر نفعها على صاحبها، وكان يقول: «ما أجمل أن يجعل الخياط مثلاً إبرته سبحته، وأن يجعل النجار منشاره سبحته ذلك هو التسبيح

(1) العهود المحمدية ص 306، وإن العبادة في نظر الإسلام وسيلة في تطهير النفس، = والمتأمل في شريعة الإسلام يجدها قد وسعت كثيراً من مفهوم العبادة، فليس التبعّد في نظر الإسلام مقصوراً على الصلوات والأذكار التي يقف فيها الإنسان موقف المناجاة والعبودية مع ربه، بل إن كل عمل صالح يفعله المسلم مخلصاً فيه امتثالاً لأوامر ربه وابتغاءً لمرضاته هو عبادة يثاب فاعلها ثواب المتعبدين ولو كان ذلك العمل من مشتبهات الفاعل وحظوظه الدنيوية.

النافع المقبول».

بل لقد آثر الشعراني في دعوته حياة البدن على حياة الروح ، لأن هذه قد تفرعت عن حياة الجسم ، وهي تتأثر بما يعتره من وجوه العسر واليسر ، حتى ليفضي الضنك إلى تشتت الفكر ، وبلبلة خاطر ، ولذلك كان أبو حنيفة يقول : « لا تستشر من ليس في بيته دقيق »^(١).

فالأكل والشرب والنوم والنكاح وسائر الأعمال التي تتطلبها طبيعة الإنسان وبشريته وله فيها حظ ولذة ، إذا فعلها الإنسان بنية دينية بأن ينوي أنه إنما يفعلها امتثالاً لأمر الله تعالى وإعفافها عن الحرام ، وتقوية لجسمه بالأكل والشرب والنوم والرياضة والنزهة والسياحة المباحة كي يصبح قادراً على القيام بالواجبات التي أوجبها الله عليه ، ويكون ذلك المؤمن القوي الذي يقول عنه النبي ﷺ : « الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرٌ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ »^(٢).

فإن هذه الأعمال الدنيوية التي تنطوي على حظوظ النفس ومتعتها تصبح عندئذٍ - وبهذه النية الصالحة - عبادة وقربة .

(1) لم أجده بلفظه ولا بنحوه في جميع المصادر التي بين يدي .

(2) صحيح مسلم حديث رقم (4816) وأحمد في المسند (8436).

فتقرب الإنسان إلى الله زلفى وهو في بحبوحة حظه وامتعته ، لأنه قد توجه بنية صالحة فيها إلى الله تعالى وسخرها في سبيل مرضاته ، فكانت هذه الحظوظ والمتع طاعة وإذعاناً وتوجهاً إلى الله تعالى ، وهذا هو جوهر العبادة ومعناها وأفاقها في الإسلام . فالإسلام لا يحرم على الإنسان حظوظه الطبيعية الجبلية وشهواته الغريزية ، بل لا يجعل زهده فيها وإعراضه عنها أفضل ممن يستعملها ، وإنما يريد الإسلام من الإنسان أن يسلك بهذه الحظوظ والمتع سبيلاً مباحاً ومشروعاً ، أو على حدود الفضيلة ، أو على مصلحة المجتمع . والدين الإسلامي له نظرة عميقة في هذا التوسع لمعنى العبادة ، فهو يريد من الإنسان أن يكون قلبه دائم الصلة بالله ، غير غافل عنه وهو يمارس أعماله اليومية ، وبذلك يجعل دنياه وسيلة لآخرته ، ويجعل عمله وثيق الصلة بعبادته ، وكثير المراقبة لنفسه ونزواتها كما يقول القرآن الكريم : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۗ وَلَا تَنْسَ نَفْسِكَ مِنَ الدُّنْيَا ۚ وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۗ﴾ [القصص: 77] .

فإذا عرف المسلم أن حظوظه وملذاته وأعماله المباحة يمكن أن تصبح عبادات بحسن النية ، أو طيب الطوية كان عليه يسيراً ، لأن العبادة الدائمة لا تكلفه عند الإذن من الله تعالى حرماناً من الحظوظ وشقاوة الحياة ، وإنما يكفيه النية الصالحة ومراقبة الله تعالى ، ومن جهل هذا المعنى ذم الدنيا إطلاقاً ، وجعل آفة الدنيا النساء والمال والجاه والولد ، ولكن الكامل لا يهرب من هذه الآفات بل يستوعبها جميعاً ،

لأن دنيا العارف في يده وليست في قلبه. ومن هنا كان النكاح كما يقول الشعراي عبادة، بل النكاح عنده أعظم النوافل التي تدني الإنسان من ربه لتلقي العلم اللدني. والزهد عند الكُمل كما يقول الشعراي: لا يكون عن خلو اليد من متاع الدنيا، وإنما يكون بخلو القلب مع امتلاء اليد، وكمال المقام في زهد القلب لا يتحقق بغير الزهد فيما يملك الإنسان التصرف فيه من غير مانع، أما الزهد مع خلو اليد فربما كان مصدره الإملاق، ولهذا قيل: شرط الداعي إلى الله ألا يكون كامل التجرد من دنياه. وهذا بالإضافة إلى أن مثل هذا الإملاق يحوج صاحبه إلى سؤال الناس بالحال والمقال، وبهذا يهون في نفوسهم أمره، ويضعف عندهم تأثير تعاليمه، وعلى الضد من ذلك إن كان صاحب مال يفيض عن حاجته، فينفق منه على مريديه وغيرهم من المحتاجين⁽¹⁾.

وبناء على ذلك أخبر النبي ﷺ أن الإنسان يعد مأجوراً إذا رفع اللقمة إلى فم امرأته بنية المودة والرحمة التي عنها الله بقوله: ﴿ وَمَنْ ءَايَنتهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكَّرُونَ ﴾ [الزمر: 21].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ ذُرِّيَّتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ وَلَسْتَ بِنَافِقٍ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجَهَ اللَّهُ إِلَّا آجَرَكَ

(1) العهود المحمدية ص 65.

اللَّهُ بِهَا حَتَّى اللُّقْمَةِ تَجْعَلَهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ»⁽¹⁾ وعلى هذا الأساس صرح الفقهاء وعلماء الشريعة أن النية الصالحة تقلب العادة إلى عبادة.

وليس أدل على أن الإسلام قد ربط بين العبادة والعمل من قوله عز وجل ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 97].

قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية ما نصه: «هذا وعد من الله تعالى لمن عمل عملاً صالحاً وإن هذا العمل المأمور به مشروع عند الله بأن يحييه حياة طيبة في الدنيا وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة».

ومن الأدلة على صلة العمل بالعبادة قوله عز وجل: ﴿وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ سورة الجمعة الآية: (10) فهذه الآية تدل على الجمع بين العمل والصلاة (وهي عبادة) وقال سبحانه في صدد الحديث عن الحج: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ سورة البقرة الآية: (198) فدل ذلك على جواز الجمع بين الحج والتجارة وهو عبادة وعمل.

والآيات والأحاديث في هذا الصدد كثيرة اكتفي بهذا القدر منها. وتلك رحابة أفق من الشعراني في فهم الدنيا وتصور رسالة العابد الزاهد فيها، قلما نجد لها مثيلاً في تفكير رجال الدين، وما ذهب إليه الشعراني يعتبر في غاية الجمال والدقة.

(1) رواه البخاري ومسلم.

ذلك موقف الشعراني من أذعياء التصوف، وليس معنى هذا أن هؤلاء الأذعياء وهم قوة ضخمة فعّالة في المجتمع المصري، قد استكانوا لحملة الشعراني وألقوا السلاح أمامها بغير حرب ولا قتال. لقد هاجموا الشعراني بكل سلاح، واعتدوا عليه وتربصوا به الدوائر وملؤوا الدنيا هتافاً وصياحاً بالتشهير به، والحملة عليه، بل أرسدوا له من يقتله غيلة وغدرًا.

وقد أشار المناوي والشبلي إلى التعاون الذي قام سرًا بين هؤلاء المتصوفة وبين الفقهاء ضد الشعراني في مؤامرة الأزهر الكبرى التي اتهم فيها الشعراني بالكفر، كما مر معنا بيانه عند الحديث عن صراعه مع الفقهاء.

ولقد تحطمت حملات أذعياء التصوف عند الشعراني لأنها صادفت لدى الشعراني قوة إيمانية صادقة، وقوة علمية لا يستهان بها، وقوة نفسية لا تسمو إليها الأحداث، حتى ليهتف الشعراني واثقًا بنفسه: «اللهم افضحنا ولا تسترنا حتى يتميز الخبيث من الطيب» وهي كلمة لا يجرؤ على قولها إلا رجل يعلم ما هو عمله، وما هي مكانته، وأنه عمل لا تلحق به الشوائب، وأنها مكانة لا تدنو منها الشبهات. بينما أدت حملة الشعراني إلى القضاء على نفوذ هؤلاء الجهلة الأذعياء، كما أثمرت حركة صوفية صالحة صادقة عالمية مبصرة.

حركة تصفها كتب التاريخ والمناقب بأنها عادت بالتصوف إلى عصوره الأولى، إيماناً وزهداً ومعرفة وعلمًا ونورًا يرشد المسلمين إلى

أنبل ما في الحياة من أخلاقيات ومثاليات .
وحسب الشعراني هذه الرسالة وحدها، فبمثلها يخلد العلماء
المجاهدون مع أنها كانت جزءاً من حياته، ولم تكن كل رسالته .

** ** *

الفصل الثاني دراسة أهم مسائل كتاب

«الموازن الذرية في بيان عقائد الفرق العلية»

وهي:

- 1- الكلام على الرؤية والفرق بينها وبين المشاهدة.
- 2- موضوع الخاتمة.
- 3- النهي عن التفكير في ذات الله تعالى.
- 4- الخلق كلهم قائلون بالاتحاد الوهمي لا الحقيقي.
- 5- الميزان التي ترجع جميع الفصول إليها.

دراسة أهم المسائل التي تعرض لها المؤلف

المسألة الأولى: في الكلام على الرؤية والفرق بينها وبين المشاهدة:
لقد تحدث الإمام الشعراني في هذه المسألة بكلام عالٍ وراقٍ جداً إذ قرب للإفهام حقيقة رؤية الحق عز وجل ، وبين أنه لا يمكن معرفة حقيقتها إلا من عرف حقيقة رؤية من مات في المنام ، يقول الشعراني ص 225: حقيقة رؤية رسول الله ﷺ أنه مثال ينتجه الله تعالى من تلك الذات المرئية في عالم الخيال فيرتسم في النفس بصورة المرئي ، فليس مراد الرائي الصادق برؤية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام رؤية حقيقة شخصه صلى الله عليه وآله وسلم المودع في قبره الشريف في المدينة المنورة .

وهذا كلام غاية في الروعة والجمال إذ قدم المسألة بتوضيح لفهم قضية غامضة على الناس وهي رؤية الحق من قبل العبد ولذلك يقول الشعراني ص 226: «وكذلك القول في رؤية ذات الله تعالى ، فإنها منزهة عن الشكل والصورة ، ولكن لا يتعقل عبد معرفتها إلا بواسطة تخيل مثال محسوس في الصورة الجميلة التي تصلح أن يمثل بها ذلك الجمال الحقيقي المعنوي الذي لا صورة فيه ، ولا لون ، ولا شكل ، ثم يطلق على ذلك المثال أنه حق وصدق لكونه واسطة في التعريف ، ويقول النائم: رأيت ربي في المنام ، وليس مراده أنه رأى ذات ربه حقيقة ، وإنما رأى مثال ذاته المتخيلة في وهمه» .

ثم تناول الشعراني قضية الفرق بين المثل والمثال فقال ص 226: «قلنا: هذا كلام من هو جاهل بالفرق بين المثل والمثال، فإن المثل هو المساوي في جميع الصفات، والمثال لا يشترط فيه المساواة» ثم قال في ص 18: «والمثال جائز والمثل باطل» وذلك لأن المثال ما يوضح الشيء والمثل هو ما يشابه الشيء من جميع الوجوه، ثم ذكر نتيجة هذه المسألة فقال في ص 228: «وليس شيء في الوجود يماثل الحق تعالى، فالمثال هو المرئي في الدنيا والآخرة لأنه يصح لعبد أن يرى مثال الذات المقدسة، كما يشهد بذلك خبر مسلم في التجلي يوم القيامة، وكما تجلى جبريل لرسول الله ﷺ في صورة دحية الكلبي، فلا يستحيل ذلك في حق الله تعالى في يقظة ولا منام، لاتفاق جميع المحققين أن المرئي مثال للذات لا عين الذات».

ثم بيّن الشعراني أن العبد إنما صح له معرفة صفات الله تعالى من الوجود والقيام بالنفس والمخالفة للحوادث والحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والفرح والرضى والغضب وغير ذلك لأن العبد موصوف بهذه الصفات أيضاً، واستدل بالحكمة الواردة في الكتب السابقة أن من عرف نفسه فقد عرف ربه.

ثم ذكر الشعراني ~ في هذه المسألة الفرق بين الحق والإنسان، فقال: إن الحق يتقلب في الأحوال، والإنسان تتقلب عليه الأحوال، إذ يستحيل أن يكون للحال على الحق تعالى حكم ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (1) ف وقعت المشاركة في الأحوال كما وقعت في

(1) سورة الرحمن الآية: 29.

الأسماء ص 231.

إلا أن كثيراً من كلام الشعراني يعد غامضاً قد لا يدرك معناه العامي، كما أنه تعمق في فلسفة القضايا الإيمانية حتى أدى ذلك إلى الغموض، ولاحظنا من خلال عرض هذه المسألة أن الشعراني اجتهد في فهم هذه المسألة وأتى بكل جديد، وهي جرأة علمية قد يكون فيها مبدعاً، ولكن لا تخلو من مؤاخذات لأنها اجتهادات قد لا يسعها النص والدليل أحياناً والله أعلم.

المسألة الثانية: في موضوع الخاتمة (ص 422):

تناول الإمام الشعراني عدة قضايا مهمة في الخاتمة وهي جديرة بالدراسة والوقوف عندها.

القضية الأولى: دعا إلى إحسان الظن بجميع المسلمين وبيّن أن مطمح بصر جميع المسلمين مرآة الإسلام، وقد حكم الشارع بدخولهم في دين الإسلام بالشهادتين، فلا يخرجون منه إلا بجحدها، فافهم. إن المتأمل لهذا الكلام يجده في غاية الحسن والجمال، وإنها دعوة لجميع المسلمين ألا يكفروا أحداً من المسلمين بالشبه والادعاءات الفارغة، التي لا تستند إلى حقائق صحيحة ولا إلى إجماعات الأمة، وحبذا لو عمل دعاة اليوم بهذه القيم والأخلاق والمثل، فلم يكفروا أحداً من المسلمين بشبهة.

القضية الثانية: تناول الإمام الشعراني الغلاة والمقتصدين في التأويل، وميّز بعضهم عن بعض على وجه الحق، وعدهم كلهم مسلمين، قال: فإياك أن تجازف وتحكم على جميع المؤولين بحكم

واحد، وتجعلهم في الحكم كالمكذبين للرسول سواء، كما عليه فريق متقدم من الأمة، وهم مع ما ضيقوه من رحمة الله التي وسعت كل شيء لم يتابعهم الجمهور من العلماء والخلفاء، ولم يهرقوا دماء القوم بقولهم، ولا استباحوا أموالهم وحريمهم بفتواهم، بل أجروا عليهم أحكام المسلمين إلى عصرنا هذا، لدخولهم في غمار الأمة بالإجماع، كما أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة» أخرجه أحمد والحاكم والبيهقي والطبراني فسماهم أمتهم وأضافهم إلى نفسه والمراد أمة الإجابة.

إن هذا الكلام أيضاً تأكيد لما جاء في النقطة الأولى، وهو دعوة إلى كف لسان المؤمن عن أذية أي مسلم؛ بتكفيره، أو تضليله، أو اتهامه بفساد عقيدته، كما عليه حال بعض الجماعات الإسلامية المعاصرة اليوم أصلحها الله تعالى.

القضية الثالثة: أشار الإمام الشعراني إلى أن الكفر أنواع، فمنه المخرج من الملة، ومنه المفسق، ويطلق عليه لفظ الكفر للتغليظ فقط، قال (ص431): ومن سمّاهم كفرة فإنما ذلك على سبيل التغليظ والزجر، لما هم عليه من الخطأ الفاحش والبدع الشنيعة، فشبّه ذلك بالكفر لمقربته له كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾⁽¹⁾، وكما ورد في الحديث: «المراء في القرآن

(1) سورة المائدة الآية: 44.

كفر»^(١)، وحديث: «بين العبد والكفر ترك الصلاة»^(٢)، وحديث: «من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر»^(٣)، وحديث «إذا قال المسلم للمسلم: يا كافر فقد كفر»^(٤)، فإنه كله قد ورد على جهة التخليط والزجر، فإن الشيء قد يطلق على الشيء الآخر بنوع من التشبيه ولا يقتضي حقيقة الحكم عن التفصيل (ص 431).

وما ذكره الشعراني من أقسام الكفر جاء في صحيح البخاري فلقد كان الإمام البخاري يقول في أبواب حديثه كثيرة: (كفر دون كفر)^(٥)، ثم ذكر الشعراني في (ص 434): «وحجة الأئمة من أهل هذا

-
- (1) رواه الطبراني في معجم الأوسط برقم (3666).
 - (2) رواه أبو داود بلفظ (بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة) حديث رقم (4680).
 - (3) أخرجه الطبراني في الكبير في باب الميم حديث معاذ بن جبل الأنصاري، حديث رقم (83/20) والهيثمي في مجمع الزوائد في كتاب الصلاة باب في ترك الصلاة، حديث رقم (1634) والهندي في كنز العمال في المجلد السابع الفصل الأول باب في الوجوب، حديث رقم (18876).
 - (4) ذكره الحافظ العراقي في تخريج الإحياء في المجلد الأول، كتاب أسرار الصلاة وعزاه للبزار حديث رقم (10)، وأخرجه الترمذي في السنن في أبواب الإيمان باب ما جاء في ترك الصلاة، حديث رقم (2756).
 - (5) ليس بحديث ولكنه من كلام العلماء فقد جعله الإمام البخاري في كتاب الإيمان باباً من الأبواب قال: باب كفر دون كفر، وقال المباركفوري في تحفة الأحوزي على كتاب الإيمان في باب ما جاء في سباب المؤمن فسوق، الحديث رقم (2704) أنه قال روي عن ابن عباس وطاووس وعطاء وغير واحد من أهل العلم قالوا: كفر دون كفر، وفسوق دون فسوق.

الفريق في عدم تكفير هؤلاء أنه قد ثبتت عصمتهم بقولهم: لا إله إلا الله، وذلك لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لا من عند أنفسهم، وفي الصحيح: «فإذا قالوها - يعني لا إله إلا الله - فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»⁽¹⁾.

وذكر الشعراني (ص438) وقد سئل أبو الحسن الأشعري عن تكفير المؤولين والمتفوهين بالكلام على الذات والصفات من غلاة الصوفية، فتوقف في الجواب وقال: حتى أنظر وأثبت فإنه دين، وقال زاهر بن أحمد السرخسي: لما دنت وفاة الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى في داره ببغداد دعانا ومن حضر من العلماء وقال: «اشهدوا عليّ بأني لا أقول بكفر أحد من أهل القبلة، لأنني رأيتهم يشيرون إلى معبود واحد، والإسلام يشملهم ويعمهم، فانظر كيف سماهم مسلمين».

وكان الإمام الشافعي والإمام أبو حنيفة وغيرهم يقولون نقبل شهادة من قال بالوعيد من الخوارج، إلا الخطابية وهم قوم يشهد بعضهم لبعض من غير معرفة إذا اتفقوا في المذهب، وكان الإمام المزني أحد أصحاب الإمام الشافعي يمتنع من تكفير أهل الأهواء ويقول: «إن المسائل التي يقفون فيها لطائف تدق عن النظر العقلي»،

(1) أخرجه الإمام النسائي في سننه في كتاب تحريم الدم باب حرمة قتل المسلم بغير حق، والهندي في الكنز في الفصل الرابع في أحكام الإيمان والإسلام، فرع الإقرار بالشهادتين من الإكمال، حديث (377) وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم.

وكان إمام الحرمين يقول: «لو قيل لنا: فصلوا ما يقتضي التكفير من العبادات مما لا يقتضي، لقلنا: هذا طمع في غير مطمع» وكان أبو المحاسن الروياني وعلماء بغداد قاطبة يقولون: «لا نكفر أحداً من أهل المذاهب المختلفة، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبَلَتَنَا وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ فَلَا تُخْفِرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ»^(١).

وقد سأل شهاب الدين الأزرجي سيدنا ومولانا شيخ الإسلام تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى عن تكفير أهل الأهوال والبدع فقال: اعلم يا أخي أن كل مؤمن يستعظم القول بالتفكير لأنه أمر هائل عظيم الخطر وهو كما قال الله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾^(٢) إذ من كفر إنساناً فكأنه أخبر عنه أن عاقبته في الآخرة العقوبة الدائمة أبد الأبدين، وأنه في الدنيا مباح الدم والمال، لا يمكن من نكاح مسلمة ولا تجري عليه أحكام أهل الإسلام في حياته وبعد مماته، واعلم يا أخي: أن الخطأ في ترك ألف كافر أهون عند الله من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم، وقد قال رسول الله ﷺ: «فَإِنَّ الْإِمَامَ

(1) أخرجه الإمام النسائي في سننه في كتاب الإيمان وشرائعه باب صفة المسلم، حديث رقم (4995) والبخاري في صحيحه في أبواب القبلة، باب فضل استقبال القبلة، حديث رقم (384 - 385)، والهندي في كنز العمال في أحكام الإيمان والإسلام الفرع الثاني في أحكام الإيمان المتفرقة حديث رقم (398).

(2) سورة النور: الآية 15.

أَنْ يُخْطِئَ فِي الْعَفْوِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُخْطِئَ فِي الْعُقُوبَةِ»^(١).

فكلام الشعراني رحمته الله يؤكد فيه على وحدة الصف، وتلاحم الأمة، وربطها برباط وثيق، وهو رباط الأخوة في الله تعالى، من خلال إحسان الظن بالمسلمين وعدم المسارعة في التكفير.

وفي الأثر أن الله أوحى إلى داود عليه السلام لما سأله أن يبني بيت المقدس^(٢)، أنه لا يُبْنَى بَيْتِي مِنْ سَفْكَ الدَّمَاءِ، فقال داود عليه الصلاة والسلام: يا رب ألم يكن ذلك في الجهاد في سبيلك؟ قال: بلى أليسوا بعبادي؟ فقال يا رب: اجعل بناء ذلك على يد ولدي سليمان، قال: نعم. ثم إن تلك المسائل التي يحكم فيها بالتكفير لهؤلاء القوم، في غاية الدقة والغموض لكثرة شعبها، واختلاف قرائنها، وتفاوت دواعيها، والاستقصاء بها في معرفة الخطأ من سائر صنوف وجوهه، والاطلاع على حقيقة التأويل وشرائطه في الأماكن المعهودة لذلك، ومعرفة الألفاظ المحتملة للتأويل وغير المحتملة، وذلك يستدعي معرفة طرق اللسان من سائر قبائل العرب في حقائقها ومجازاتها واستعاراتها ومعرفة دقائق التوحيد وعوارضه إلى غير ذلك مما هو متعذر جداً.

ثم اعلم يا أخي أن القول بالتكفير يحتاج إلى أمرين عزيزين: أحدهما: تحرير المعتقد وهو صعب من جهة الاطلاع على ما في القلب وتخليصه مما يشوبه.

(1) أخرجه البيهقي في سننه رقم (16834) ورقم (18073).

(2) سيأتي تخريجه في قسم التحقيق ص 441.

الثاني: أن الحكم بأن ذلك كفر صعب من جهة صعوبة علم الكلام ومواضع استنباطه، وتمييز الحق فيه من غيره كما تقدم، وإنما يحصل ذلك لرجل جمع صحة الذهن ورياضة النفس حتى خرج عن الميل إلى الهوى والتعصب بالكلية بعد الامتلاء من علوم الشرعية وأسرارها، وقل أن يوجد مثل هذا، وإذا كان الإنسان يعجز عن تحرير اعتقاده في نفسه، فكيف يقدر على تحرير اعتقاد غيره؟ في هذا الزمان الذي صار الناس فيه من كثرة المنكر الواقع لهم يشكون في وقت مستهلّ شهورهم وأعيادهم، في مثل مدينة مصر مع كثرة ما فيها من العلماء والصلحاء وأكابر الناس، نسأل الله اللطف، فالقول بتكفير شخص معيّن بما فهمه العلماء من كلامه في غاية الصعوبة، لتعلقه بالمعتقد بالباطن مع أنه يشترك في القول بالتكفير اعتراف قائله بما أضمره في قلبه وهيئات أن يحصل، وأما البيئة فلا تكفي في ذلك: لأنها لا تتعلق إلا بالأمر الظاهرة لا بما طريقه الفهم، وإذا رأينا كتاباً أوله: بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والشهادتان وختمه صاحبه بالصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ وما بعد ذلك كلام مغلق لا يفهم منه شيء أحسنًا الظن به وتركناه، مع أن جميع ما في كتب القوم لا يتعلق منه شيء بأحكام الشريعة المطهرة، ولا يرد شيئاً منها ولا يأمر أحداً بترك فرض من فرائض الإسلام من وضوء أو صلاة أو صيام أو حج أو جهاد أو غير ذلك مما يهدم تركه الدين أبداً.

ثم الغالب على أهل الأهواء والبدع إنما هو التقليد والانتماء إلى مذاهب أكابرهم على طريقة عوام الفقهاء من غير إحاطة بكنه

ذلك المذهب وما هو مستمد منه من الكتاب أو السنة أو الحقيقة أو المجاز، والقول بتكفير مثل هؤلاء يجر إلى فساد عظيم، لعسر تشخيص الكفر، وردّ الإيمان في قلب شخص تسمعه يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد علمت من جميع ما قررناه أن جميع الأئمة المتقدمين قد مالوا إلى ترك التكفير لأحد من المسلمين، فبهدهم يا أخي اقتده، ولا تغتر بقول مجازف يوهمك التعصب للدين، ويحط على عقائد كل العارفين، ويخرجهم عن دائرة الإسلام جهلاً وظلماً، وحسداً وعدواناً.

كان العارف بالله أبو تراب النخشي يقول: <إذا أَلِفَ العبد الإعراض عن الله، صحبته الوقوعة في أولياء الله> ولذلك كان أهل الله عز وجل لا يشتغلون قط بالرد على أحد من أهل الإسلام؛ له مقالة في الله عز وجل أو في شيء استنبطوه من أحكام شرائعه، عكس ما عليه أهل الجدل، إنما من شأن أهل الله أن يبحثوا عن مستند كل قول في العالم من أين أخذه صاحبه، وماذا استند إليه من حضرات الأسماء الإلهية، فإنه محال أن يوجد في العالم قول إلا وهو مستند إلى حقيقة إلهية، إنما يغلط في وجه النسبة، لأن حكم الله معصوم، حق بذلك القول من الله عز وجل فأهل الله يأخذون تلك المسألة التي ذكرها صاحبها فيجلونها في موضعها، كما قصّ الله علينا ذلك في شأن موسى والخضر لما أخبر موسى بتأويل أفعاله، تبين أن ما فعله الخضر كان في محله، فأهل الله تعالى لهم الاطلاع على منزع جميع الملل والنحل والمذاهب، اطلاعاً عاماً فما تظهر نحلة من متحل، ولا ملة

من الملل في الله أو في أحكامه ما تناقض منهما وما اختلف ، إلا ويعلمون من أين أخذت ، فينسبونها إلى واضعها ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: 21].

فتحفظ يا أخي من تجريح عقيدة أحد من المسلمين ، واحم سمعك ولسانك وقلبك ، ولا تحكم بخروج أحد من الإسلام ، إلا إن ترك ما به دخل ، فقد نصحتك والسلام .

المسألة الثالثة: النهي عن التفكير في ذات الله تعالى :

استهل الشعراني رحمته الله هذه المسألة بقول الله تعالى ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾^(١) وفسرها بقوله: يعني أن تتفكروا فيها . واستدل على التفسير بحديث لم أجد له أصلاً: «كلكم حمقى في ذات الله»^(٢) .

وبحديث آخر لم أجد له أصلاً: «إن الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار وإن الملاء الأعلى ليطلبونه»^(٣) ، وبحديث ثابت «تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في ذاته»^(٤) . ويلاحظ على الإمام الشعراني وغالبية الصوفية استدلالهم بالأحاديث دون تمحيص ، وذلك لسلامة صدورهم فبمجرد رؤية حديث في كتاب شيخ من شيوخهم

(1) سورة آل عمران الآية: 28 .

(2) سيأتي تخريجه في قسم التحقيق .

(3) سيأتي تخريجه في قسم التحقيق .

(4) سيأتي تخريجه في قسم التحقيق .

يسلمون به ، وهذا خطأ منهجي ، وترويج للأحاديث الموضوعية .
ثم يقول الشعراني : «وما نهانا الله ورسوله عن الخوض بالفكر في
ذات الله تعالى إلا لعلمه بوقوع الخلق في ذلك ، فقد وقعوا ، فما منهم
أحد سلم من التفكير فيها ، والحكم عليها من حيث الفكر» .

ويذكر الشعراني اعتراض الشيخ محيي الدين بن عربي على الإمام
الغزالي فيقول : «وحكي عن الشيخ الأكبر محيي الدين رحمته الله أنه كان
يقول : ليس للغزالي رحمه الله عندنا زلة أكبر من هذه الزلة ، فإنه تكلم
في ذات الله من حيث النظر الفكري ، في المضمنون على غير أهله ،
وفي غير المضمنون ، وأخطأ في كل ما قاله وما أصاب ، وجاء هو وأمثاله
من المتصوفة بأقصى غايات الجهل ، ونصروا جانب فكرهم على ما وقع
به الإعلام الإلهي ، وأتوا بالتأويلات البعيدة» .

وهاجم الإمام الشعراني في هذه المسألة العلماء الذين تفكروا في
ذات الله تعالى فقال ص 299 : «فما سلم من التفكير في ذات الله تعالى
سوى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وأما غيرهم فلم يقف موقف
الأدب ، بل خاض فيه على عماية وجهل ، فمن قائل : هو جسم ، ومن
قائل : ليس بجسم ، ومن قائل : هو جوهر ، ومن قائل : ليس بجوهر ،
ومن قائل : هو في جهة ، ومن قائل : ليس في جهة ، وما هكذا أمرنا الله
تعالى ، لا النافي ، ولا المثبت ، فقد عمّ الجهل بالذات الإلهية الخلق
كلهم» .

وهذا كلام غاية في الدقة وحسن الأدب مع الله تعالى ، كما يدعو
الإمام الشعراني إلى تقليد الرب واتباع الرسل ، وعدم تقليد الفكر

والنظر، وبخاصة فيما يتعلق بذات الله تعالى، فيقول: «وكان شيخنا
عليه السلام يقول: من أعجب الغلط الذي طرأ في هذا العالم، كون العبد يقلد
فكره ونظره وهما محدثان مثله، ولا يقلد ربه فيما أخبر به عن نفسه على
أسنة رسله، وكان الأولى تقليد الرب وتصديق الرسل فيما جاؤوا به
لعصمتهم» ص 299.

فالإمام الشعراني نلاحظ أنه يدعو إلى التسليم والإيمان بكل ما
جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، من غير
تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تجسيم، لأن التشبيه والتعطيل إعمال
للعقل على النص، وهذا غاية في سوء الأدب مع الله تعالى، فجزى
الله الإمام الشعراني خيراً على ما أفاد ودلّ وأرشد إلى حسن الأدب مع
الله تعالى.

المسألة الرابعة: الخلق كلهم قائلون بالاتحاد الوهمي لا الحقيقي:
ذكر الشعراني في ص 284: <ما بقي أحد من الخلق إلا
قال بالاتحاد، فما سلم منه أحد لا سيما العلماء بالله تعالى؛ الذين
علموا الأمر على ما هو عليه من شدة الوصلة والقرب، لكن منهم من
قال به عن أمر إلهي، ومنهم من قال به بما أعطاه الوقت والحال،
ومنهم من قال به ولا يعلم أنه قال به، فهم مختلفون في الأحوال».
فالاتحاد الذي يقولون به ليس اتحاداً حقيقياً، وإلا كان كفراً وزندقة
والعياذ بالله تعالى، وإنما يقصدون به نسبة الفعل إلى الله تعالى خلقاً

وإيجاداً، ونسبة الفعل إلى العبد كسباً، فلشدة مراقبتهم لله تعالى، يفنون عن أنفسهم ويشهدون أن الفاعل هو الله تعالى عملاً بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾⁽¹⁾ ولذلك قال الشعراني: «وغرّ الناس كون الحق تعالى أضاف العمل والقول لهم، وفاتهم أن الإضافة سائغة من نسبتين مختلفتين، فالله تعالى خالق العمل وموجده والعبد مظهره» ص 286.

وقال في ص 293: «إن هؤلاء القائلين بالاتحاد كلهم لم يصح لهم اتحاد قط إلا بالوهم، وانظر كلامهم تجده من أوله إلى آخره لا يبرح من الثنوية فإنه لا بد من مخاطب ومخاطب، وتأمل قول الششتري إياك لا تنظر اثنين، فنفس قوله: «إياك» يقتضي الثنوية، ويحكم عليه بها، ولذلك ذهبنا إلى خلافهم، وغاية أحدهم أن يقول: أنا هو، فمدلول أنا خلاف مدلول هو، لذلك نلاحظ أن الإمام الشعراني وإن اعتذر عن القائلين بالوحدة، بيّن لنا أن مذهبه خلاف هؤلاء جميعاً، لأنه وإن كان جائزاً فالأدب أولى مع الشرع، ومن خلال هذه المسألة يتبين لنا أن الاتحاد هو اتحاد شهود لا وجود.

ولذلك ردّ الشعراني على القائلين بوحدة الوجود رداً قوياً، كما مر معنا في فصل التصوف في عصر الشعراني، وخلاصة الاتحاد الشهودي هو أن يشهد العبد أن الفاعل الحقيقي هو الله تعالى، وهذا ما نسمعه من خطباء الدنيا على المنابر: واعلموا أنه لا يضر وينفع، ويخفض ويرفع، ويعطي ويمنع إلا الله، مع العلم أننا أحياناً ننسب الضر إلى

(1) سورة الصافات الآية: 96.

الإنسان فمن وصل إليه خير من زيد فله أن يقول: نفعتي زيد كسباً
وسبباً، وله أن يقول: الله نفعتي خلقاً وإيجاداً للفعل وتقديراً، قال سيدي
عبد الكريم الجبلي في هذا المعنى:

أراني كالألات وهو محركي أنا قلم والافتقار أصابع
وما أنا جبري العقيدة ولكن محب فني فيمن خبته الأصابع

المسألة الخامسة: في الميزان التي ترجع جميع الفصول إليها

لقد وجد الشعراني رحمه الله تعالى أن الاختلاف بين العلماء في
آيات وأحاديث الصفات قديماً وليس بجديد، فمنهم من يحملها على
ظاهرها ولا يقول بالتأويل البتة، بل يعدُّ المؤول كافراً، لأنه معطل،
والفريق الآخر يرى حتمية التأويل، ويعدُّ تارك التأويل مشبهاً مجسماً
فهده الله تعالى إلى إيجاد ميزان دقيق يجمع بين الفريقين، ويدخلهم
جميعاً في حظيرة الإسلام، وإن كفر بعضهم بعضاً، قال الشعراني
ص391: «اعلم يا أخي أن هذه ميزان نفيسة تطيش على الذر، وهي
ميزان رافعة للخلاف من جميع الآيات والأخبار، وما انبنى على ذلك
من إشارات العارفين، وأقوال المتكلمين إلى يوم الدين، وذلك أن
تعلم أن الله تبارك وتعالى تجليين: تجلٍ في رتبة الإطلاق حيث لا
خلق، وتجلٍ في رتبة التقييد بعد خلق الخلق، وبكل من هذين التجليين
جاءت الشرائع والأخبار الإلهية، فمن قال بتنزل الحق في مرتبة التقييد
على الدوام أزلاً وأبداً كالمجسمة، والحلولية، والقائلين بالاتحاد،
أخطأ، ومن قال بعدم التنزل من مرتبة الإطلاق على الدوام أبداً كالمنزّهة
على الإطلاق أخطأ، وارجع يا أخي كل كلام يعطي ظاهره التشبيه إلى

مرتبة التقييد، وكل كلام يعطي ظاهره التعطيل إلى مرتبة الإطلاق، يرتفع عندك الخلاف والتعارض من جميع الآيات والأخبار.

ويقول الشعراني في ص 397: «فمن أنكر صفات التشبيه التي أضافها إلى نفسه فقد أخطأ ولم يصدق الرسل فيما أخبروا به عن ربنا عز وجلّ، وأصل فرارهم من الإثبات خوفهم من اشتراكهم مع الحق في الصفات، وهم واقعون في ذلك شائوا أم أبوا».

ثم قال: «اعلم أن أعظم الخلق معرفة بالله عز وجل هم الرسل عليهم الصلاة والسلام، وما منهم من أحد إلا وقد جاء بآيات الصفات التي يعطي ظاهرها التشبيه، ولو كانوا يعلمون استحالتها على الله عز وجلّ مطلقاً، كما يقول به المنزهة على الإطلاق، لأولوها لأممهم، لتحوز أممهم كمال الإيمان، فإن كل رسول مأمور بترقي أمته إلى أعلى مراتب الإيمان... إلى أن قال: «ولهذا لم يبلغنا قط أن أحداً من أكابر الصحابة أول شيئاً من ذلك، لكمال إيمانهم وتصديقهم وكان ابن عباس ب وغيره يقولون: «الباب الذي ضل وهلك فيه من هلك ابتغاء التأويل، فإن الله تعالى أخبر عن نفسه أنه ينزل إلى سماء الدنيا، وأنه خلق آدم على صورته، فما لنا ولمنازعتة فيما هو أخبر به عن نفسه».

ولذلك أقول: إن المتأمل لكلام الشعراني رحمته الله في ميزانه الدقيق، والمتابع لكل ما جاء في هذا الفصل، يجد أنه يبرر للمؤولين تأويلهم، ويبرر لغير المؤولين موقفهم، كل ذلك بأسلوب علمي دقيق، مع استشهاده لكل ما يقول من الآيات والأخبار، وهو فعلاً يجمع بين المسلمين من تفرق، ويوحد كلمتهم من شتات، والله أعلم.

الموازن الذرية
المبينة لعقائد الفرق العلية

للإمام الشعراني

تحقيق وتخرّيج
الدكتور الشيخ محمد عادل عزيزة الكيالي

إشراف ومراجعة
الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي
خبير الدراسات برابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة

مقدمة التحقيق

وتتضمن ثلاث مسائل:

المسألة الأولى:

اسم الكتاب ونسبته إلى المؤلف

المسألة الثانية:

النسخ المعتمدة في التحقيق

المسألة الثالثة:

منهج التحقيق

المسألة الأولى :

اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه

لقد بحثت كثيراً في المصادر التي تحدثت عن الإمام الشعراني وذكرت مؤلفاته فلم أجد عالماً أو باحثاً حديثاً أو قديماً ممن اهتم بدراسة الإمام الشعراني أو ترجم له أشار إلى كتاب «الموازن الذرية المبينة لعقائد الفرق العلية» إلا عالماً واحداً وهو الأستاذ (بروكلمان) في تاريخ الأدب العربي فقد ذكر في القسم الثامن من ص 262: من مؤلفات الإمام الشعراني كتاب «الموازن الذرية المبينة لعقائد الفرق العلية» وهو كتاب يجمع أقوال مشاهير الصوفية، وأشار إلى مكان وجوده في الهند أسبالة (155/2).

وكل المكتبات التي وجد فيها الكتاب ذكرت أن الكتاب اسمه «الموازن الذرية المبينة لعقائد الفرق العلية» إلا نسخة طهران التي اعتمدها أصلاً فقد ذكر على الغلاف الخارجي للنسخة اسم الكتاب «الموازن الذرية في بيان عقائد الفرق العلية»، وفي الصفحة الأولى منه ذكر اسم الكتاب صحيحاً «الموازن الذرية المبينة لعقائد الفرق العلية». والمؤلف ذكر في المقدمة الاسم الصحيح لكتابه فقال: «وسميته الموازن الذرية المبينة لعقائد الفرق العلية»، ولعله خطأ من ناظر المكتبة، واتفقوا جميعاً على أن مؤلف الكتاب هو الإمام عبد الوهاب الشعراني.

وهذه أهم المكتبات التي وجد فيها المخطوط:

1- مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث - دبي فيه نسختان

مصريتان:

نسخة مصورة عن مكتبة طهران رقم الحفظ 4/375.

ونسخة مصورة عن مكتبة حلب رقم الحفظ 4/734.

2- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض فيها نسختان:

نسخة ضمن مجموع من عدة مخطوطات رقم الحفظ 749 عدد

الصفحات 260، مقاس الورقة 52×17 رقم الميكروفيلم ج 18/

3.

نسخة مكررة ضمن المجموع نفسه رقم الحفظ 9073، عدد

الصفحات نفسها 260 رقم الميكروفيلم 3/81.

3- المكتبة الأزهرية القاهرة رقم الحفظ 3815 حلیم.

4- وفي المكتبة الظاهرية سورية دمشق أربع نسخ:

أ - النسخة الأولى رقم الحفظ 9953.

ب - النسخة الثانية رقم الحفظ 8138.

ج - النسخة الثالثة رقم الحفظ 9774.

د - النسخة الرابعة رقم الحفظ 10508.

5- نسخة في الهند أبسالة 155/2 كما ذكر (بروكلمان) في

تاريخ الأدب العربي القسم الثامن ص 262.

** ** *

المسألة الثانية:

النسخ المعتمدة في التحقيق ونماذج من صفحات المخطوط اعتمدت في التحقيق على نسختين حصلت عليهما من مركز جمعة الماجد في دبي واعتمدت نسخة طهران وجعلتها أصلاً وهي بعنوان «الموازن الذرية المبينة لعقائد الفرق العلية»، للإمام عبد الوهاب الشعراني .

اعتمدت في التحقيق على نسختين حصلت عليهما من مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث رقم الحفظ 4/357 عدد الصفحات «116» صفحة، وقد بلغت أوراقها 58 ورقة، والصفحة الواحدة فيها 17 سطراً، وعدد كلمات السطر الواحد 16 كلمة، وهي أيضاً تامة ومقروءة، وخطها أجمل من النسخة الحلبية، ولكن الحلبية امتازت بتفسير الحروف المبهمة، كما ذكرت، وسأرمز لنسخة طهران بالأصل، وأيضاً لم يدون فيها تاريخ النسخ، وبدايتها ونهايتها متطابقة مع بداية ونهاية النسخة الحلبية .

بداية النسخة: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وعلى آلهم وصحبهم أجمعين .

فهذه عقيدة شريفة انقدحت لي من تصفح عبارات الأولياء المحققين أصحاب الدوائر الكبرى، كالشيخ أبي القاسم بن قسي صاحب كتاب خلع النعلين .

نهاية النسخة: لقد اضطلع أهل الله تعالى على جميع النحل والملل

والمذاهب اطلاقاً عاماً، فما تظهر نحلة من منتحل، ولا ملة من الملل، في الله، أو في أحكامه، ما تناقض منها وما اختلف، إلا ويعلمون من أين أخذت، فينسبونها إلى واضعها، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: 4]، فتحفظ يا أخي من تجريح عقائد أحد من المسلمين، واحم سمعك ولسانك وقلبك ولا تحكم بخروج أحد من المسلمين من الإسلام إلا إن ترك ما به دخل، فقد نصحتك والسلام، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، اللهم آتة الوسيلة والمقام المحمود الذي وعدته يا أرحم الراحمين، وأدخلنا في شفاعته وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وسبب اعتمادي هذه النسخة أصلاً لأنني عرضتها على خبراء الخط في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في دبي فأفادوا بأن نسخة طهران هي الأقدم من حيث الخط وهي الأقرب إلى عصر المؤلف ولذلك جعلتها أصلاً، وجعلت نسخة حلب نسخة المقابلة ورمزت إليها بحرف (ح) وفيها تفسير وتوضيح بالهامش لكل الحروف المبهمه في الكتاب وهو القلم الذي اخترعه المؤلف وجعله رمزاً خاصاً به .

والحقيقة أن الحروف التي اخترعها المؤلف ليخفي تحتها كلمات تحمل أسراراً ليس تحتها طائل، لأن الكلمات كانت عادية جداً، ولم

أر فيها أسراراً كما ذكر، ولذلك كان الأولى عدم ذكرها في الكتاب أصلاً... وقد أتت هذه النسخة كاملة غير مخرومة وعدد أوراقها (45) ورقة وعدد صفحاتها (90) صفحة في كل صفحة (23) سطراً وفي كل سطر (13 - 14) كلمة، وجاء في أولها بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والتسليم على سيدنا محمد وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وعلى آلهم وأصحابهم أجمعين، وبعد: فهذه عقيدة شريفة انقذت لي من تصفح عبارات الأولياء المحققين، وجاء في الصفحة الأخيرة منها:

فتحفظ يا أخي من تجريح عقائد أحد من المسلمين، واحم سمعك، ولسانك، وقلبك، ولا تحكم بخروج أحد من الإسلام إلا إن ترك ما به دخل، فقد نصحتك والسلام، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، اللهم آتة الوسيلة والمقام المحمود الذي وعدته يا أرحم الراحمين، وأدخلنا في شفاعته، رحم الله مؤلفها ومالكها وكاتبها والمسلمين أجمعين، أمين.

ولم يدون فيها تاريخ النسخ أيضاً.

وأعرضت عن بقية النسخ إما لأنها ناقصة وفيها خرم وضياح حروف وكلمات، أو أن حرفها لا يمكن قراءته بحال كما عليه واقع نسخة مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض.

** ** *

المسألة الثالثة:

منهج التحقيق

- 1- اتبعت أكثر من منهج علمي في الدراسة بمقتضى الموضوعات التي أعالجها في مختلف الفصول والمباحث كالاتي:
 - انتهجت منهج التحليل والتركيب عند تناولي لنصوص الإمام الشعراني وأقواله .
 - اصطنعت المنهج التاريخي عند بيان الحالة السياسية أو الدينية أو الثقافية التي عاش فيها الإمام الشعراني .
 - اتبعت المنهج المقارن بين أقوال الإمام الشعراني وآراء من سبقوه من أهل العلم والسلف الصالح أو بين أقواله وأقوال بعض خصومه .
- 2- قمت بقراءة ما تيسر لي من كتب الإمام الشعراني وخاصة ما يتعلق بالولاية وجمع المصادر والمراجع التي لها علاقة بالبحث وكذلك قراءة جميع الرسائل العلمية التي استطعت أن أطلع عليها والتي تكلمت عن الإمام الشعراني .
- 3- الإشارة في الدراسة والتحقيق إلى المصدر الذي أنقل منه في الهامش وإلى اسم الكتاب واسم المؤلف ثم ذكر المحققين والطباعات لهذه المصادر والمراجع في أول ورودها ثم رقم جزئه وصفحته وفي فهرس المصادر والمراجع آخر البحث، أما إذا كان النقل بتصرف أو اختصار أو في الرجوع إلى تلك المواضيع المشار إليها فأني أوضح ذلك سواء كان في المطبوع أو المخطوط .

- 4- عزوت الآيات القرآنية في الدراسة والتحقيق إلى سورها بذكر اسم السورة ورقم الآية .
- 5- عزوت الأحاديث التي وردت في الدراسة والتحقيق إلى مصادرها من كتب السنة بذكر الكتاب والباب والجزء ورقم الحديث أو الصفحة .
- 6- ميزت بين الآيات بجعلها بين ﴿ ﴾ وبخط مختلف عن باقي النص وكذلك الأحاديث جعلتها بين « » .
- 7- إذا كان الحديث في كتب السنة الستة أكتفي بعزوه إليها .
- 8- ترجمت للأعلام الذين تكرر ذكرهم في قسم الدراسة وفي قسم التحقيق في النص المحقق فقط وذكرت مصادر ترجمة كل واحد منهم ، أما في قسم الدراسة فذكرت اسم العلم كاملاً وشهرته وتاريخ وفاته وذلك بالمتن فقط ، كما ترجمت في قسم الدراسة للأعلام الذين لم يرد ذكرهم في قسم التحقيق مع ذكر مصادر ترجمة كل واحد منهم .
- 9- تركت ترجمة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام والأئمة الأربعة من الخلفاء الراشدين ي .
- 10- بعد البحث المضمني لم أجد غالب الأشعار الواردة في الكتاب وعزوت ما وجدته إلى قائله .
- 11- شرحت الألفاظ الغريبة وذكرت مصادرها .
- 12- عرّفت بالفِرَق والطوائف والأماكن التي تكرر ذكرها في قسم الدراسة والتحقيق .
- 13- اعتمدت بعض الرموز في البحث على النحو التالي :

(مخ) تعني مخطوط

(ف) تعني مصور على ميكروفيلم

(خ) تعني نسخة

(ج) تعني الجزء

(ص) تعني صفحة

(د) تعني دكتور

14- وضعت فهارس علمية عامة تعين على الرجوع إلى المراد

منها بيسر وسهولة وهي تشمل الآتي:

- فهرس الآيات ، وفهرس الأحاديث ، وفهرس الأعلام ، وفهرس

الفرق .

- فهرس المصادر والمراجع: مرتباً حسب الحروف الهجائية .

- فهرس المحتويات للدراسة والتحقيق في ختام البحث .

هذا هو المنهج الذي سرت عليه في كتابة هذا البحث وقد حرصت

قدر الاستطاعة على الالتزام به والسير في ضوئه ولقد حاولت أن ألتزم

بالبحث العلمي فأوردت من آراء الإمام الشعراني ما وقفت عليه مشفوعاً

ببعض الشواهد الدالة على ذلك .

*** **

الكتاب المحقق

(1 / أ) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والتسليم على سيدنا محمد وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وعلى آلهم وأصحابهم أجمعين وبعد: فهذه عقيدة شريفة انقدحت لي من تصفح عبارات الأولياء المحققين أصحاب الدوائر الكبرى كالشيخ أبي القاسم بن قسي^(١) صاحب كتاب خلع النعلين^(٢) وكالشيخ محي الدين بن عربي^(٣).

(1) في كل الكتب المترجمة له (ابن قسي) وفي المخطوطتين ابن قسي، وأثبت ما في الكتب المتداولة.

(2) قال ابن خلدون: وهم أولى الناس بخرق الموائد، فما ظنك بغيرهم؟ ألا تخرق المادة في الغالب بغير عصبية، وقد وقع لابن قسي - شيخ الطريقة الصوفية وصاحب كتاب خلع النعلين في التصوف - ثار بالأندلس داعياً إلى الحق، وسمي أصحابه بالمرابطين قبيل دعوة المهدي فاستتب له الأمر (مقدمة 159/1).

قال في كشف الظنون: كتاب خلع النعلين في الوصل إلى حضرة الجمعين، للشيخ أبي القاسم بن قسي شيخ الصوفية هو أبو القاسم أحمد بن قيس الأندلسي المتوفى سنة 545هـ، وهو مختصر أوله (الحمد لله الذي أوجد بالحرمين دائرة الوجود) وشرحه الشيخ محي الدين محمد بن علي بن عربي، وذكر فيه أن المصنف كان من أهل الأدب والفضل، متضلعا من اللغة، فلا يقصد إلى كلمة إلا لحكمة يراها... الخ (722/1).

وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء وقال عن أحمد بن قسي مؤلف كتاب خلع النعلين فيه مصائب وبدع، وكان أولاً يدعي الولاية، وكان ذا مكر وفصاحة وبلاغة وحيل وشعبذة، (سير أعلام النبلاء، 316/20).

(3) هو أبو بكر محي الدين محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي العارف = الكبير ابن عربي ويقال ابن العربي، قال الشعراوي في كتاب نسب الخرقه كان

مجموع الفضائل ، مطبوع الكرم والشمائل ، فد فض له فضله ختام كل فن ، وبل له وبله رياض ما شرد من العلوم ، وعن نظمه عقود العقول وفصوص الفصول ، وحسبك بقول زروق وغيره من الفحول ذاكين بعض فضله «هو أعرف بكل من أهله وإذا أطلق الشيخ الأكبر في عرف القوم فهو المراد» ولد بمرسية سنة ستين وخمسائة ونشأ بها وانتقل إلى إشبيليا سنة ثمان وسبعين ، ثم ارتحل وطاف البلدان ، فطرق بلاد الشام والروم والمشرق ودخل بغداد ، وحدث بها بشيء من مصنفاة ، وأخذ عنه بعض الحفاظ ، كما ذكره ابن النجار في الذيل ، وقال الشيخ عبد الرؤوف المناوي في طبقات الأولياء له ، وقال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان وهو ممن كان يحط عليه ويسيء الاعتقاد فيه كان عارفاً بالآثار والسنن قوي المشاركة في العلوم ، أخذ الحديث عن جمع وكان يكتب الإنشاء لبعض ملوك المغرب ثم تزهذ وساح دخل الحرمين والشام وله في كل بلد دخلها مآثر ، انتهى ، وقال بعضهم: برز منفرداً مؤثراً للتخلي والانعزال عن الناس ما أمكنه حتى أنه لم يكن يجتمع به إلا الأفراد ، ثم آثر التأليف ، فبرزت له مؤلفات لا نهاية لها تدل على سعة باعه وتبحره في العلوم الظاهرة والباطنة ، وأنه بلغ مبلغ الاجتهاد في الاختراع والاستنباط وتأسيس القواعد والمقاصد التي لا يديرها لا يحيط بها إلا إن طالبها بحقها ، غير أنه وقع له في بعض تضاعيف تلك الكتب كلمات كثيرة أشكلت ظواهرها وكانت سبباً لإعراض كثيرين لم يحسنوا الظن به ولم يقل كما قال غيرهم من الجهابذة المحققين والعلماء العاملين والأئمة الوارثين ، إنما أوهمته تلك الظواهر ليس هو المراد ، إنما المراد أمور اصطلاح عليها متأخرو أهل الطريق غيرة عليها ، حتى لا يدعيها الكاذبون ، فاصطلحوا على الكناية عنها بتلك الألفاظ الموهمة خلاف المراد ، غير مبالين بذلك ، لأنه لا يمكن التعبير عنها بغيرها .

وقال الإمام السيوطي : والقول الفصل في ابن عربي (اعتقاد ولايته وتحريم النظر في كتبه فقد نقل عنه هو أنه قال: يحرم النظر في كتبنا وقال السيوطي وذلك ، لأن الصوفية تواضعوا على ألفاظ اصطلاحوا عليها وأرادوا بها معاني غير المعاني المتعارفة منها ، اهـ ، شذرات الذهب 190/3 - 191 .

وكالشيخ صفي الدين بن أبي منصور^(١) وكالشيخ عبد الكريم الجيلي^(٢) وكالأستاذين الكبيرين سيدي محمد وفا^(٣) (وولده)^(٤) سيدي علي وفا^(٥) رضي الله عنهم أجمعين . ومرجعها كلها إلى

(1) لم أقف على ترجمته .

(2) هو الشيخ عبد الكريم الجيلي الفاضل المحقق المفسر صنف «الكهف والرقيم في تفسير بسم الله الرحمن الرحيم» وهو مؤلف مشهور، وذكر فيه أن شرف الدين إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي شيخه اجتمع في سنة تسع وثمانمائة مع الفقيه العالم الرباني ذي الفهم الثاقب عماد الدين الصمداني الشيخ يحيى ابن الشيخ أبي القاسم التونسي المغربي سبط الحسين في مسجد فتكلما في تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، فجمع قولهما وأضاف إليها بعض الفوائد وألف هذا المؤلف الشريف . وله كتاب «مراتب الوجود» وهي رسالة جمع فيها أصول تلك المراتب في أربعين مرتبة على حسب شهوده وعلمه، وله «الدرة العينية في الشواهد الغيبية» وهي قصيدة عينية في ثلاث وثلاثين وخمسمائة بيت، وهو ابن سبط الشيخ عبد القادر الجيلاني توفي سنة 805هـ، كشف الظنون 1225/2 .

(3) أبوه محمد بن محمد المعروف بسيدي محمد وفا والد بني وفا المشهورين الإسكندري الأصل المالكي المذهب الشاذلي الطريقة، ولد ببحر الإسكندرية سنة 702هـ، ونشأ بها وسلك طريقة أبي الحسن الشاذلي وتخرج على يد الأستاذ بن باخل، وكان فاضلاً وواعظاً مؤثراً في القلوب، وكان أمياً وله لسان غريب في علوم القوم الصوفية وتأليفه كثيرة ألف أكثرها في صباه وله رموز في منظوماته ومنثوراته مطلمسة إلى وقتنا هذا، ومن مؤلفاته كتاب العروس، وكتاب الشعائر وديوان كبير، توفي سنة 765هـ، ودفن بالقرافة بالقاهرة، (شذرات الذهب ج 6 ص 206، الطبقات الكبرى للشعراني ج 1 ص 21) .

(4) ساقطة من ح .

(5) علي وفا: هو أبو الحسن علي بن محمد بن وفا ترجمه صاحب المنهل الصافي فقال: الشيخ الواعظ الأديب الأستاذ المعروف بسيد علي بن وفا الإسكندري =

الميزان الآتي ذكرها أواخر الكتاب إن شاء الله تعالى ، ومن تأمل فيها من العلماء وجدها مقررة لجميع آيات الصفات⁽¹⁾.....

= الأصل، المالكي، الشاذلي صاحب النظر الفائق، ولد بالقاهرة سنة 759هـ، كان جميل الطريقة مهاباً معظماً صاحب الكلام البديع والنظم الجيد وكان فقيهاً عارفاً بفنون من العلوم بارعاً في التصوف مستحضراً لتفسير القرآن الكريم، وله تأليفه منها كتاب المباحث عن الخلاص في أحوال الخواص وتفسير القرآن العزيز، وكتاب الكوثر المترع في الأبحر الأربع في الفقه، توفي في الروضة بالقاهرة سنة 807هـ، ودفن بجوار أبيه في القرافة، (شذرات الذهب ج 7 ص 70-71).

(1) آيات الصفات هي الآيات المتعلقة بالذات الإلهية، ويقال لها الصفات الإضافية مثل: (الرحمن على العرش استوى) ومثل قوله تعالى (يد الله فوق أيديهم)، ومثل قوله تعالى (يوم يكشف عن ساق) ومذهب أهل السنة والجماعة إمرار هذه الآيات كما وردت، وتفسيرها وقراءتها مع نفي المعنى المتبادر إلى أذهان المشبهين، كما ذكر ابن كثير في تفسيره قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) ومذهب الأشاعرة التفويض أو التأويل قال الإمام اللقاني:

وكل نص أوهم التشبيهاً أوله أو فوض ورم تنزيهاً
كما ذكر الشيخ إبراهيم الباجوري في حاشيته المسماة تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص 90 إن أهل العلم من المحققين ذهبوا إلى تأويل النصوص الموهمة للتشبيه، لتنزيه الله سبحانه عن مشابهته للحوادث، وأورد الباجوري قول الإمام مالك عندما سئل عن قوله تعالى: (الرحمن على العرش استوى) إن الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وقوله للسائل: ما أراك إلا مبتدعاً، وأمر به أن يخرج، فخرج.

فالسلف يقولون: استواء لا نعمله، والخلف يقولون: المراد به: الاستيلاء والملك كما قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودمٍ مَهْرَاقٍ

وأحاديثها^(١) وآثارها ولجميع كلام من تكلم في الذات والصفات ولا بدع إن أنكرها منكر، لم يُحط بحقيقتها فإنه معذور، ربما يقول: وما للإنسان وذكر العقائد التي تدق عن إفهام العلماء، وعن (1/ب) فهم الجرم الغفير من الناس، فيقال له: كلامك هذا^(٢) يشبه كلام من قال: لِمَ خلق الله تعالى نور الشمس وهي تضر بأبصار الخفافيش، والأبصار الضعيفة وسائر الأمزجة التي تتضرر بذلك؟ فكما أن الحق تعالى أبرز الشمس المنيرة لمصالح عباده ولم يراع من تضرر بها كذلك العارف له الاقتداء بالحق في ذلك بالحكمة.

مع أن العارفين لم يدونوا كتبهم بالأصالة إلا لأهل طريقهم أو من أشرفت فيه أنوارهم، حتى محق^(٣) التسليم ما في باطنه من النزاع والجدال، وأوصوا (أصحابهم)^(٤) بكتمان (ما يضر سماعه وصيانة علمهم عمّا)^(٥) يخفى^(٦) عن أهل الحجاب والغفلة، فتعدى بعض الناس حدود السادات وأظهروا كلامهم لمن ينكره كما تعدى الغافلون حدود ربهم وسافروا بالمصحف إلى أرض العدو ومكنوا أعداء

(1) أحاديث الصفات هي التي تتحدث عن الصفات الإضافية لله تعالى، مثل قوله ﷺ:

(مرضت فلم تعدني) ومثل: (حتى يضع الجبار فيها قدمه)... الخ.

(2) ساقطة من الأصل والزيادة من ح.

(3) محق: محقه كمنعه أبطله محاه القاموس المحيط 407/3.

(4) في ح (أتباعهم).

(5) ساقطة من الأصل والزيادة من ح.

(6) ساقطة من ح.

الله

من

قراءته بقلوب زائغة^(١) وألسنة معوجة فحرفوا واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله .

وأنشد سيدي علي وفا في معنى ذلك عفا الله عنه:

وإن أردت^(٢) تنقل قولي لمن يجهله^(٣) وينكره

صليت أنت والآخر جهنم الإنكار

هب أنت تحكي قولي ما أنت مثلي تظهره

حيّاً بروح المعنى في سائر الأدوار

فما دون أهل الله تعالى كلامهم لعامة الناس وإنما هو لقوم مخصوصين ، فمن انقاد لهم بحكم الصدق رقبه إلى فهم كلامهم ، حتى وجده مطابقاً للكتاب والسنة ، ومن لا فلا ولا طريق إلى فهمه إلا ذلك ولا أعلم أحداً الآن وضع مثل هذا^(٤) الميزان المذكورة في هذا الكتاب فالحمد^(٥) لله رب العالمين وقد حجب لي أن أصدرها لك بفصول نفيسة مشتملة على نفايس في علم التوحيد ما أظنك تجدها في كلام أحد غير كمل العارفين ، فإن غير الكمل كتموها عن الناس وبخلوا

(1) زائغة قال في القاموس المحيط: زاع يزيع زيعاً وزيعاناً: مال والزيع الشك والجور عن الحق (155/30)، وانظر مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني مادة (زيغ).

(2) في الأصل (ردت) بدون همزة.

(3) في الأصل (بفكره) بدون واو.

(4) سقطت من ح والزيادة من الأصل . في الأصل (فالحمد).

(5) ناقص من ح .

ببيانها غيرة على طريق الله عز وجل (2/أ)، وقد بلغ زمن الكتمان حده فرأيت نفع الناس أولى بذلك من كتمه والأعمال بالنيات، وأرجو من فضل^(١) الله عز وجل^(٢) أن كل من نظر في هذه الفصول بعين التسليم والنظر الصحيح صح له فهم الميزان لأنه كلها طريق إلى معرفتها كالدهليز الذي يتوصل منه إلى الدار وكلها كما سترها تشير^(٣) إلى أنه ما ثم أحد من الخلق إلا وهو يعرف ربه في رتبة التقييد، وما ثم أحد منهم^(٤) إلا وهو يجهله في رتبة الإطلاق، فإن قلنا: إننا عرفناه صدقنا، وإن قلنا: إننا لم نعرفه صدقنا لعدم الإحاطة^(٥)، كما أنشدوا:

قد قلت إنك معروف بمعرفتي وبحر جهلي وعقلي غارق فيه
فقل لعلمك لا تفرح فما ظفرت بذاك إلا بجهل ظاهر فيه
ورمزت فيها المواضع التي تدق عن العقول بقلم اخترعته لم
أسبق إليه لا يعلمه أحد إلا بإلهام من الله أو توقيف مني أو من
أصحابي لئلا يقع الكتاب في يد أهله وغير أهله كما أنشدوا^(٦) في ذلك:

لا إن الرموز دليل صدق على المعنى المخبأ في الفؤاد

-
- (1) ناقص من ح.
 - (2) ناقص من ح.
 - (3) ح مشيرة.
 - (4) ناقص من ح.
 - (5) في الأصل (الإحاطة) والتصويب من ح.
 - (6) الزيادة من ح.

وكل العارفين لها رموز (و) أُلغاز تدق عن العباد
ولولا اللغز كان القول كفر وأدى العالمين إلى الفساد
وسميتها بالموازن الذرية المبيّنة لعقائد الفرق العلية وختمتها
بخاتمة حاصلها أنه لا يصح^(١) التكفير لأحد يشهد أن لا إله إلا الله
محمد رسول الله إلا بنص وإجماع دون فهم أو قياس ، جعلها الله خالصة
لوجهه الكريم ونفع بها جميع المسلمين آمين .
ولنقدم (2/ب) فصل الكلام على رؤية الله الحق تبارك وتعالى ،
فإن باب معرفة الله عز وجل جميعه^(٢) مبني على القول بإمكان رؤيته
(إذ كل مسلم من لم تصح لك رؤيته)^(٣) لا تكمل لك معرفته ، فنقول
وبالله التوفيق :

(1) في ح (لا يصح) .

(2) سقط من ح .

(3) سقطت من الأصل .

فصل

في الكلام على الرؤية والفرق بينها وبين المشاهدة
اعلم يا أخي رحمك الله أن رؤية الحق سبحانه وتعالى لا يعرف
حقيقتها إلا من عرف حقيقة رؤية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
أو أحد من الأموات الذين مضوا، ونحن نبين لك⁽¹⁾ ذلك فنقول حقيقة
رؤية⁽²⁾ رسول الله ﷺ أو أحد من الأموات إنه مثال ينتجه الله تعالى
من تلك الذات المرئية في عالم الخيال فيرتسم في النفس بصورة المرئي
فليس مراد الرائي الصادق برؤية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
في المنام رؤية حقيقة شخصه ﷺ المودع في قبره الشريف بالمدينة،
فإن ذاته الشريفة منزهة عن كلفة المجيء والرواح من البرزخ إلى مكان
الرائي وربما رأوه صلى الله عليه وآله وسلم ألف واحد في ليلة واحدة
في ألف موضع وهو في كل موضع على حالة لا تشبه الأخرى، ومثل
ذلك محال في العقل، وإن كانت القدرة الإلهية أوسع من ذلك وهذا
هو معنى حديث «من رآني في المنام فقد رآني حقاً فإن الشيطان لا
يتمثل بي»⁽³⁾.

(1) الزيادة من الأصل ساقط من ح.

(2) ساقط من ح.

(3) هذا الحديث لم يرد بهذا اللفظ وإنما الصواب أنه ورد: من رآني فقد رأى الحق
والحديث صحيح، أخرجه البخاري في التعبير باب من رأى النبي ﷺ حديث رقم
(6478) ومسلم في الرؤيا باب قول النبي ﷺ من رآني حديث رقم (4207)=

فليس معناه أنه رأى روح النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومظهر ذاته، وإنما معناه: إنما مثال روحه المقدس التي هي محل النبوة، فإن روح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الباقية بعد موته منزهة عن الصورة والشكل فافهم.

بخلاف المثال فإنه لا يكون إلا مشتقاً على الشكل واللون والصورة، هذا لا بد له في طريق التعريف، وإلا لم يكن يعرف، وكذلك القول في رؤية ذات الله تعالى عز وجل فإنها منزهة عن الشكل والصورة. (3 / أ) ولكن لا يتعقل عبد معرفتها إلا بواسطة تخيل مثال محسوس في الصورة الجميلة التي تصلح أن تمثل بها ذلك الجمال الحقيقي المعنوي الذي لا صورة فيه ولا لون ولا شكل ثم يطلق على ذلك مثال أنه حق وصدق لكونه واسطة في التعريف.

ويقول النائم: رأيت (ربي) ^(١) في المنام وليس مراده أنه رأى ذات ربه حقيقة وإنما رأى مثال ذاته المتخيلة في وهمه، فإن قيل إن ^(٢) رسول الله ﷺ له مثل والله تعالى لا مثل له، قلنا: هذا كلام من هو جاهل بالفرق بين المثل والمثال، فإن المثل هو المساوي في جميع

= والترمذي في الرؤيا باب ما جاء في قول النبي ﷺ من رأني حديث رقم (2202) والطبراني في الكبير (10510) وفي الأوسط (1256) وأحمد في المسند (2525) و4304 و3559 و3798) ومعنى فقد رأني: أي رؤياه صحيحة لا تكون أضعافاً ولا من تشبهات الشيطان ويعضده رواية أبي هريرة (من رأني من المنام فقد رأى الحق)، انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني.

(1) ليست في الأصل.

(2) ساقطة من ح.

الصفات^(١) والمثال لا يشترط فيه المساواة، وتأمل العقل فإنه معنى لا يماثله غيره كثيراً ما يمثل بالشمس وليس بينهما من المناسبة إلا شيء واحد وهو أن المحسوسات تنكشف بنور الشمس كما تنكشف المعقولات بالعقل، وقد ضرب الله عز وجل المثل لنوره بقوله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ﴾^(٢) (الآية)^(٣)، وأي مماثلة بين نوره ونور الزجاج والمشكاة والشجرة والزيت وكذلك ضرب الله تعالى مثل الحياة^(٤) الدنيا بالماء النازل من السماء^(٥)، وضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المثل للإسلام بالقبة^(٦) وضرب المثل للعلم باللبن^(٧)، وضرب المثل للقرآن بالحبل^(٨) فأبي مناسبة بين هذه الأمور

(1) عرف الراغب الأصفهاني في كتابه مفردات القرآن الكريم المثل: هو عبارة عن قول في شيء يُشبهه قول في شيء آخر بينهما مشابهة.

(2) المشكاة: الكوة التي ليست بنافذة مختار الصحاح ص 209.

(3) سورة النور آية (35).

(4) في ح (المثل لحياة).

(5) يشير إلى قوله تعالى ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ الكهف آية 45.

(6) ولعله سهو من النسخ والأصل مثل الظلة البخاري التعبير حديث رقم (7046).

(7) إشارة إلى حديث البخاري «بينما أنا نائم شربت اللبن حتى أنظر إلى الري يجري في ظفري أو أظفري ثم ناولت عمر، فقالوا: يا رسول الله فما أولته؟ قال: العلم» صحيح البخاري / حديث 3478 مناقب عمر بن الخ.

(8) إشارة إلى حديث الترمذي رقم (2906) وفيه: «فقلت ما المخرج منها يا رسول

وبين الأشياء المضروبة لها الأمثال، ولكن لما كان الجبل مثلاً يتمسك به للنجاة والقرآن يتمسك به للنجاة صح التمثيل به وقس عليه وكل ذلك من باب المثل لا من باب المثل فكما صح ضرب الأمثلة من كل عارف لذات الله التي لا مثل لها لمناسبات معقولة من صفات الله تعالى، فإننا إذا أردنا أن نعرف مسترشداً لنا كيف يخلق الله الأشياء وكيف يعلمها، (3 / ب) وكيف يريدنا وكيف يتكلم وكيف يقوم الكلام بنفسه، لا نقدر نعرفه معنى ذلك إلا بما عنده من صفات نفسه، ولولا أنه عرف نظير هذه الصفات من نفسه (لما) فهم ذلك في حق الله عز وجل فقد علمت أن المثل جائز والمثل باطل ذلك لأن المثل هو ما يوضح الشيء، والمثل هو ما يشابه الشيء من جميع الوجوه، وليس شيء في الوجود يماثل الحق تعالى فالمثل هو المرئي في الدنيا والآخرة كما سيأتي بسطه في الفصول الآتية إن شاء الله تعالى.

لأنه لا يصح لعبد أن يرى الذات المقدسة، لأنها تنفي بذاتها أن يكون في حضرتها سواها. وهذا المثل هو المراد بقوله ﷺ:

الله قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم» إلى أن قال: «وهو جبل الله = المتين» وأخرجه الدارمي (3331) والطبراني في الكبير (160) وكذلك جاء في صحيح البخاري في قصة الرجل الذي رأى رؤيا فقصها على النبي ﷺ فطلب أبو بكر أن يعبرها للرجل فأذن له النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفيه (إن السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذي أنت فيه تأخذ به فيعليك الله) كتاب التبصير حديث رقم (7032).

«رأيت ربي في أحسن صورة»^(١) ، وفي رواية:
 «في صورة شاب»^(٢) وهذا المراد بقوله صلى الله عليه وآله وسلم:
 «خلق الله آدم على صورته»^(٣) ، وفي رواية صححها ابن النجار وأيدها
 الكشف «على صورة الرحمن»^(٤) فإنه لا يصح أن يكون المراد بذلك

(1) أخرجه الدارمي في كتاب الاستئذان ، باب بدء السلام حديث رقم (5759) رقم =
 (2149) ج 2 ص 170 ، وأبو يعلى في مسنده رقم (2608) ج 4 ص 475 ،
 وفي مسند الشاميين رقم (597) ومعجم الكبير للطبراني رقم (938) ج 1 ص 317 .
 (2) أخرجه الطبراني في الكبير رقم (346) وفي الأوسط رقم (4767) وهو حديث
 منكر موضوع أورده ابن الجوزي في الموضوعات (125/1) وطعن في الحديث
 أئمة كبار مثل البخاري في تاريخه (500/6) وقال ابن الجوزي في دفع شبه
 التشبيه ص 152 ، قال: «مهنا بن يحيى سألت أحمد عن هذا الحديث فأعرض
 بوجهه وقال هذا حديث منكر» .

(3) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء باب خلق آدم (3326)
 ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب يدخل الجنة أقوام حديث رقم
 (2841) وأحمد في المسند (8171) والهاء في الحديث تعود على آدم لأن
 الباري لا يشبه بشيء من خلقه ، والله خلق آدم على صورته التي خلقه عليها وطوله
 ستون ذراعاً من غير أن يكون من ذكر أو أنثى ، ومن أراد المزيد في معرفة تأويلات
 هذا الحديث فليرجع إلى كتاب تأويل مختلف الحديث تأليف الإمام أبي محمد عبد
 الله بن مسلم ابن قتيبة ، ولحجة الإسلام الغزالي كلام نفيس في معنى خلق الله آدم
 على صورته وذلك في كتابه المضمون به على غير أهله ، ص 28-29 ، مطبعة
 الفوال دمشق سنة 1994 م ، لمن أراد المزيد .

(4) مسند الحديث / زوائد الهيثمي / حديث رقم /872/ ج 2 ص 831 ، والطبراني
 في الكبير رقم /13580/ .

صورة الذات لأن الذات المقدسة لا صورة لها إلا من حيث التجلي بالمثل كما يشهد بذلك خبر مسلم في التجلي يوم القيامة وكما تجلى جبريل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صورة دحية الكلبي^(١) ومعلوم أن تمثيل جبريل في صورة دحية ليس معناه أن صورة جبريل انقلبت صورة دحية وإنما ظهرت تلك الصورة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثلاً (مؤدياً) عن جبريل بما أوحى به إليه، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾^(٢) فإذا لم يستحل ذلك في حق الملك وأن جبريل كان باقياً على حقيقته و(صفته)^(٣) في حال ظهوره دحية، فلا يستحيل ذلك في حق الله تعالى في يقظة ولا منام لاتفاق جميع المحققين أن المرئي مثال للذات لا عين الذات كما

(1) كان جبريل يأتي بصورة دحية، جاء في حديث أخرجه الحاكم في المستدرک رقم (4332) وأحمد في المسند رقم (24506) وإسحاق بن راهويه في مسنده حديث رقم (165)، وأبو يعلى في مسنده رقم (6915) والطبراني في المعجم الكبير حديث رقم (758) وفي الأوسط رقم (7) وعبد الله بن أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة حديث رقم (1635)، ودحية الكلبي هو: دحية بن خليفة بن زيد اللات بن ثور بن كلب بن وبرة الكلبي، صاحب الرسول ﷺ، شهد أحداً وما بعدها وبعثه رسول الله ﷺ إلى قيصر رسولاً سنة 6هـ في الهدنة فأيد به قيصر، فأخبره دحية الرسول بذلك فقال ﷺ: ثبت له ملكه (أسد الغابة لابن الأثير ج2 ص158).

(2) سورة مريم آية: 17.

(3) ساقط من ح.

تقدم وكما سيأتي ومن فهم الفرق (4 / أ) بين المثل والمثال لم يقف في مثل ذلك، وقد أشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن لذات الله مثلاً يقع التجلي فيه حتى يعرف بقوله: «إن الله تعالى خلق آدم على صورته»^(١) وذلك أن^(٢) الله تعالى لما كان موصوفاً بالوجود، قائماً بنفسه، حياً عالماً، مريداً، قاهراً، قادراً، سميعاً، بصيراً، متكلماً، متقلباً في صورة التجلي من النزول، والاستواء، والمعية، والضحك، والفرح، والرضى والغضب وغير ذلك كالإنسان كذلك، ولو لم يكن الإنسان موصوفاً بهذه الصفات، ما صح له معرفة هذه الصفات في جانب الحق تبارك وتعالى ولا تعقلها ولهذا ورد في بعض الكتب الإلهية: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»^(٣).

و(ذلك) لأن كل ما لم يجد الإنسان له مثلاً في نفسه يعسر عليه التصديق والإقرار به، ومن شك فيما قرناه فليتعقل لنا شيئاً لم يخلقه الله تعالى، فإنه لا يقدر قط على ذلك، وهذا يصلح (دليلاً)^(٤) لمن منع رؤية ذات الله تعالى لولا ما ورد.

ثم اعلم أن الفرق بين الحق تعالى والإنسان أن الحق تعالى يتقلب في الأحوال، والإنسان تنقلب عليه الأحوال إذ يستحيل أن

(1) تقدم تخريجه .

(2) في الأصل أنه تعالى والزيادة من ح .

(3) ظن بعض العلماء أن هذا حديث مرفوع للنبي ﷺ والصواب ما ذكره الشيخ وقيل: إنه حكمة .

(4) في الأصل (دليل) والتصويب من ح .

يكون للحال على الحق تعالى حكم ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^(١)، فوقعت المشاركة في الأحوال كما وقعت في الأسماء فافهم هذا الفرق فإنه من أوضح الفروق وأجلاها فعلم أنه ليس المراد بالصورة المخلوق عليها آدم إنها ذات وسبع صفات لها فقط، لأن الحيوان كذلك له ذات وهو حي عالم يريد قادر متكلم سميع بصير، ولو كان المراد ذلك لكان يبطل وجه الخصوصية للإنسان فإن هذه الصفة إنما جاءت له على جهة التشریف له، فإن قيل: فما هذا التغير الواقع للإنسان في نفسه وصورة الحق تعالى لا تقبل التغير.

(4 / ب) قلنا الله تعالى يقول: ﴿سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾^(٢) ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «فرغ ربك من ثلاث»^(٣)، وفي حديث التجلي الأخرى «يتجلى لهم الرب في أدنى صورة»^(٤) ثم يتحول عند إنكارهم إلى الصورة التي عرفوه فيها بالعلامة فهو تعالى

(1) سورة الرحمن آية: 29.

(2) سورة الرحمن آية: 31.

(3) لم أقف على حديث فيه لفظة ثلاث وإنما ورد من خمس كما جاء في مسند الشهاب 352/1 «فرغ الله إلى كل عبد من خمس من عمله وأجله وأثره ورزقه ومضجعه لا يتعداهن عبد» وفي صحيح ابن حبان (6150) 118/14 وأحمد (197) وابن أبي عاصم في السنة (303 - 304 - 305) وهو عند الطبراني في الأوسط رقم (3120).

(4) أخرجه البخاري في الصحيح باب معرفة طريقة الرؤية حديث رقم (183) ومسلم في صحيحه باب إن الله لا يظلم مثقال ذرة، حديث رقم (4305) وأحمد في المسند رقم (7914).

هو الذي أضاف إلى نفسه هذا المقام وهو عري عن مقام التغير بذاته والتبديل، ولكن التجليات في المظاهر الإلهية على قدر العقائد التي تحدث للمخلوقات مع الآفات وإذا كان الأمر على ما ذكرنا وكذلك هو، ارتفع الاعتراض الوهمي تعالى الله عن ذلك.

مبحث الموازنة الإنسانية من الحضرة الإلهية^(١)

وقد قررنا غير ما مرة أنه ينبغي للإنسان أن يعلم ميزانه من الحضرة الإلهية، فإن الجود الإلهي قد أدخله في الميزان فيوازن العبد بصورته حضرة موجه ذاتاً وصفةً وفعلاً، ثم لا يلزم من الوزن الاشتراك في حقيقة الموزونين، فإن الذي يوزن به الذهب والمسك هو صنجة حديد^(٢)، فليس يشبهه في ذاته ولا صفته ولا عدده، فلا يوزن بالصورة الإنسانية إلا ما تطلبه الصورة بجميع ما تحتوي عليه بالأسماء الإلهية التي توجهت على إيجاده وأظهرت آثارها فيه، وكما لم تصح صنجة الحديد توازن الذهب في حد ولا في حقيقة ولا صورة ولا عين، كذلك العبد، وإن خلقه الله تعالى على صورته فلا يجتمع معه في حد ولا حقيقة، إذ لا حد لذاته تعالى، والإنسان محدود بحد ذاتي لا رسمي ولا لفظي، فالإنسان أكمل المخلوقات وأجمعها من حيث نشأته ومرتبته، فإذا وقفت يا أخي على هذا الميزان زال عنك ما تتوهمه في الصورة من المشاركة للحق في الحقيقة، فإن الله تعالى هو الخالق وأنت العبد المخلوق، وكيف لصنعة أن تعلم صانعها (5/أ) إنما تطلب الصنعة من الصانع صورة علمه بها، لا صورة ذاته وأنت صنعة خالقك فصورتك مطابقة لصورة علمه بك، وهكذا كل مخلوق ولو لم

(1) ساقط من الأصل والزيادة من ح.

(2) صنجة الميزان معرب وهي قطعة الحديد التي يوزن بها 100 غرام أو 1 كغم انظر مختار الصحاح ص 223.

يكن الأمر كذلك وكان يجمعكما حد واحد، وحقيقة واحدة، كما يجمع زيداً وعمراً لكنك أنت إلهاً على خلاف ذلك، فاعلم بأي ميزان تزن نفسك، فإنك صنجة حديد يوزن بها ما لا ثمن له، وإن اجتمعت مع الموزون في المقدار فما اجتمعت معه في القدر ولا في الذات تعالى الله عن ذلك، وإنما قال فيما تقدم «(من)^(١) عرف نفسه فقد عرف ربه)^(٢) ولم يقل فقد عرف ذات ربه لأن الذات لها الغنى على الإطلاق وأنى للمقيد معرفة المطلق، الذي هو الله بخلاف الاسم الرب، فإنه يطلب المربوب بلا شك، ففيه رائحة التقييد ولذلك أمر الله تعالى (العبد)^(٣) أن يعلم إنما هو إله واحد لأن الإله يطلب المألوه بخلاف اسم الذات الخصيصي فإنه غني عن الإضافة، وهنا ينبغي التفطن له وهو إن معرفتنا بالرب لا يكون إلا فرعاً من معرفتنا بالنفس إذ هي الدليل وإن كان وجود الرب هو الأصل ففي مرتبة يتقدم فيكون له الاسم الأول وفي مرتبة يتأخر فيكون له الاسم الآخر فيحكم له بالأصل من نسبة خاصة ويحكم له بالفرع من نسبة أخرى، كما قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾^(٤) هذا ما يعطيه النظر العقلي وأما الذي تعطيه

(1) في الأصل (ومن) والتصويب من ح.

(2) القول المشهور «من عرف نفسه فقد عرف ربه» تقدم أنه ليس بحديث، ولكنه قول مأثور عن السلف ومعناه من عرف نفسه بالضعف عرف ربه بالقوة... وهكذا.

(3) في الأصل (أن العبد) والتصويب من ح.

(4) البقرة آية: 152.

المعرفة الذوقية فهو الله^(١) تعالى ظاهر من حيث ما هو باطن ، وباطن من حيث ما هو ظاهر ، وأول من حيث ما هو آخر ، وآخر من عين ما هو أول ، وإزار من نفس ما هو رداء ، ورداء من نفس ما هو إزار ، ولا يتصف بنسبتين مختلفتين أبداً كما يقرره ويصقله العقل من نفس ما هو ذو فكر فافهم ، فعلم أنه لا يكلف (5/ب) الإنسان بمعرفة أخص وصف الله تعالى ، لأنه ليس لذلك الوصف الأخص في المبتدعات والمخلوقات مثال ، وكل ما لا مثال له فلا علم للإنسان به ولا اسم له عنده ولا علامة ، ومن هنا قال من قال: لا يعرف الله إلا الله أعني أخص وصفه ، وكنه^(٢) معرفته كما سيأتي ذلك في الميزان إن شاء الله تعالى ، واعلم أيضاً أن مشاركتنا للحق في مطلق الصفات لا تشبيه فيه ، لأن شرط التشبيه إثبات المشاركة في الوصف الأخص وهذا لا يصح كما أن من قال: إن السواد عرض موجود وهو لون ، والبياض عرض موجود وهو لون لا يكون مشبهاً^(٣) للسواد بالبياض فتأمل ذلك فإنه نفيس .



(1) الزيادة من ح .

(2) كنه: كنه الشيء: جوهره وحقيقته ونهايته كما في المعجم الوسيط ومختار الصحاح (مادة كنه).

(3) في الأصل (مشتبهاً) والتصويب من ح .

فصل: رؤية الحق تبارك وتعالى

رؤية الحق تبارك وتعالى بعين البصر في هذه الدار ممنوعة لغير محمد صلى الله عليه وآله وسلم⁽¹⁾.

(1) ولكمال الفائدة في هذا الموضوع أنقل ما جاء في كتاب المعراج للقسيري وما جاء في تفسير القرطبي فأقول: جاء في كتاب المعراج للإمام القسيري ص 94 ما نصه: «واختلفوا في رؤية الله سبحانه ليلة المعراج فقالت عائشة ل: إن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم لم ير ربه ليلة المعراج حتى قالت: من زعم أن محمداً رأى ربه ليلة المعراج فقد أعظم على الله الفرية».

وجاء في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج 7 ص 55 ما نصه: «اختلف السلف في رؤية نبينا عليه الصلاة والسلام ربه ففي صحيح مسلم عن مسروق قال: كنت متكئاً عند عائشة، فقالت: يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنت متكئاً فجلست فقلت: يا أم المؤمنين، أنظريني ولا تعجليني، ألم يقل الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ فقالت: أنا أول هذه الأمة من سألت ذلك رسول الله ﷺ: فقال: إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيتُه منهبطاً من السماء ساداً عظيم خلقه ما بين السماء والأرض. فقالت: أولم تسمع إن الله عز وجل يقول: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ أولم تسمع أن الله عز وجل يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذُنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ قالت: ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية، والله تعالى يقول: ﴿يَتْلُوهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ قالت: ومن زعم أنه يخبر بما يكون

وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته جماعة من المحدثين والفقهاء
والمتكلمين .

هذا ما جاء عن بعض الصحابة ي في إنكار رؤية الله ليلة المعراج
لنبينا محمد ﷺ .

وقال ابن عباس إن نبينا رأى ربه ليلة المعراج، ثم
اختلفت الرواية عن ابن عباس ففي رواية أنه رأى بعيني رأسه وفي
رواية أخرى رآه بقلبه وحجته قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ (1)
وقال عبد الله بن الحارث اجتمع ابن عباس وأبي بن كعب فقال ابن
عباس: أمّا نحن بنو هاشم فنقول إن محمداً رأى ربه مرتين، ثم ابن
عباس: أتعجبون أن الخلة تكون لإبراهيم عليه السلام والكلام
لموسى، والرؤية لمحمد .
وحكى عبد الرزاق أن الحسن كان يحلف بالله لقد رأى
محمد ربه.

وحكى النقاش عن أحمد بن حنبل أنه قال: أنا أقول بحديث ابن
عباس: بعينه رآه رآه، حتى انقطع نفسه، يعني نفس أحمد، وإلى هذا
ذهب الشيخ أبو الحسن الأشعري وجماعة من أصحابه أن محمداً ﷺ

في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله تعالى يقول: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ = = وإلى ما ذهب إليه عائشة ل من عدم الرؤية، وإنما
رأى جبريل: ابن مسعود ومثله عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأنه إنما رأى جبريل .
(1) النجم: (11).

رأى الله ببصره، وعيني رأسه. هذا ما ذهب إليه المجوزون لرؤية النبي ربه في الدنيا وقال أهل التحقيق من أهل السنة إن الاختلاف في هذه المسألة، دليل على إجماعهم أن الحق سبحانه يجوز أن يرى، لأنه لو أنهم كانوا متفقين على جواز الرؤية لم يكن اختلافهم في الرؤية في تلك الليلة معنى .

وقد رويت في هذا الباب أخبار والله أعلم بصحتها، فإن صح ذلك فلها وجوه من التأويل، من ذلك ما روي أن النبي ﷺ قال: (رأيت ربي في أحسن صورة) فهذا الخبر يحتمل وجوهاً، منها: رأيت وأنا في أحسن صورة يعني: في أكمل رتبة وأتم فضيلة، وأقوى ما كنت، لم يصحبني دهش ولا أرهقتني حيرة .

ويمكن أن تكون الرؤية بمعنى العلم: أي رأيت من قدرة الله ودلائل حكمته ولم يشغلني شهود الصور عن ذكر المصور، بل رأيت الفاعل في الفعل، وقيل الصورة هنا بمعنى الصفة، يقال: أرني صورة هذا الأمر أي صفة، وفي معنى (على): أي رأيت ربي على أحسن صفة من جلاله وصنعه وأفضاله معي، راجع في هذا كله كتاب المعراج للقشيري من ص (94 - 95)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج 7 ص 55 - 56 .

وما بقي لغيره إلا الشهود بالقلب دون الرؤية بالعين ومن لازم ذلك الحجاب، وإن تفاوت فيه الناس، ويسمى حجاب العظمة

(الذي)^(١) لا يرفع عن وجه الذات أبد الآبدين ، ودهر الدهرين كما أشار إليه (حديث)^(٢) «وليس بين العباد وبين أن يروا ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»^(٣) فجميع التجليات الواقعة للعباد في الدنيا والآخرة لا تخرج أبداً عن رتبة التقييد (إذ)^(٤) التجلي الذاتي في غير مظهر ممنوع بين أهل الحقائق كما سيأتي بسطه في الميزان .

وأنشدوا شعراً:

ولم يبد من شمس الوجود ونورها

على عالم الأرواح شيء سوى القرص

وليس تنال الذات من غير مظهر

ولو هلك الإنسان من شدة الحرص

وإيضاح ذلك هو أن رؤية الباري جل وعلا من أكبر النعيم،

(1) في الأصل (التي).

(2) الزيادة من ح وليست في الأصل .

(3) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في باب قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ إلى

رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿﴾ حديث رقم (7006) ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب إثبات

رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى رقم (180) والترمذي رقم

(2528) وابن ماجه في الإيمان باب فيما أنكرت الجهمية (186) والدرامي

(2822) وأحمد في المسند رقم (19697).

(4) في الأصل (إذا) والتصويب من ح .

والحجاب عنه من أكبر الجحيم، ولا يصح لنا نعيم قط ولا عذاب في غير مظهر لأن غير المظهر كحالة الفناء لا لذة فيه (6/ أ) ولا ألم، وإذا وقع التجلي في المظاهر وقعت اللذات والآلام وسرت في العالم، فلا حكم للنعيم والعذاب البسيط في الوجود أبداً وإنما يوجد في المركب، ومن هنا كان أبو يزيد البسطامي⁽¹⁾ رحمه الله يقول أهل أحدية الذات لا نعيم عندهم ولا عذاب، وكان يقول: ضحكت زمانا وبكيت زماناً، وأنا اليوم لا أضحك ولا أبكي. ثم اعلم أن التجلي الإلهي لا يكون إلا للاسم الإله، فلا يكون للاسم الله ولا للاسم الأحد أبداً ولذلك قال السامري: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى﴾⁽²⁾، ولم

(1) هو سلطان العارفين أبو يزيد طيفور بن عيس البسطامي أحد الزهاد أخو الزاهدين آدم وعلي، وكان جدهم مجوسياً فأسلم، يقال أنه روى عن إسماعيل السدي وجعفر الصادق وقل ما روى، وله كلام نافع منه قال: «ما وجدت شيئاً أشد علي من العلم ومتابعته ولولا اختلاف العلماء لبقيت حائرًا» وعنه قال: «هذا فرحي بك وأنا أخافك فكيف فرحي بك إذا أمنتك، وليس العجب من حبي لك وأنا عبد فقير إنما العجب من حبك لي وأنت ملك قدير» وعنه وقيل له إنك تمر في الهواء فقال وأي أعجوبة في هذا وهذا طير يأكل الميتة يمر في الهواء، وعنه ما دام العبد يظن أن في الناس من هو شر منه فهو متكبر، توفي أبو يزيد ببسطام سنة إحدى وستين ومائتين عن ثلاث وسبعين سنة، سير أعلام النبلاء (89/13)، وسئل أبو يزيد بأي شيء وجدت هذه المعرفة فقال: يبطن جائع وبدن عار وقيل لأبي يزيد: ما أشد ما لقيت في سبيل الله؟ فقال: لا يمكن وصفه. فقيل له: ما أهون ما لقيت نفسك منك؟ فقال: أمّا هذا فنعم، دعوتها إلى شيء من الطاعات فلم تجبني، فمنعتها الماء سنة.

(2) طه: 88.

يقول: هذا الله الذي يدعو إليه موسى ، فإن كل مشار إليه ذو جهة ، والله والأحد لا جهة لهما ، وهما غنيان لا يطلبان أحد ، فمن تعبد وتذلل للاسم الأحد فقد تعبد نفسه في غير (معبود)^(١) وطمع في غير مطمع وعمل (في)^(٢) غير معمل ، لأن الأحدية لا تقبله ولا يصح له معرفتها ، لمنافاتها وجود العابد ، بخلاف الرب فإنه أوجد العبد فهو يتعبد له ويتذلل ، وكذلك الإله يطلب مألوهاً كما سيأتي إيضاحه في فصل ارتباط العالم بالحق من بعض الوجوه ثم لا يخفى أن التجلي في المظاهر الإلهية لا يكون أبداً إلا بصورة استعداد العبد غير ذلك لا يكون ، كما أشار إليه قوله ﷺ: «المؤمن مرآة المؤمن»^(٣) أي المؤمن الذي هو (الحق)^(٤) مرآة المؤمن الذي هو (الخلق) فافهم ، فإذا العبد ما رأى في المرآة (الإلهية)^(٥) إلا صورة نفسه ، وما رأى الحق ولا يمكن أن يراه مع علمه أنه ما رأى صورته إلا فيه ، كالمرآة في الشاهد إذا رأيت المنطبع فيها لا تراها إلا مع علمك أنك ما رأيت المصور أو

(1) في الأصل رسوم أحرف غير واضحة والتوضيح من الهامش .

(2) في ح تكرار في .

(3) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الأدب - باب في النصيحة والحيطة للمسلم حديث رقم (4918) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد في كتاب الفتن باب المؤمن مرآة المؤمن حديث رقم (12120) والبيهقي في السنن الكبرى رقم (16458) والأوسط (3252) والشهاب في مسنده رقم (124) .

(4) في الأصل رسوم أحرف غير واضحة وتم توضيحها من الهامش .

(5) في الأصل رسوم أحرف غير واضحة وتم توضيحها من الهامش .

صورتك إلا فيها، فأبرز الله تعالى ذلك مثلاً نصبه لتجلي المظهري ليعلم المتجلي له (6/ب) من الخلق وأنشدوا شعراً:

جميل ولا يهوى جلي ولا يرى وتشهده الأبواب من حيث لا تدري
وما ثم محبوب سواه وإنما سليمى وليلى والزيانب للستر
وما ثم مثال أقرب ولا أشبه بالرؤية والتجلي من هذا الذي ذكرناه
واجهد في نفسك عندما ترى الصورة في المرآة أن ترى جرم ما تراه
المرآة لا تراه^(١) أبداً البتة، ولكن إن قلت: إن المنطبع في المرآة
صورتك صدقت، لأن صورتك لم تنتقل فافهم هذا، فإنه أعظم ما
قدرنا عليه في العلم ومن ذاقه فقد ذاق الغاية التي ليس فوقها غاية في
حق المخلوق بالنظر للرائي، فإن الناس متفاوتون في كثافة الحجب
وصقالة المرآئي، فلا تطمع يا أخي ولا تتعب نفسك في أن ترقى إلى
أعلى من هذا المرقى فما هو ثمة وأنت أصلاً وما بعده إلا العدم
المحض. فهو تعالى: (مرآتك)^(٢) في رؤية نفسك وأنت (مرآته)^(٣) في
رؤية أسمائه، ثم لا يخفى أن من المحال أن يكون لعبد (الرب)^(٤) كله
كما أن من المحال أن يكون لعبد القرآن كله فلكل مخلوق (رب)^(٥)
فافهم، وذلك هو الجزء المدبر فيه لا غير، واجهد أن تأخذ نفسك من

(1) في ح (لا ترى).

(2) في الأصل رسوم أحرف غير واضحة وتم توضيحها من الهامش.

(3) في الأصل رسوم حروف مبهمه والتوضيح من الهامش.

(4) في الأصل رسوم حروف مبهمه والتوضيح من الهامش.

(5) في الأصل رسوم حروف مبهمه والتوضيح من الهامش.

المرآة فوق ما يخص صورتك لم تقدر، وذلك لأن الله تعالى واسع عليم تأمل المرآة إذا كانت كرة وقوبلت بالعلم العلوي والسفلي وسعته وارتسم كله فيها، فلذلك قررنا غير ما مرة أن الحق تعالى تعرف إلى كل مخلوق بوجه لا يشاركه فيه أحد غيره، فما أحاط به أحد من كل وجه ولا جهله أحد من كل وجه، حتى المعطل فإنه لا بد أن يستند في وهمه (7 / أ) إلى موجد يلجأ إليه في الشدائد، وغاية تعطيله أنه نفي صفة أثبتها غيره لا غير، لقصور مطمح (نظره)^(١) (وصفته)^(٢) فلم يحط بصفات الحق تعالى كلها فما ثم لنا من يعتقد تعطيلاً على الإطلاق أبداً، فوجوه المعارف على عدد الخلق والسلام. وجميع من تكلم في العقائد إنما تكلم في عقيدة نفسه الناشئة من التجليات لا يتعدها أبداً، ولا يصح له أن يوصل حقيقتها إلى غيره، فعلم مما قررناه أن الحق تعالى لم يزل مجهولاً من حيث الوجوه التي لم يقع للخلق التجلي فيها أبد الآبدين ودهر الداهرين، ومن يراه منا في الآخرة لا يرى عين ذاته الحقيقي وإنما هو كشف خيالي صحيح^(٣) مثالي، كما صرحت به الأخبار الصحيحة، وإلا فجلت ذات الله أن يحاط بها، وكان شيخنا الشيخ علي الخواص^(٤) يقول كثيراً: ما

(1) في الأصل (بصره) والتصويب من ح.

(2) في ح (وضعه).

(3) في ح (كشف صحيح خيالي).

(4) يقصد به الشيخ على البرُّنسي أحد العارفين بالله تعالى، وهو شيخ الإمام الشعراني الذي أكثر اعتماده في مؤلفاته على كلامه وطريقه، قال المناوي في طبقاته: «الأمي

عرف الحق تعالى أحد من حيث ما يعرف الحق تعالى نفسه أبداً، لأن الأرواح المدبرة إنما ظهرت بصوره مزاج القوابل، فلا يتعدى في التدبير ما (تقتضيه)⁽¹⁾ الهياكل ولا يمكن أن يظهر الحق تعالى فيها إلا بصورة ما تقبله، وما هي على صورة الحق في الحقيقة، وإنما المدبر على صورة المدبر، إذ لا يظهر فيه منه إلا على قدر قبوله لا غير، خلق الله آدم على صورته، فلا يعلم من الحق ولا يرى منه إلا ما هو عليه الخلق، فمن اعتمد على صورته، فلا يعلم من الحق ولا يرى منه إلا ما هو عليه الخلق، فمن اعتمد على العالم من هذا الوجه فقط اعتمد على أمر محقق لا يتغير دنيا ولا أخرى، فليس الحق إلا ما هو

المشهور بين الخواص بالخواص، كان من أكابر أهل الاختصاص، ومن ذوي الكشف الذي لا يخطئ، والاطلاع على الخواطر على البديهة فلا يبطئ، وكان عليه للولاية أمانة وعلاقة، متبحراً في الحقائق، أشبه البحر اطلاقه، والدر كلامه، وكان في ابتداء أمره يبيع الجميز عند الشيخ إبراهيم المتبولي بالبركة، ثم أذن له أن يفتح دكان زيات، فمكث أربعين سنة، ثم ترك وصار يضفر الخوص، حتى مات، وكان = يسمى بين الأولياء النسابة، لكونه أمياً ويعرف نسب بني آدم، وكان إذا نزل بالناس بلاء لا يتكلم ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام حتى ينكشف له كلام في الطريق كالبحر الزاخر، ومن كلامه: «الكمل لا تصريف لهم بحال بخلاف أرباب الأحوال»، وقال: «كل فقير لا يدرك سعادة البقاع وشقاوتها فهو والبهائم ثم سواء» وقال إياك أن تصفي لقول منكر على أحد الفقراء فتسقط من عين رعاية الله وتستوجب المقمت توفي في جمادى الآخر على تسعمائة وتسع وثلاثين للهجرة شذرات الذهب 233/4.

(1) في الأصل (يقتضيه) والتصويب من ح.

عليه الخلق، من العلم به^(١) وهو تعالى في نفسه على ما علم، وله في نفسه ما لا يصح أن يعلم أصلاً وهو المشار إليه بقوله: ﴿اللَّهُ غَفِيُّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 97]، فالقدر الذي حصل تدبيره فيك هو (ربك الذي عبدته)^(٢) ولا تعرف إلا هو، وهو العلامة التي يعرف الحق تعالى (7/ب) في الآخرة وهي في الدنيا في العموم على الغيب، وفي الآخرة على الكشف، فالعامة في الدنيا يعلمونها من أنفسهم، ولا يعلمون أنها المعلومة لهم ويقول فيها أحدهم ما عودني الله إلا كذا وكذا، وهذا العلم الذي نبهتك عليه من العلم بالله ما أظهرته باختياري، ولكن حكم الجبر حكم به علي، فتحفظ (به)^(٣) ولا تغفل عنه، فإنه يعلمك الأدب مع الله تعالى، فإذا فهمت هذا، علمت أن الحق إنما هو معك، بحسب ما أنت عليه، وما أنت معه قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾^(٤)، ولم يقل قط: وأنتم معه إذ لا يصح أن يكون أحد مع الله، فالله مع كل أحد بما هو عليه ذلك الواحد، ولا يصح التجريد عن التدبير أبداً لأنه لو صح لبطلت الربوبية، وهي لا تبطل بالتجريد محال، فلا تعقل إلهك إلا مدبراً (فيك)^(٥) ولا تعرفه إلا من نفسك

(1) الزيادة من ح.

(2) في الأصل حروف مقطعة غير مفهومة والتوضيح من الهامش.

(3) ساقط من ح.

(4) سورة الحديد آية: 4.

(5) في الأصل (فكيف) والتصويب من ح.

فنفسك عرفت والسلام .

وقد قال أبو بكر الشبلي^(١) إني لا أشتهي رؤية الله تعالى فقيل له: لم؟ فقال أنزهه عن مثلي، فقال له بعض العارفين رضي الله عنه: نفس شهودك أنك أنت الناظر أقبح من عدم تنزيهك، ويا ليت شعري أي نظر لك من ذاتك حتى (تنظره)^(٢)، وهل ينظره تعالى إلا هو .

وفي بعض الهواتف الربانية، جهلني عبادي فلم يعرفوني وكيف يدعون معرفتي وأنا لا جسم ولا معنى، ولو عرفوني في الدنيا ما أنكروني حين^(٣) أتجلى لهم في القيامة فهم لعلاماتهم عابدون لا لي، ولعين ما أنكروه مقرون، فمن قال منهم إنه عبدني فقد كذب، انتهى . ولا يخفى أن ذلك في حق الضعفاء من المؤمنين، أما العارفون فلا ينكرون الحق تعالى في تجلي من تجلياته لاطلاعهم في دار الدنيا على

(1) أبو بكر الشبلي هو: دلف بن جحدر وقيل جعفر بن يونس وهذا هو المكتوب على قبره، الزاهد المشهور صاحب الأحوال والتصوف، قرأ في أول أمره الفقه، وبرع في مذهب مالك، ثم سلك وصحب الجنيد، وكان أبوه من حجاب الدولة، ومولده بسر من رأى، وقال شيخه الجنيد لا تنظر إلى الشبلي بالعين التي ينظر بعضكم إلى بعض فإنه عين من عيون الله وكان الشبلي فقيهاً عالماً، كتب الحديث الكثير، وقال عن نفسه: كتبت الحديث عشرين سنة، وجالست الفقهاء عشرين سنة وصحب = الجنيد ومن في عصره وصار أوجد العصر حالاً وعلماً وتوفي في ذي الحجة ودفن بالخيزرانية ببغداد بقرب الإمام الأعظم وله سبع وثمانون سنة وذلك سنة أربعة وثلاثين وثلاثمائة (شذرات الذهب 5/ 620).

(2) في ح (تنظر) والتصويب من الأصل .

(3) في الأصل (حتى) .

المرآة الكبرى الجامعة لسائر الصور المتفرع منها كل معرفة في العالم ، فهم في يوم القيامة واقفون لا يتكلمون ولا (8/ب) يستعيذون منه كما استعاذ غيرهم ، حتى تنقضي جميع التجليات ، وقد علموا من الله تعالى أنه لا يريد منهم أن يعرفوه لأحد من المنكرين في ذلك اليوم العظيم ليجنوا كلهم ثمرة اعتقادهم في دار الدنيا .

*** ** *

فصل: في رؤية الحق يوم القيامة

في قوله ﷺ: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر»^(١) وفي رواية: «كما ترون الشمس في الظهيرة ليس دونها سحب»^(٢) . اعلم أن النور الذي يتجلى الحق تعالى فيه في الآخرة إنما هو نور لا شعاع له فلا يتعدى ضوءه نفسه ويدركه البصر في غاية التجلي والوضوح ، فمعنى قوله كما ترون القمر ليلة البدر يعني إذا كشف^(٣) ليلة بدره لأن (عند)^(١) ذلك يدرك البصر المثال المشبه

(1) الحديث أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة باب في فضل صلاة العصر رقم (529) ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما رقم (633) وأبو داود في السنة باب الرؤية .

(2) الحديث في مسند الحارث كما في زوائد الهيثمي في فضل الجهاد رقم (622) ج2 (648) .

(3) في ح (كسف) .

بالقمر إدراكًا محققًا، ويؤيده قوله صلى الله عليه وآله وسلم لما قيل له: أرأيت ربك يا رسول الله؟ قال: «نور أنى [أراه]»^(٢) يقول: كيف أرى ذلك النور وهو (نور)^(٣) شعشعاني والأشعة تذهب بالأبصار وتمنع من إدراك من (تنشأ عنه)^(٤) تلك الأشعة، يا أخي إنه لم يبلغنا أن أحداً رأى رب العزة يقظة بعين رأسه في الدنيا غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأما رؤيته تعالى في المنام فوَقعت لكثير من الأمة، ولرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فروى الطبراني وصحيحه عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «رأيت ربي عز وجل الليلة في صورة شاب له وفرة وفي رجله نعلان من ذهب وعلى وجهه فراش من ذهب وعلى رأسه تاج يلتمع البصر»^(٥) انتهى .

-
- (1) في الأصل (عندك) والتصويب من ح .
(2) حديث نور أنى أراه أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب قوله عليه السلام نور أنى أراه حديث رقم (3405).
(3) ساقط من ح .
(4) في ح (تنشق عنه).
(5) الحديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير رقم (346) وفي الأوسط رقم (4767) وفي كنز العمال في كتاب الإيمان الباب الثالث حديث (1152)، وممن حكم على هذا الحديث بالوضع الإمام ابن الجوزي في كتابه دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه ص(154) وفي كتابه الموضوعات كما تقدم، وقال العجلوني في كشف الخفاء على الحديث (1409) قال القاري موضوع لا أصل له في الدلائل، وقال السبكي حديث رأيت ربي في صورة شاب أمرد هو دائر على السنة بعض المتصوفة

وقد استنكر بعض العلماء هذا الحديث وما كان ينبغي له الاستنكار، وذلك لأن للحق تبارك وتعالى تجلياً في خزانة الخيال في صورة طبيعية بصفات طبيعية فيرى النائم في نومه تجسد المعاني في صورة المحسوسات هذه حقيقة الخيال فيجسد ما ليس من شأنه أن يكون جسداً لا (8/ب) تعطي حضرته إلا ذلك فحضرة الخيال هي أوسع الحضرات لأن فيها يظهر وجود المحال، فإن الله تعالى لا يقبل الصور وقد ظهر بالصورة في (هذه)⁽¹⁾ وفي هذه الحضرة أيضاً يرى الإنسان الجسم الواحد في مكانين في آن واحد، كما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى عليه الصلاة والسلام ليلة الإسراء في السماء في حال كونه في الأرض، وقال: رأيت موسى وما قال: رأيت روح موسى ولا جسد موسى، ونظير ذلك رؤية الإنسان في منامه جسمه في مدينة أخرى وعلى حالة أخرى تخالف حاله الذي هو عليه في بيته

وهو موضوع مفترى على رسول الله ﷺ، قارن بين كلام الإمام الشعрани هذا وما جاء في كتاب المعراج للقشيري ص 96-97 ونصه: «فإن قيل: فيما يقولون مما روي أنه ﷺ قال: (رأيت ربي وفي رجليه نعلان من ذهب) قيل: هذا من مناكير الأخبار فإن صح فيحمل على أنه كان في المنام ويجوز في النوم أن يرى الرائي أشياء لها وجوه من التأويل، قال ﷺ: (من رأني فقد رأني فإن الشيطان لا يتمثل بي) يعني بي في النوم، ومن المعلوم أنه قد يراه بعض الناس كأنه على صورة شيخ ويراه بعضهم على صورة أمرد، وواحد كأنه مريض، وآخر كأنه ميت، وغير ذلك من الوجوه.

(1) في الأصل (هذا).

وهو عينه لا غيره لمن عرف الوجود (على ما هو عليه)^(١).

ونظير ذلك (أيضاً)^(٢) مشاهدة المقتول في المعركة في سبيل الله ، وهو في حال رؤيتك عند ربه حي يرزق ، ويأكل ، وقد رأيت في واقعة وقعت لي طيراً أبيض، طويل العنق، أقبل فابتلع الوجود العلوي والسفلي ، وابتلعتني من جملة العالم ، فصرت أراه من خارجه وأنا في جوفه ، وما بقي له قرار ينزل إليه ليستقر ولا سقف يصعد إليه ثم جاءت بعوضة فابتلعت ذلك الطائر بما حواه، ثم غابت عن العين^(٣)، وهذا نظير رؤية آدم، في حديث القبضتين حين قيل له «يا آدم اختر أيهما شئت، فقال: اخترت يمين ربي (وكلتا)^(٤) يديه يمين مباركة فلما بسط الحق تعالى يده فإذا فيها آدم وذريته»^(٥) الحديث .

فآدم في هذه القصة في القبضة، وهي عينه خارج عنها فانسخ

(1) الزيادة من ح .

(2) الزيادة من ح .

(3) هذه الواقعة التي وقعت للإمام الشعراني رحمته الله خرافة من جملة الخرافات والشطحات التي وردت في بعض كتبه كان ينبغي أن ينزه كتابه من ذكرها .

(4) في الأصل وكلها والتصويب من ح .

(5) أخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم (6167) والحاكم في المستدرک حديث رقم (214) وقال حديث صحيح على شرط مسلم والترمذي في سننه في كتاب أبواب تفسير القرآن باب حديث رقم (3427) والبيهقي في سننه الكبرى حديث رقم (20307) وذكر في قصة إعطاء آدم لولده داود ستين سنة ثم أنكرها آدم فقال صلى الله عليه وسلم جحد فجددت أمته ونسي فنسيت أمته .

يا أخي حكم عقلك حتى تجمع بي الضدين وتصدق رسول الله ﷺ فيما أخبرك مما أحاله عقلك لأنك لا تتعقل شيئاً من ذلك قط وميزان العقل موجودة معك، ولولا أن حضرة الخيال تقبل المحال (9/أ) ما قدر العقلاء على فرض المحال لأن العاقل لولا صورة في نفسه ما قدر على فرضه، وإنما صح لنا رؤية الحق تعالى في المنام مع حديث «إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»^(١) لأن النوم أخص للموت، فلما كان الموت يطلق على النوم بضرب من التشبيه قلنا بصحة رؤية الحق تعالى فيه، ولذلك لما تجلى الحق تعالى للجبل خراً موسى صعقاً وصار الجبل دكاً، فما أطاق موسى الكلام حتى صعق وتحلل التركيب منه، وكان الدك للجبل بمنزلة الموت له حتى أطاق سماع الخطاب، إذ السماع لمن لا مثل له (كالرؤيا لمن لا مثل له)^(٢) سواء، فهذا هو السبب المجوّز لرؤية الحق تعالى في الحياة الدنيا في المنام، وكان أبو يزيد رضي الله عنه يقول: (الحقيقة)^(٣) تأبى أن يكلم الحق تعالى نفسه أو يسمعه غير نفسه فإنه تعالى إذا أراد أن يكلم عبداً لا بد له أن يحبه، وإذا أحبه «كان سمعه وجميع قواه»^(٤) فما سمعه تعالى حقيقة إلا هو، إذ من

(1) أخرجه الإمام النسائي في السنن الكبرى باب المعافاة والعقوبة حديث رقم /7764/ والهيثمى في مسند الشاميين رقم الحديث (1157)، والهندي في كنز العمال في رؤية الله تعالى حديث رقم (39308).

(2) الزيادة من ح وهو ساقط من الأصل.

(3) في الأصل الحق والتصويب من ح.

(4) يشير إلى الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في متاب الرقاق باب

المحال أن يطيق حادث سماع كلام الله القديم أو يتعقله، ولم يكن الحق تعالى لسانه عند النجوى، ولذلك كان ﷺ يغيب عن نفسه وإحساسه عند الوحي.



التواضع حديث رقم (6137) ويقول فيه تعالى: (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها...) الحديث وأخرجه ابن حبان في صحيحه رقم الحديث /347/ والبيهقي في سننه الكبرى حديث رقم /6188/.

(مطلب حقيقة النوم)^(١)

واعلم أن حقيقة النوم برزخ بين الموت والحياة، والنائم لا حي ولا ميت فله وجه للموت ووجه للحياة فهو أخو الموت من وجه واحد لا من الوجهين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾^(٢) يعني راحة لكم، ولتألفوا حالكم في البرزخ بعد الموت فإن حالكم فيه كالنوم في الصورة، فالملك لا رؤية له لأن نشأته غير عنصرية هذا حكم الدنيا وأما حكم الآخرة فمكان الرؤيا ما تحت مقعر فلك الكواكب الثابتة ولذلك (كان أهل النار ينامون)^(٣) في بعض الأوقات نسأل الله العافية.



-
- (1) العنوان من الهامش وليس من الأصل .
(2) سورة النبأ آية رقم: 8، وتكميلاً للفائدة أحيل القارئ إلى الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ج 5/7) في تفسير قوله تعالى عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِأَنفُسِكُمْ وَيَعَلِّمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ .
(3) لم أقف على ما يؤيد ذلك من السنة النبوية الشريفة .

فصل: في الشهود التي تقول به الطائفة ليس هو الرؤية
(9/ب) الشهود التي تقول به الطائفة ليس هو غيرها فهو تعالى

مشهود لنا في الدنيا غير مرئي فلا يلتبس عليك الأمر .

ومن الفرق بين الرؤية والشهود: أن الشهود هو ما تمسكه في نفسك من شاهد الحق المشار إليه بخير «اعبد الله كأنك تراه»⁽¹⁾ فإن في ذلك إدخال الحق تعالى في حكم الخيال فقوله: «كأنك تراه» هو شاهد الحق الذي أقمته في نفسك وهذه هي درجة التعليم ثم يرتقي العبد من هذه الحالة إلى حالة الخصوص ، وهو شهود كونه تعالى يراك ولا تراه ، وذلك أنك إذا ضبطت شهوده تعالى في قلبك عند صلاتك مثلاً فقد أدخلت شهودك عن بقية الوجود المحيط بك ، وإذا تحققت ذلك علمت عجزك عن رؤيته تعالى لتقيدك وإطلاقه ، وضيقك وسعته ، فإذا عرفت ذلك بقيت مع نظره المحقق إليك ، لا مع نظرك إليه لأن نظرك يقيده ويحدده وهو منزّه عن الحدود فعلم أنه لولا تخيل العقل الحق تعالى للأصاغر في القبلة ما تعقلوا من أن يتأدبوا معه ، وأما

(1) الخبر أخرجه أحمد في المسند حديث رقم (6156) وابن أبي شيبة في مصنفه رقم (34325) وأما قوله ﷺ: (أن تعبد الله كأنك تراه) فهو الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان - باب الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدرة الله تعالى ، والمسمى بحديث جبريل حديث رقم (8) والبخاري في صحيحه باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة رقم (50) .

الأكابر فلا يحتاجون إلى هذا التخيل ، ولذلك كان القطب دائماً خلف الحجاب لا يرى ربه حتى يموت فافهم .

ومن الفرق أيضاً بين الرؤية والشهود: أن الرؤية لا يتقدمها علم بالمرئي بخلاف المشاهدة يتقدمها علم بالمشهود وهو المسمى بالعقائد ، ولهذا يقع الإقرار والإنكار في المشهود حين التجلي الأخرى ، ولا يكون في الرؤية إلا الإقرار .
وأنشدوا شعراً:

قلوب العارفين لها ذهاب إذا هي شاهدت من لا تراه
وذا من أعجب الأشياء فينا نراه وما نراه إذا نراه
دليلي إذ يقول رميت عبدي فلا تعجب فما الرامي سواء
فما سمي الشاهد شاهداً (إلا)^(١) لأن ما رآه يشهد بصحة ما
اعتقده ، فكل مشاهدة رؤية وما كل (10 / أ) رؤية مشاهدة قال
تعالى: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَتَيْنِ مِنَ رَبِّهِ ﴾^(٢) ، ومن هنا سأل موسى عليه
السلام الرؤية بقوله: ﴿ قَالَ رَبِّ ارِنِي ﴾^(٣) ، وما قال
أشهدني فإنه تعالى كان مشهوداً له وما غاب عنه ، وكيف يغيب عن
رسول من أولي العزم ، ولا يغيب عن بعض الأولياء ، فما طلب موسى

(1) ساقط من الأصل والزيادة من ح .

(2) هود آية: 17 .

(3) الأعراف آية: 143 .

إلا [تعجيل]^(١) التجلي الخاص به في الآخرة حين طلب مقامه سؤال ذلك في الدنيا وأما شهوده تعالى الذي يشهده الأولياء، فذلك خبره ودينه من مقام ولايته .

واعلم أن الدليل البرهاني يقضي برفع المناسبة بين العالم وبين هوية الحق تبارك وتعالى فلا بد في رؤية من رأى من مناسبة بينه وبين المرئي، ولا يصح ذلك إلا إذا صار الحق تعالى بصراً لعبده، فإذا صار بصراً لعبده ذلك رآه لا محالة ويكون ممن رأى الحق بالحق، فالرائي حينئذ عبد والمرئي حق، والمرئي به حق، فما رأى الحق حقيقته غير نفسه من حيث هويته، وهذه أكمل رؤية تكون حيث كانت، فمحمل قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾^(٢) ما إذا لم يكن الحق بصر العبد فتفظن يا أخي لهذه المسألة فإنها دقيقة جداً فإنك تعلم بها أن الله تعالى عبداً عاجلاً لهم رؤيته في الدنيا حين كان بصرهم، وله عباد يرونه في الدنيا بأبصار إيمانهم، وفي الآخرة البرزخية بأعين خيالهم يقظة، ونوماً وموتاً، فعلم [أن]^(٣) من لازم الشهود الحجاب بخلاف الرؤية وإمكان الرائي لا يحيط بالحق تعالى وأنشدوا شعراً:

إذا شهدت فاثبت يا غلام تصح لك المكانة والمقام

(1) في الأصل (التعجيل) والتصويب من ح .

(2) الأنعام آية: 103 .

(3) ساقط من الأصل والزيادة من ح .

إليك إلا بك لا به ، إذ ليس في الوسع أن يطيقه مخلوق ، وتأمل قوله لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَالِيهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾^(١) أتى بضمير الغائب في قوله ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ أي لا تعبده من حيث أنت ، فإنك إن عبدته من حيث عرفته فنفسك عبدت وإن عبدته من حيث لم تعرفه ، فنسبته إلى المرتبة الإلهية عبدت ، وإن عبدته غيباً من غير مظهر ولا ظاهر ولا ظهور بل هو هو لا أنت ، وأنت أنت لا هو فقد عبدته (وهو)^(٢) قوله تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾^(٣) أي ولا تقل (11 / أ) أنت المدرك بالأبصار ، فإن الغيب لو أدرك بها ما كان غيباً ، ولعبد ذاتاً منزهة (مجهولة لا تعرف منها سوى نسبتك إليها بالافتقار لأن من عبد)^(٤) ذاتاً منزهة مدركة فما عبد إلا صورة نفسه في المرأة ، فما فوق معرفة من عبد ذاتاً مجهولة معرفة ، لأنه حينئذ يكون معروفها لا تحديد فيه ، فسبحان من علا في نزوله ونزل في علوه ، ثم لم يكن واحد منهما ، ولم يكن إلا هما ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم .

وقد قدمنا أنه لا يمكن لك أن تحضر مع ربك إلا على قدر ما

(1) هود آية: 123 .

(2) ساقط من الأصل والزيادة من ح .

(3) هود آية: 123 .

(4) ساقط من الأصل والزيادة من ح .

تعطيك مرتبتك لا غير، وإن علمك (بأن الله تعالىه)^(١) يراك أقوى في التنزيه من رؤيتك له لأنك لا تراه إلا بصورة المقابلة والتحديد، وقول من قال بلا تحديد إنما هو تستير على العوام إذ التنزيه لهم أولى لقصورهم عن فهم الأمور على وجهها الواردة في الشريعة، ومن هنا أنكرت المعتزلة الرؤية مطلقاً فردوا الأحاديث والآيات الواردة في الرؤية وما كان (ينبغي)^(٢) لهم أن يقولوا ذلك إلا في رتبة الإطلاق التي هي حضرة الذات، فإن التجلي في رتبة التقييد والتمثيل قد ثبت في الأخبار الصحيحة، واكتفى الحق سبحانه من عباده أن يعبدوه على التخيل دون الرؤية كما مر، وكما مر في قوله ، «إن الله في قبلة أحدكم»^(٣).

ومعلوم أن المصلي لا يرى إلا الحائط والأرض فما بقي إلا التخيل ولا يزال المتخيل مراقباً لما تخيله حتى يقوى وفي الحقيقة ما أمرنا بالسجود للقبلة إلا لكون الله فيها^(٤) ومعها فإذن العبد قبلة للحق

(1) في ح بالله تعالى يراك .

(2) ساقط من ح .

(3) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أبواب العمل في الصلاة باب ما يجوز من البصاق والنفخ في الصلاة رقم (1155) بلفظ «إن الله قبل أحدكم» والدرامي في سننه حديث رقم (1397) بلفظ «إن الله قبل أحدكم إذا كان في صلاته» ولم أجد الحديث الذي ذكره المصنف بلفظ قبلة أحدكم .

(4) هذا الكلام موهوم للتشبيه ويوضحه ما جاء في تفسير الفخر الرازي عند قوله تعالى:

﴿ءَأْمَنُكُمْ مِّنْ فِي السَّمَآءِ أَن يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ الآية رقم /16/ من

تعالى في صلاته كما أن الحق قبلة للعبد.

سورة الملك .

فقد جاء في تفسيره ما نصه: «واعلم أن المشبهة احتجوا على إثبات المكان لله تعالى بقوله ﴿ءَأَمِنُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ والجواب عنه أن هذه الآية لا يمكن إجراؤها على ظاهرها باتفاق المسلمين، لأن كونه في السماء يقتضي كون السماء محيطة به من جميع الجوانب، فيكون أصغر من السماء والسماء أصغر من العرش بكثير، فيلزم أن يكون الله تعالى شيئاً حقيراً بالنسبة إلى العرش، وذلك باتفاق أهل الإسلام محال، ولأنه تعالى قال: ﴿قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾ فلو كان الله في السماء لوجب أن يكون مالِكاً لنفسه وهذا محال. فعلمنا أن هذه الآية يجب صرفها عن ظاهرها إلى التأويل، ثم فيه وجوه: (أحدها) لم لا يجوز = تقدير الآية: أأمنتم من في السماء عذابه، وذلك لأن عادة الله تعالى جارية بأنه إنما ينزل البلاء على من يكفر بالله ويعصيه من السماء، فالسماء موضع عذابه تعالى، كما أنه موضع نزول رحمته ونعمته، و(ثانيها): قال أبو مسلم: كانت العرب مقرين بوجود الإله، لكنهم كانوا يعتقدون أنه في السماء على وفق قول المشبهة، وكأنه تعالى قال لهم: أأمنون من قد أقررتم بأنه في السماء، واعترفتم له بالقدرة على ما شاء أن يخسف بكم الأرض، و(ثالثها): تقدير الآية: من في السماء سلطانه وملكه وقدرته، والغرض من ذكر السماء تفخيم سلطان الله وتعظيم قدرته كما قال: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ فإن الشيء الواحد لا يكون دفعة واحد في مكانين، فوجب أن يكون المراد من كونه في السموات وفي الأرض نفاذ أمره وقدرته وجريان مشيئته في السموات وفي الأرض، فكذا ها هنا، و(رابعها): لم لا يجوز أن يكون مراد قوله ﴿مَن فِي السَّمَاءِ﴾ الملك الموكل بالعذاب، وهو جبريل عليه السلام، والمعنى أن يخسف بهم الأرض بأمر الله وإذنه، وعلى كلام فخر الرازي هذا فقس جميع نصوص الكتاب والسنة الموهمة للتشبيه.

واعلم: أنا قد افترقنا عن عباد الأوثان بأننا وضعنا اسم الإله على مسماه، ونسبنا ما ينبغي لما ينبغي بالإذن، وهم وضعوا اسم الإله لغير المسمى، فأخطؤوا فسمُّوا جهلاء أشقياء، ونحن سُمِّينا علماء سعداء، فنحن عباد الاسم والمسمى وهم عباد الاسم فقط فوق التمييز بيننا (11/ ب) وبينهم و(أيضاً)^(١) فإن التخيل مأذون فيه ولا كذلك الأوثان المحسوسة فعلم أن السجود (وإن كان لله فلا يقع في الحس أبداً إلا لغير الله)^(٢)، لأنه تعالى بكل شيء محيط والجهات كلها نسبتها إلى الحق تعالى، أو نسبة الحق إليها على السواء وإنما كان لا يصح سجود من خرَّ على قفاه وإن كان الحق تعالى خلقه كما هو أمامه، لأن الله تعالى ما راعى إلا وجهة المقيد، بمقابلة العبد كما إنه لم يراع من جهات العبد سوى وجهه.

وقد قرنا غير ما مرة في معنى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾^(٣) أنه ما ثمَّ إلا الله ونحن، وهو من ورائنا محيط، فليس وراء الله إلا لعدم المحض الذي ما فيه حق ولا خلق يتعقل، وفي الحديث «ليس وراء الله مرمى»^(٤)، فكل ما تخيل له وراء فليس هو الله، فهو

(1) في الأصل (أيضاً) والواو من ح.

(2) في الأصل (وإن كان فلا يقع في الحس أبداً إلا لغير الله) وهو خطأ والتصويب من ح.

(3) البروج آية: 20.

(4) أخرجه الإمام مالك في الموطأ حديث رقم (1600) وأخرجه ابن عبد البر في الاستذكار بلفظ آخر قريب منه من حديث عبد الرحمن بن عوف (قال: قال رسول

تعالى محيط بنا، والوراء مناله من كل جهة لازم لنا، فلا نراه أبداً من هذه الحثية لأن وجوهنا إنما هي مقبلة (مصروفة)^(١) إلى نقطة المحيط لأننا منها خرجنا فلم يتمكن لنا أن نستقبل بوجوهنا إلا هي فهي قبلتنا وهي (أماننا)^(٢) ومن كان هذا نعتة والأمر (كروي)^(٣) فبالضرورة يكون الوراء منا للمحيط بنا فإذا نظرنا إلى قوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾^(٤) فإنما نريد بظهورنا لا بوجوهنا فإن مشينا إلى المحيط القهقري فهو من ورائنا المحيط، لأنه الوجود، فلو لم يكن من ورائنا لكان انتهاؤنا إلى العدم ولو وقفنا في العدم ما ظهر لنا عين، فمن المحال وقوفنا في العدم بعد الوجود لأن الله تعالى الذي هو الوجود المحض من ورائنا محيط بنا وإليه تنتهي، فيحول وجوده وإحاطته بيننا وبين العدم، فليس بين قوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾^(٥) وبين قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾^(٦) تناف كما توهم، إذ العالم بين النقطة

الله ﷻ: يا أبا عبد الرحمن ألا أعلمك عوذة كان إبراهيم يعوذ بها بنيه إسماعيل وإسحاق وأنا أعوذ بها الحسن والحسين قال: قلت: بلى يا رسول الله، قال: قل كفى بسمع الله داعياً لمن دعاه لا مرمى وراء الله لرام) 272 / 8.

- (1) في ح (معروفة) والتصويب من الأصل.
- (2) في الأصل (لعامنا) والتصويب من ح.
- (3) في ح (كروي) والتصويب من الأصل.
- (4) النجم آية (42).
- (5) النجم آية (42).
- (6) البروج آية (20).

والمحيط فالنقطة الأول والمحيط الآخر والحفظ (12/أ) الإلهي يصحبنا حيثما كنا فيصرفنا منه إليه والأمر دائرة ما لها طرف يشهد فيوقف عنده، ولهذا قيل للمحمدي الذي له مثل هذا الكشف ﴿يَتَأَهَّلَ يَثْرَبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ﴾^(١) لكون الأمر دورياً، فارجعوا فلا يزال العالم سابحاً في فلك الوجود دائماً إلى غير نهاية هناك ولا يزال وجه العالم أبداً إلى الاسم الأول الذي أوجده (ناظراً)^(٢).

ولا يزال ظهر العالم إلى الاسم الآخر المحيط الذي ينتهي إليه، فإن العالم يرى من خلفه كما يرى من أمامه ولكن يختلف إدراكه باختلاف الحال عليه، ولولا الاختلاف ما كان فرقان، وإذ قد علمت أن جميع الجهات عند المصلي حقيقة قبلة كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿فَأَيُّنَمَا تَوَلَّوْا فَسَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾^(٣) فإياك أن تتوهم أن نفسك قد أحاطت بها الجهات كصورتك الظاهرة ويبقى الحق تعالى في وهمك كالدائرة المحيطة بك، فإن نفسك ليست من عالم الحس، كما ترى نفسك في غير جهة كذلك تشهد الحق تعالى في غير جهة، وأما ظاهرك فإن ما أمرك الحق تعالى بتوجهه إلى جهة الكعبة، (لتجمع همك)^(٤) على المركز فظاهر لظاهر وباطن لباطن، فإن قيل فمن يرى وجه الحق تعالى

(1) الأحزاب آية (13).

(2) في الأصل ناظر والتصويب من ح.

(3) البقرة: (115).

(4) في الأصل (لتجمع وهمك) والتصويب من ح.

في كل جهة، كيف يميز المحذور من غيره؟ قلنا: رؤية الحق تعالى في الباطن رؤية مطلقة غير مقيدة، وليس في عالم الإطلاق تكليف، ولا خطاب بابتلاء فافهم.

وكان شيخنا رحمته الله يقول: كثير العبادة لله تعالى بالغيب أكمل من الشهادة، وعندني أن عين العبادة لله تعالى بالغيب؛ هي عين العبادة له مع الشهود على حد سواء لأن (الإنسان)^(١) كل عابد لا يصح أن يعبد معبوده إلا عن شهود إما بعقل أو ببصيرة، فصاحب البصيرة لولا شهوده بها ما صحت له عبادة، فما عبد إلا مشهوداً غائباً وإن كان (12/ب) يشهد تجليه (في)^(٢) (الصور)^(٣) حتى صار يميزه من خلقه، ويميز خلقه منه، فقد عبده أيضاً على الشهود البصري، ثم لا يكون له ذلك إلا بعد أن يراه بعين بصيرته، فمن جمع بين البصيرة والبصر فقد كملت عبادته ظاهراً وباطناً، ومن قال بحلوله (في)^(٤) الصور فهو جاهل بالأمرين جميعاً وأنشدوا (شعراً)^(٥):

حضورى مع الحق فى غيبتى حضورى به فهو الحاضر
هو الباطن الحق فى غيبتى وعند حضورى هو الظاهر
واعلم أنه لا يلزم من تخيلك الحق تعالى فى قبلك ألا يكون فى

(1) فى الأصل (للإنسان) والتصويب من ح.

(2) (فى) ساقطة من ح.

(3) فى الأصل حروف غير مفهومة وتوضيحها من الهامش.

(4) فى ح فهو.

(5) ساقط من الأصل والتصويب من ح.

قبلة غيرك ، (فيكون غيرك)^(١) يعبد وهمه ، فإنك وإياه على حد سواء
في ذلك ، ولست أولى بالحق منه ، ومن المحال أن يكون الحق تعالى
عند واحد من عبده ، ولا يكون عند آخر ، فإنه سبحانه عند اعتقاد كل
معتقد ، كما أنه من وراء معلوماتهم .



(1) ساقط من الأصل والزيادة من ح .

فصل: دائرة الولاية تتسع باتساع العلم بالله

لا يخفى أن دائرة الولاية في المرأة تتسع باتساع العلم بالله ،
ولذلك كان أكمل (المراثي)^(١) مرآة رسول الله ﷺ ، فإنها حاوية لجميع
مرايا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، (ودونها في الكمال ما كان في
مرآة نبي من الأنبياء)^(٢) ، وذلك لأن تجليه تعالى في مرايا الأنبياء
عليهم الصلاة والسلام أكمل من تجليه في مرايا غيرهم ، لا سيما في
باب الإيمان بما جاءت به الرسل بما (تحيله)^(٣) العقول ، والكامل من
لا يظاً مكاناً (لا يرى فيه قدم)^(٤) الاتباع لرسول الله ﷺ أبداً .

واعلم: أن حظ كل إنسان من النظر إلى الله تعالى في (دار)^(٥)
الآخرة إنما هو على قدر ما عنده من وجوه الاعتقادات ، فإن حصل
على الجميع ، فحظه ما للجميع من (النعيم)^(٦) لكنه نعيم علم لا نعيم
ذوق ، إذ لا يرقى أحد في مرقة أحد ، وإنما للناس الإشراف فصاحب
(13/أ) هذا المشرب يتلذذ بلذة كل معتقد ، فما أعظمها من لذة ،
وأنشد الشيخ محيي الدين شعراً:

-
- (1) في الأصل (المراثي) والتصويب من ح .
 - (2) ساقط من الأصل والزيادة من ح .
 - (3) في ح (تخليه) .
 - (4) في الأصل (ما فيه) والتصويب من ح .
 - (5) في ح (الدار) .
 - (6) في الأصل (النعيم) والتصويب من ح .

عقد الخلائق في الإله عقائدًا وأنا شهدت جميع ما اعتقدوه
لما بدا في صورهم متحولاً قالوا بما شهدوا وما جحدوه
قد أعذر الشرع الموحد وحده والمشركون شقوا وإن عبدوه
ويؤيد هذا ما قدمناه في الكلام على التجلي الأخرى من عدم
إنكار العارفين للحق تعالى في تجلي من التجليات بخلاف غيرهم،
وسمعت شيخنا رحمته الله يقول ليس المانع لنا من رؤية الحق تبارك وتعالى
إلا شدة الظهور الذي هو كناية عن شدة القرب، قال تعالى: ﴿وَمَنْ
أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾⁽¹⁾ وتأمل الهوى لما اتصل بباصر العين لا
تراه، وكذلك الماء إذا غطس الإنسان فيه، وفتح عينيه لا يراه فغاية
القرب حجاب، كما أن غاية العبد حجاب، وكان الجنيد⁽²⁾ رحمته الله يقول

(1) سورة ق آية: 16.

(2) هو الإمام الجنيد الصوفي أبو القاسم بن محمد بن الجنيد الخزاز القواريري الزاهد
المشهور، أصله من نهاود، ومولده ومنشؤه العراق، وكان شيخ وقته، وفريد عصره،
وكلامه في الحقيقة مشهور مدون، وتفقه على أبي ثور صاحب الإمام الشافعي ب،
وقيل بل كان فقيهاً على مذهب سفيان الثوري رحمته الله، وصحب خاله السري السقطي،
والحارث المحاسبي، وغيرهما من جلة المشايخ، وصحبه أبو العباس بن سريج
الفقيه الشافعي، وكان إذا تكلم في الأصول والفروع بكلام أعجب الحاضرون به فيقول
لهم أتدرون من أين لي هذا؟ هذا من بركة مجالستي أبا القاسم الجنيد، وسئل
الجنيد عن العارف فقال: من نطق عن شرك وأنت ساكت، وكان يقول: مذهبنا هذا
مقيد بالأصول والكتاب والسنة، وحضر الجنيد موضعاً فيه قوم يتواجدون على
سماع يسمعون وهو مطرق، فقيل له يا أبا القاسم: ما نراك تتحرك؟ فقال: ﴿وَتَرَى

الخلق حجاب على نفسه لا على الله تعالى والله أعلم.

** ** *

أَجْبَالَ تَحْسَبَهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمْرٌ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ ﷻ ، ورئي يوماً وفي يده مسبحة ،
ف قيل له: أنت مع شرفك تأخذ في يدك مسبحة ، فقال: طريق وصلت به إلى ربي لا
أفارقه ، توفي يوم السبت سنة سبع وتسعين ومائتين ، وفيات الأعيان 373/1 .

فصل: للخلق في مشاهدة ربهم نسبتان

للخلق في مشاهدة ربهم نسبتان: نسبة تنزل إلى الخيال، بضرب من التشبيه، فنسبة التنزيه تجليه في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(١) والنسبة الأخرى في نحو قوله ﷺ: «اعبد الله كأنك تراه»^(٢) وفي قوله ﷺ: «إن الله في قبلة أحدكم»^(٣) وفي قوله تعالى: ﴿فَأَيُّنَمَا تَوَلَّوْا فَجْهَ اللَّهِ﴾^(٤) ومعلوم أن ثم ظرف مكان، وأن (وجهه)^(٥) الله (حقيقة)^(٦)، فالكامل من جمع بين التنزيه والتشبيه، كما سيأتي بسطه في الميزان إن شاء الله تعالى.



(1) الشورى آية: 11.

(2) تقدم تخريجه.

(3) تقدم تخريجه.

(4) سبق بيان موضعها.

(5) في الأصل (وجد) والتصويب من ح.

(6) في الأصل (حقية) والتصويب من ح.

فصل: نور الحق سار في سائر الموجودات

إذا كان الحق سبحانه وتعالى (نوره)⁽¹⁾ سار في جميع الموجودات صح ارتباط الوجود به، ولولا ذلك الارتباط لما ظهر للوجود عين، فالكون مرتبط بالحق تعالى ارتباطاً (13/ ب) لا يمكن الانفكاك عنه لأنه وصف ذاتي له، ومن تجلى له الحق تعالى في هذه الصفة لم يتمكن له العزلة عن شيء من الوجود، فإن النفس إذا أضاءت بالنور (الإلهي)⁽²⁾ أبصرت ارتباطها بربها في كونه وفي كل كون فلم [تر]⁽³⁾ عن تعزل، وكذلك لا يصح لصاحب هذا التجلي الفرار لأنه يشهد أن الذي يفر إليه هو الذي يفر منه على حد سواء، فإن قيل: فكيف أمر الله تعالى بالفرار مع اتحاد العين⁽⁴⁾ قلنا إنما سوّغ الفرار اختلاف النسب، فالنسبة هي التي جعلتك تفر، فيفر العبد من حضرة الاسم (المنتقم إلى)⁽⁵⁾ الاسم المنعم، ومن المذل إلى المعز ونحو ذلك.

واعلم: أن هذا الارتباط الذي أشرنا إليه إنما هو بين الأسماء التي تطلب العالم كالرب والإله والخالق والرزاق (و)⁽⁶⁾ نحو ذلك،

(1) في الأصل (نور) والتصويب من ح.

(2) ساقط من الأصل والتصويب من ح.

(3) في الأصل (تره) والتصويب من ح.

(4) يشير إلى قوله تعالى ﴿فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ الذاريات آية: 50.

(5) ساقط من الأصل والزيادة من ح.

(6) ساقطة من الأصل والزيادة من ح.

وأما ما لا يطلب العالم كالأسماء لله، والأحد، فلا ارتباط له بوجه من الوجوه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(١) أي لغني عن الدلالة عليه من سائر ما اتخذها الناس دليلاً، فإنه ما ثم لنا دليل قط يوصل إلى الله تعالى، لأن الدليل غايته أنه موضوع يدل على واضح وضعه لا على حقيقة واضعه، كما سيأتي بسطه في فصل الهواتف إن شاء الله تعالى، ولو أوجد الله العالم للدلالة عليه لما صح له الغناء عنه، ولكان للدليل فخر على المدلول عليه، لكونه أفاد به أمراً لم يكن للمدلول أن يوصل إليه إلا به، وذلك يبطل الغنى فإن قيل: إذا كان الحق تعالى وراء كل مرمى فالذات الغنية (عن)^(٢) العالمين وراء الله (تعالى)^(٣) قلنا ليس الأمر كما توهمت بل الله تعالى وراء الذات وليس وراء الله مرمى، فإن الذات متقدمة على المرتبة في كل شيء بما هي مرتبته، فكما (نحن نطلب)^(٤) مرتبته لوجود أعياننا كذلك يطلبنا لظهور مظاهره إذ لا (مظهر)^(٥) له إلا نحن ولا ظهور لنا به، (فيه)^(٦) عرفنا أنفسنا وبنا تحقق (14/أ) عين ما يطلبه الإله تعالى، فلا بد للكامل من عينين عين ينظر بها الغنى^(٧) عن العالمين وعدم الارتباط

(1) العنكبوت آية: 6.

(2) في الأصل (وراء) والتصويب.

(3) ليست في الأصل والزيادة من ح.

(4) في ح (نحن نطلب).

(5) في الأصل (ظهر) والتصويب من ح.

(6) في الأصل (فيه) والتصويب من ح.

(7) في ح (الغني).

به ، وعين ينظر بها الارتباط فلا تصح المنافرة أبداً من جميع الوجوه
ومن لم يشهد هذا الارتباط زلت به القدم في مهوات من التلف ،
وعلى ما قررناه ينزل قول بعضهم بصحة الإنس بالحق تعالى ، وقول
بعضهم إنه لا يصح الإنس بالحق لانتفاء المجانسة ، ولهذا كانت الجن
غير إنسية (١).

ثم اعلم أنه لا يلزم من اتصاف الذات بالألوهية وكونها طالبة
لها ، مضاهاة العلة والمعلول ، لأن العلة والمعلول أمران وجوديان
عندهم ، بخلاف الألوهية فإنها نسبة عدمية لا وجودية فافهم ، فالوجود
كدائرة انعطف أبداً على أزليها ، فلم يعقل إله وإلا وعقل معه مألوه ،
ولا عقل رب إلا وعقل معه مربوب ، ولكن لكل معقول رتبة ليست
عين الأخرى ، كما يعلم (٢) أن بين الخاتمة والسابقة تمييزاً معقولاً يقال
عن الواحدة سابقة وعن الأخرى خاتمة ، فإن لم تعرف ربك هذه
المعرفة وتشهد هذا الارتباط ، وإلا فما عرفت ربك أصلاً ، وهذا كله
مأخوذ من قوله تعالى : ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (٣) و﴿مِمَّا﴾ (٤) عَمِلْتَ أَيْدِيَنَا
أَنْعَمًا﴾ (٥) ونحو ذلك فإنه وصل الخلق به وأنشدوا شعراً :

(1) في ح (آنسة).

(2) في ح (نعلم).

(3) سور ص آية: 75.

(4) في الأصل (ما).

(5) سورة يس آية: 71.

العبد مرتبط بالرب ليس له عنه انفكاك يرى فعلاً وتقديراً
الذل يصحبه في نفسه أبداً فلا يزال مع الأنفاس مقهوراً
وأنشدوا أيضاً شعراً:

فالرب والمربوب مرتبطان تُنِّي الوجود به وليس بثان
ما إن رأيت ولا سمعت بمثله إلا الذي قالوه في العُمران
يريدون أبا بكر وعمر، فأبو بكر مختف فلم يظهر له اسم في
العمران وهو ثابت في ضمير الثنية (14/ب) فعلم من هذا التحقيق
أنه ما ثم بيننا وبين الحق تعالى بَوْن معقول أبداً، لارتباط الحضرات
ببعضها، وإنما هو بون مشرع يميز العبد من الرب وانظر إلى نداء
الحق لنا بـ ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾^(١)، فإن (الياء تشعر)^(٢) (بالعبد)^(٣)
وكذلك نحن نقول يا ربنا، ففصل تعالى نفسه عنا كما فصلناه نحن
أنفسنا عنه، ولا حول ولا اتحاد كما سيأتي بسطه في الميزان، فكل
من لم يميز (الخلق من الحق)^(٤) فهو في حيرة ما يدري ما يعبد،
وقد سئل رسول الله ﷺ أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق؟ فقال
«كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء»^(٥)، وما نافية لا موصولة

(1) البقرة آية: 20.

(2) في ح (اليائية مشعر).

(3) في ح (بالعبد).

(4) في ح (الخلق من الخلق).

(5) أخرجه الترمذي - كتاب التفسير - باب من سورة هود حديث رقم (3221) وأخرجه

بمعنى الذي ، فالعلماء أول رتبة تميز الحق بها عن خلقه ، وهو أول موصوف قبل (كينونية)^(١) الحق تعالى فيه ، فهو برزخ بين الحق والخلق ، وقد قررنا غير ما مرة في معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لو دليتم بحبل لهبط على الله»^(٢) إن كل جوهر في (عالم)^(٣) العلوي والسفلي (مرتبط)^(٤) بحقيقة الإلهية ، لأن الحق تعالى من حيث ذاته لا يتصف بالتحيز ، فهو تعالى مستو^(٥) على العرش ، ولو

أبو داود - كتاب السنة - باب في الجهمية حديث رقم (4715) وابن ماجه في الإيمان باب فيما أنكرت الجهمية (182) وأحمد في المسند (16233).

- (1) في ح (كينونة).
- (2) أخرجه الترمذي في سننه حديث رقم (3298) وقال عنه حديث غريب من هذا الوجه وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد في كتاب الإيمان باب في بعض صفات الله عز وجل حديث رقم (283) وعزاه لأحمد وللترمذي ، وقد ذكر الترمذي عقب حكمه على هذا الحديث أن بعض أهل العلم قد فسر هذا الحديث فقالوا: إنما هبط على علم الله وقدرته وسلطانه ، علم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان وهو على العرش كما وصف في كتابه .
- (3) وانظر أيضاً في تفسيره هذا الحديث كتاب تحفة الأحوزي شرح سنن الترمذي للمباركفوري ج 9 ص 132 ، وكتاب عارضة الأحوزي شرح سنن الترمذي لأبي بكر العربي ج 16 ص 183 ، ففيهما كلام نفيس في شرح هذا الحديث .
- (4) في ح (العالم).
- (5) في الأصل (مرتبطة) والتصويب من ح .
- (6) هذه اللفظة لم ترد في كتاب ولا سنة ، ولذلك من الأفضل أن نتقيد بالنص وبخاصة في الأمور المتعلقة بذات الحق تعالى ، فالأولى أن نقول إن الرحمن على العرش استوى .

دلى أحد بحبل من العرش لهبط على الله .

وفي بعض الآثار أن أربعة أملاك اجتمعوا عند الكعبة، واحد
(نزل) (١) من السماء، وآخر (صعد) (٢) من الأرض، وآخر من ناحية
المشرق، وآخر من ناحية المغرب فسأل كل واحد منهم أصحابه فكلهم
(قال) (٣) جئت من عند الله (٤)، ويؤيده حديث: «إن الله احتجب عن
العقول كما احتجب عن الأبصار، وإن الملائكة الأعلى ليطلبونه كما
تطلبونه» (٥) وأنشدوا في ذلك شعراً:

إذا حط الولي فليس إلا عروج وارتقاء في علو
فإن الحق لا تقيده فيه ففي عين النوى عين الدنو

*** ** **

(1) في ح (نازل).

(2) في ح (صاعد).

(3) في الأصل (قالوا) والتصويب من ح.

(4) لم أقف على هذا الأثر.

(5) لم أجده في المصادر الحديثية المتوفرة بين يدي و(كما تطلبون) ناقص من ح.

فصل: العارفون بالله تعالى عرفوا الحق بالحق

العارفون بالله تعالى عرفوا الحق تعالى بالحق، وغيرهم (عرف)^(١) الحق تعالى بنظره وفكره (15/أ) فمن عرف الحق تعالى بالحق رآه تعالى في كل شيء، أو مع كل شيء، أو عين كل شيء، على حسب (المشاهدة)^(٢) ومن عرفه بفكره شهده منعزلاً عن العالم، ببعده اقتضاه نظره، فيناديه الله (تعالى)^(٣) من مكان بعيد.

وقد ذكرنا في العقائد الكبرى: أن مرتبة العقول العلم بالله تعالى^(٤)، لا المعرفة به، وبين العلم والمعرفة بون بعيد، إذ المعرفة متوقفة على شهود صفات المعروف، وهذا لا يدرك بالعقل، وإنما القلب السليم يدرك ذلك ثم يفيض على العقل بقدر ما يقبله، فصاحب القلب مساو لصاحب الكشف من نبي وكامل، فحظ كل عاقل من العلم بالله تعالى علمه بوجود الحق ووحدانيته لا غير^(٥)، وإلا فكيف يريد عبد معرفة الحق تعالى بعقله، وما ثم من يقع عليه عين، ولا من يضبطه خيال، ولا من يحده زمان، ولا من تعدده صفات وأحكام، ولا من تكفيه أحوال ولا من تميزه أوضاع، ولا من تظهره إضافة، فكيف يعرف العقل

(1) في الأصل (عرفوا) والتصويب من ح.

(2) في ح (المشاهدة).

(3) من ح.

(4) أي العلم بصفاته تعالى.

(5) لحن ابن هشام في كتاب المغني من يقول: لا غير، والصواب ليس غير.

من لا يقبل هذه الصفات؟

وشرط المعرفة أن ترفع الخيال من القلب .

وقد ذكرنا في كتابنا الجواهر والدرر: أن العلم بأمر لا يكون إلا بمعرفة قد تقدمت قبل هذه المعرفة بأمر آخر، يكون به بين المعروفين مناسبة لا بد من ذلك، وقد ثبت بالأدلة أنه لا مناسبة بين الله وبين خلقه، لا جنساً، ولا نوعاً، ولا شخصاً، فليس لنا علم متقدم بشيء حتى ندرك به ذات الله .

*** ** **

فصل: نفى العلماء الجسم والجواهر والعرض عن الله

قد نفى العلماء ي الجسم والجواهر والعرض^(١) في جانب الحق تعالى، غير أنه يشترك الحق تعالى مع كون من الأكوان (15/ب) في حال من الأحوال أو في عين أو نسبة، فكان مقصودهم (أن يلحقوا الأعيان بمطلق العدم وهذا هو المقام الذي يشير إليه الباطنية فإنك)^(٢) إذا قلت لهم: الله موجود، فيقولون: ليس بمعدوم، فإذا قلت لهم: الله حي، فيقولون: ليس بميت، فإذا قلت لهم: الله قادر، فيقولون: ليس بعاجز، يجيبون دائماً بالسلب خوفاً من مشاركة الخلق (للحق تعالى)^(٣) في ثبوت الوجود والحياة والقدرة ونحو ذلك.

فإن قيل: فهل يكون علم المنزه للحق؟ أن الحق تعالى ليس كذا (علم)^(٤) بالحق تعالى أم لا؟ قلنا: ليس ذلك علماً به، إنما هو نعتك المحدثه، جردته تعالى عنها حين ظننت لحقوقها به فتميزت أنت عندك عن ذات مجهولة لك من حيث ما هي معلومة بنفسها، وما تميزت هي لك فتأمل، والحق الذي نعتقه عموم التجلي الإلهي في

(1) الجوهر: عند الفلاسفة ما قام بنفسه، ويقابله العرض: وهو في علم المنطق ما قام بغيره فهو ضد الجوهر، كالبياض والطول والقصر (المعجم الوسيط: مادة: جوهر وعرض).

(2) ساقط من الأصل والزيادة من ح.

(3) ساقط من الأصل والزيادة من ح.

(4) في ح (علما) وهو خطأ نحوي لأنها خبر كان.

سائر الوجود لأنه لا يكون إلا على صورة أمزجة العالم، ولذلك عبد كثير من دون الله من نار، ونور، وملائكة، وعجل، و(شجرة)^(١) وكواكب وغيرها، ومن أقام ميزان الشرع بيده ميز ما أذن الله فيه، مما لم يأذن، وسبب دخول اللبس على الناس: كون الحق تعالى وصف نفسه بصفات الخلق، ووصف الخلق (بصفات نفسه)^(٢)، وإن كان الأصل في صفات الحق الكمال الذاتي؛ الذي لا يقبل وصفًا من نعوت المحدثات، فلما تداخلت الصفات الإلهية والكونية، التبس الأمر وحينئذ لا يخلو إما أن تكون هذه الصفات في جنبه تعالى حقًا ثم (نعتناه بها)^(٣)، (وإما)^(٤) أن تكون لنا حقًا، ونعت هو نفسه بها (توصيلًا)^(٥) لنا، وخبره تعالى بها صدق لا كذب، فإن كنا الأصل فهو تعالى (مُكْتَسِب)^(٦) وإن كان هو الأصل فقد (أُكْسِبنا)^(٧) إياها.

قال شيخنا^(٨) رحمته الله: وهذه من أغمض المسائل في باب العلم بالله عز وجل، فإنه أضاف إليه نعوت المحدثات، بإخبار قديم أزلي،

-
- (1) في ح (شجر).
 - (2) في الأصل (بصفاته).
 - (3) في ح (نعتنا بها).
 - (4) في ح (أو).
 - (5) في ح (توصيلًا).
 - (6) في الأصل حروف مقطعة غير واضحة، والتوضيح من الهامش.
 - (7) في ح (كسبنا).
 - (8) يقصد بشيخنا رحمه الله علي الخواص، وصدق الشيخ في قوله هذا فإن المسألة شائكة وغامضة جدًا.

فمنها ما أشار (إليه)^(١) في أخباره بأنه (مكتسب)^(٢) لبعضها مثل قوله تعالى: ﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾^(٣) ومنها ما ذكره ولم يقيدَه (16/ب) (باكتساب)^(٤) ولا غيره، والتحقيق في ذلك أن الصفات الإلهية على قسمين؛ صفة إلهية تقتضي التنزيه؛ كالكبير والعلي، وصفة إلهية تقتضي التشبيه؛ كالمتكبر والمتعالى، ونحو ذلك مما (وصف)^(٥) الحق تعالى به نفسه، مما يتصف به العبد فمن جعل ذلك نزولاً إلينا جعل الأصل للعبد، ومن جعل ذلك للحق صفة إلهية لا تعقل نسبتها إليه، كان العبد في اتصافه بها (موصوفاً)^(٦) بصفة ربانية في حال عبوديته فيكون جميع صفات ولا نحن كما مر، فالأمر في هذه المسألة على ما مهّدناه، هين (المأخذ)^(٧) قريب التناول فلا يهولنك ذلك، فإذا كان الحق تعالى هو الناطق وأنت السامع، فإن نازعك أحد في ذلك فليكن جوابك له أنا ما قلته هو، قال ذلك عن نفسه وهو أعلم بما نسبه إلى نفسه، ونحن مؤمنون به على حد علم الله فيه، وهذه أسلم العقائد فمن كشف

(1) في ح (به).

(2) في الأصل حروف مقطعة غير واضحة، والتوضيح من الهامش.

(3) سورة محمد آية: 31 ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوا أَعْبَارَكُمْ﴾.

(4) في الأصل حروف مقطعة غير واضحة، والتوضيح من الهامش.

(5) في ح (وصف به).

(6) في ح (موصوف).

(7) في الأصل (المأخوذ) والتصويب من ح.

له الحق تعالى صورة تلك النسبة كان على علم من الله (فيها) ^(١) ذوقاً
ومشرباً، ولولا [هذا] ^(٢) [الامتزاج والارتباط] ^(٣) ما صح أن (16 /
ب) يكون الإنسان والحيوان من نطفة أمشاج ^(٤) فأظهر الكل بالكل،
وضرب الكل بالكل فظهرنا [له به] ^(٥) من وجه وما ظهر هو بنا لأنه
الظاهر ونحن على أصلنا، فسبحان الأعلى المخصوص بالأسماء
الحسنى والصفات العلاء، فالإنسان ظلوم بما غضب من هذه الصفات
من حيث جعلها لنفسه حقيقة، جهول بمن [هي] ^(٦) له، وبأنها غضب
في يده، ومن أراد أن يزول عنه وصف [الظلوم] ^(٧) والجهول فليرد
الأمانة إلى أهلها، والأمر المغصوب إلى صاحبه.

واعلم يا أخي أن [من] ^(٨) هذا الالتباس ظهر القائلون بالاتحاد
لأن الاتحاد عبارة عن تلبس العبد بالدعوة لصفة الرب وذلك في غاية

-
- (1) الزيادة من ح.
 - (2) في الأصل (هذه) والتصويب من ح.
 - (3) في ح [الارتباط والامتزاج].
 - (4) أمشاج: أي أخلاط.
 - (5) في ح [به له].
 - (6) ليست في الأصل والزيادة من ح.
 - (7) في الأصل [الظالم] والأصح ما جاء في ح لمناسبة هذه الكلمة للآية الكريمة
﴿وَمَلَأَ الْإِنسَانَ نِفْتًا ۖ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ الأحزاب آية: 62.
 - (8) ساقط من ح.

الجهل، [و] ^(١) لا يصح تلبس العبد بصفة الحق أبداً كما سيأتي بيانه في فصل الاتحاد الآتي قريباً، ومن هنا جهل المحققون من قال من الصوفية: (نبغي التشبه بالإله جهد الطاقة، لأن [التشبيه] ^(٢) في نفس الأمر لا يصح لأن كل من قامت به صفة فهي له وهو مستعد لقيامها به بالتقدم والتأخر، وكون الصورة واحدة فلما رأوها في المتقدم، ثم رأوها في المتأخر، قالوا: إن المتأخر تشبه بالمتقدم وما علموا أن [حقيقتها في المتقدم] ^(٣) حقيقتها في المتأخر ولو كان الأمر كما قالوا لزاحمت العبودية الربوبية، ولبطلت الحقائق، فما [تحلى] ^(٤) عبد إلا بما هو له، ولا ظهر الحق تعالى إلا بما هو له سواء كان من صفات التنزيه أو [من] ^(٥) صفات التشبيه كل ذلك له تعالى، ولو لم يكن الأمر كذلك لكان [ما] ^(٦) وصف نفسه به من ذلك كذباً تعالى عن ذلك بل هو كما وصف نفسه من العزة والكبرياء والجبروت والعظمة ونفي المماثلة وهو تعالى أيضاً كما وصف نفسه من النسيان والمكر والخداع والكيد (17/أ) وغير ذلك، [فالكل] ^(٧) صفة كمال [لله] ^(٨)

-
- (1) في ح [وإذ].
 - (2) في ح [التشبه].
 - (3) ناقص من الأصل والزيادة من ح.
 - (4) في ح [تجلى].
 - (5) الزيادة من ح.
 - (6) في الأصل (كما) والتصويب من ح.
 - (7) في الأصل [في الكل] والتصويب من ح.

تعالى، كما يليق بجلاله، فما قال بالتشبيه إلا من لا معرفة له بالحقائق، فإنه محال في نفس الأمر كما مر، وكذلك كنا نقول به لولا أن الله تعالى من علينا، فتعين [لنا]^(٢) أن نبين للخلق ما بيّنه الله لنا مما ينفعهم ولا يضرهم، وهكذا أخذ [العهد علينا]^(٣) أن نبين الأمر لكل من له استعداد يقبل به الحق، فإن لم يكن له استعداد كتمناه عنه، فيكون هو بحكم ما يتخيّل، ونحن نعلم ما نعلم، قال تعالى: (ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون)^(٤) فالحمد لله رب العالمين.

وقد علمت من تداخل الصفات الكونية والإلهية، كما مر عذر من قال ما رأيت إلا الله، ومن قال ما رأيت إلا العالم، ومن قال ما رأيت شيئاً في الوجود ثابتاً، لكثرة التجليات، وسرعة الاستحالة، [فهم]^(٥) كلهم صادقون وقد قلت مرة لشيخنا رحمته الله: ما معنى قول بعضهم: ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله، كيف صح له [ذلك]^(٦) وهو يتعقل أن العالم غيره؟ وأنه ثابت؟ فقال رحمته الله: صاحب هذا المشهد يرى الحق عياناً، والخلق إيماناً، والله أعلم.

(1) في الأصل [الله] والتصويب من ح.

(2) في ح [علينا].

(3) في ح [علينا العهد].

(4) الأنفال آية: 23.

(5) الزيادة من ح.

(6) الزيادة من ح.

** ** *

فصل: من رحمة الله تنزله في التمثيل والتقيد

من رحمته تعالى بنا تنزله في حضرة التمثيل والتقيد إلينا وإلى عقولنا يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾^(١) حتى رآته أبصارنا الباطنة بمساعدة الحس المشترك، وتعبت الأحكام في هذا التجلي الخاص، وعرفناه بذلك [ولو]^(٢) أنه تعالى لم يتنزل إلينا لكانت النسب كلها مرفوعة كما هو الأمر عليه، وكان ليس كمثلته شيء، ولم يصح لأحد في الدارين معرفته، فعلم أنه لو لم يصف نفسه بنعوتنا ما عرفناه [ولو لم ينزه نفسه كذلك عن نعوتنا ما عرفناه]^(٣) فهو تعالى المعروف بالحالين والموصوف بالصفتين، ولكن من الأدب أن ترد عليه ما هو له وتأخذ ما وصفك به مما تنزهه هو عنه، فإياك أن تنزهه عن شيء وصف به نفسه، فتلحق (17/ب) به تعالى النقص وذلك لأن ظهور كماله تعالى إنما هو بالتنزل، فهو تنزيه في حقه تعالى فإياك أن [تؤول]^(٤) ذلك فتسيء الأدب، وربما جرك ذلك إلى التنزيه المطلق حتى تصير غير قابض في مقعدك على مركز، فتدخل حضرة الشك في الله، وينقص علمك بالله بقدر ما نزهته عنه بعقلك فتحفظ من ذلك.

(1) يشير إلى قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ الأعراف آية: 172.

(2) في ح [ولو لا].

(3) ساقط من الأصل والزيادة من ح.

(4) في ح [تقول].

فصل: كل علم لا يزيل من قلبك كل شبهة لا يسمى علماً

كل علم لا يزيل من قلبك كل شبهة لا يسمى علماً، وما طلب الحق تعالى من عباده إلا أن يعلموا ﴿أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَحْدٌ﴾^(١)، لا أنهم يظنون ذلك، فمن كان إيمانه تقليداً جزماً، كان أعصم وأوثق ممن أخذ إيمانه [من]^(٢) الأدلة، وذلك لما يتطرق إليها إذا كان [حاذقاً فطناً]^(٣) من الحيرة والدخل في أدلته وإرادته والشبه عليها، فلا يثبت له قدم ولا ساق يعتمد عليها، وكثير ما يأتي هذا الحق الصريح فيرده لكونه [جاءه]^(٤) من غير طريق معتقده الذي زين له في قلبه.

ثم اعلم أن غاية ما تعطيه الأدلة بعد إمعان النظر الظن لا اليقين، وكل من أقام في نفسه معبوداً يعبد على الظن لا على القطع خانه ذلك الظن، ولم يغن عنه من الله شيئاً، لأن أهل الظن [لا يعذرون]^(٥) في مواطن وجوب العلم، وقد قرن الله السعادة والنجاة بالإيمان بما جاء من [عنده]^(٦) على السنة رسله، فالسعيد من وقف عند ذلك لا يتعداه

(1) يشير إلى الآية: 52، من سورة إبراهيم ﴿بَلِّغْ لِلنَّاسِ لِيُسْتَذَرُوا بِهِ ۚ وَيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ

إِلَهُ وَحْدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو أَلْبَابٍ ۚ﴾

(2) في ح [عن] .

(3) في الأصل [حافظاً] والتصويب من ح .

(4) في ح [جاء] .

(5) في الأصل [لا يقدر] والتصويب من ح .

(6) في الأصل [عندك] والتصويب من ح .

والله غفور رحيم.

فصل: كل الناس قائلون بالاتحاد وهماً لا حقيقةً

ما بقي أحد من الخلق إلا قال بالاتحاد فما سلم منه أحد، لا سيما العلماء بالله الذين علموا الأمر على ما هو عليه من شدة الوصلة والقرب كما أنشد بعضهم (شعراً)^(١)

عجبت منك ومني أشغلتني بك عني
أدنيني منك حتى ظننت أنك أني

لكن منهم من قال به عن أمر إلهي [ومنهم من قال به بما أعطاه الوقت والحال]^(٢)، ومنهم (18/أ) من قال به ولا يعلم أنه قال به، فهم مختلفون في الأحوال، وقد أحال الاتحاد أصحاب النظر العقلي لأن عندهم تصوير الذاتان ذاتاً واحدة وذلك محال في العقل، وأما أصحاب الكشف فإنما قالوا به لأنهم يرون ذاتاً واحدة لا ذاتين، ويجعلون الاختلاف في النسب والوجوه، والعين واحدة [في الوجود]^(٣)، والنسب عدمية، وفيها - يعني النسب - وقع الاختلاف، فإن الذات الواحدة تقبل الضدين من نسبتين مختلفتين، كما قال تعالى ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾^(٤) وقال: إنه القائل على لسان عبده:

(1) الزيادة من ح .

(2) ساقط من الأصل والزيادة من ح .

(3) ساقط من ح .

(4) التوبة آية: 6 .

«سمع الله لمن حمده»^(١) وقال في الحديث القدسي عن أبي هريرة رضي الله عنه: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»^(٢)

وغير ذلك، قولاً شافياً لأنه ذكر أحكامها فقال: سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها [إلى آخر النسق]^(٣) ومعلوم أنه [يسمعه بسمع]^(٤) أو بذاته، وعلى كل حال فقد جعل الحق هويته عين سمع عبده وبصره ويده رجله، فإما يريد ذات العبد، وإما صفته وإما نسبته، فهذا هو قول الحق الذي لا يمتري فيه أصحاب العقول فمن اتحاد الملك قوله مع علمه بذلك:

-
- (1) كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري في كتاب الجماعة والإمامة، باب إنما جعل الإمام ليؤتم به رقم (658) ومسلم كتاب الصلاة باب استحباب رفع اليدين حذو المنكبين مع تكبيرة الإحرام والركوع رقم (391).
- (2) الحديث: أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب التواضع رقم (6137) وابن حبان في صحيحه رقم (347) والبيهقي في سننه الكبرى رقم (6188) وبرقم (20769)، وذكره السيوطي في كتابه الجامع الصغير في المجلد الثاني تنمة باب الألف حديث رقم (1752).
- (3) ساقط من الأصل والزيادة من ح.
- (4) في ح (بسمعه يسمع).

﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾^(١) فأضاف الفعل للتسبيح لنفسه
والرسول كذلك يقول ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾^(٢) ومن الناس
يقول: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَاغِرَةِ﴾^(٣)، [أضافوا]^(٤) القول
لأنفسهم والسموات والجبال تأبى وتشفق من حمل الأمانة وتقول: أتينا
طائعين، وتضيف الإتيان لنفسها فما في العالم إلا من نسب الفعل إلى
نفسه دون الله، مع علم العلماء أن الفعل لله لا لغيره ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا
تَعْمَلُونَ﴾^(٥).

وغيرَ الناس كون الحق تعالى أضاف العمل والقول لهم، وفاتهم أن
الإضافة سائغة من نسبتين (18/ب) مختلفتين فالله تعالى خالق العمل
وموجده، والعبد مظهره، إذا كان العمل لا يظهر إلا في جسم، فمن
إضافته تعالى الأمر حكاية [قول]^(٦) الهدهد لسليمان عليه السلام:
﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾^(٧) يعني من العالم: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا
النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا

(1) البقرة آية: 30.

(2) المائدة آية: 117.

(3) النازعات آية: 10.

(4) في الأصل [أضاف] والتصويب من ح.

(5) الصافات آية: 96.

(6) ساقط من الأصل والزيادة من ح.

(7) النمل آية: 22.

يَشْعُرُونَ ﴿١﴾ ، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ﴾ ﴿٢﴾
 وقال عن الجلود: ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ
 الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ﴿٣﴾ ، وقال: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِيحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا
 تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ ﴿٤﴾ فما ترك شيئاً من المخلوقات إلا وأضاف الفعل
 إليه ، وهذا المقام لا يتمكن لمن دخله أن يرأس عليه أحد من جنسه ،
 ولا أحد من المخلوقين ، فإن الأمر واحد في نفسه ، والواحد لا يرأس
 على نفسه ، وهو مقام عزيز العالم كله واقع فيه ولا يعلمه إلا
 أهل الشهود ، ولكن من الأولياء من ستر الاتحاد بألفاظ لا يفهمها إلا
 الأكابر ، ومنهم من كشف ذلك لحال غلب عليه ، [فممن] ﴿٥﴾ ستر ذلك
 سيدي علي وفا عليهما السلام فقال مخرجاً ذلك في قالب لسان الحق تعالى نظم:

إن كنت تنظر في المراتب صورتي

فأنا الذي لك في المشاهد شاهد

إذا نظرت [في] ﴿٦﴾ الحقيقة ذاتنا

فأنا وأنت هناك شيء واحد

(1) النمل آية: 18 .

(2) النور آية: 24 .

(3) فصلت آية: 21 .

(4) الإسراء آية: 44 .

(5) في الأصل [فمن] والتصويب من ح .

(6) في ح [على] .

وقال عفا الله عنه:

إذا ما كان قصدك عين قصدي فذاك دليل صدقك في الوداد
وعلمك أن كل الأمر أمري هو المعنى المسمى باتحاد
وقال رحمه الله:

هو أول وهو آخر .. وهو باطن وهو ظاهر .. وهو غير ومغاير
وهو مشهود وشاهد .. واحد في كل حال .. يتجلى بمثال
متدان متعال .. صدرت عنه موارد

وقال عليه السلام: (19 / أ)

قال لي كل [التمني] (1)
يا علي أنت سمائي أنت هو التعمير عني
قل وطل لا تتكلم أنت أرضي أنت شاني
أنت بيتي أنت عرشي بح وصرح لا تكني
أنت فرشي أنت أني
وقال أيضاً:

ذواتنا وجوده .. وغيبنا شهوده .. غيب ونحن عينه .
مراده مريده .. فالكل نحن يا فتى .. لأننا حدوده .
والكل هو بلا مرا .. إن أطلقت قيوده .. ما ثم إلا واحد عدده
معدوده .

وممن كشف ذلك سيدي عمر بن الفارض (2) عليه السلام فقامت عليه

(1) في ح [التمني].

(2) عمر بن الفارض هو أبو حفص عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي ، كما

القيامة فقال:

جلت في تجليها [الوجود]^(١) [لناظري]^(٢)

ففي كل مرئي أراها برؤيتي

فوصفي إذا لم تدعو باثنين وصفها

وهيئتها إذ واحد [نحنن]^(٣) هيئتي

اجتمعوا على أنه حموي الأصل مصري المولد والدار والوفاة، وأنه كان يعرف بابن الفارض، وينعت بشرف الدين، وفيات الأعيان (383/1) وقال ابن العماد: «إن مولد ابن الفارض كان في ذي القعدة سنة (566هـ) وأن وفاته كانت في جمادى الأولى سنة (632هـ) عن ست وخمسين سنة إلا شهراً (النجوم الزاهرة: 3/ 129) ونشأ ابن الفارض تحت كنف أبيه في عفاف وصيانة وعبادة وديانة بل زهد = وقناعة وورع، أسدل عليه لباسه وقناعه، فلما شب وترعرع اشتغل بفقهِ الشافعية وأخذ الحديث عن ابن عساكر وعن الحافظ المنذري وغيره ثم حُبب إليه الخلاء وسلوك طريق الصوفية فتزهد وتجرد» شذرات الذهب (5/ 149).

وقال سبط ابن الفارض فيما رواه على لسان جده حيث يقول: «كنت في أول عهدي بالتجريد أستاذن والدي وأطلع إلى وادي المستضعفين، وآوي فيه وأقيم في هذه السياحة ليلاً ونهاراً ثم أعود إلى والدي لأجل بره ومراعاة قلبه، وكان والدي يومئذ خليفة الحكم للعزیز بالقاهرة ومصر المحروستين وكان من أكابر أهل العلم والعمل، وكان يسر برجوعي إليه ويلزمني بالجلوس معه في مجالس الحكم ومدارس العلم، ثم أشتاق بعد هذا إلى التجريد فأعود للسياحة وما برحت أفعل ذلك مرة بعد مرة إلى اعتزال والدي الناس، فعاودت التجريد والسياحة وسلوك طريق الحقيقة، ديباجة الديوان، ص (40).

(1) في ح [الوجود].

(2) في الأصل [بناظري] والتصويب من ح ومن ديوان ابن الفارض.

(3) في ح [نحنو].

وإن نطقت كنت المناجي كذلك
إن قصصت حديثاً إنما هي قصتي
[فقد]^(١) رفعت تاء المخاطب بيننا
وفي رفعها عن فرقة الفرق رفعة
فإن لم يجوز رؤية اثنين واحدا
حجال ولم يثبت لبعده تثبت
سأجلو إشارات عليك خفية بها
.....كعبارات لديك جلية
واثبت بالبرهان قولي ضاربا
مثال محقق والحقيقة عمدتي
بمتبوعة ينيك [الصرع]^(٢) غيرها
على فمها في مسها حيث جنت
(19/ب) ومن لغة تبدو بغير لسانها

فإن دعيت كنت المجيب وإن أكن
[منادي]⁽¹⁾ أجابت من دعاني ولبت

-
- (1) في ح [مناداً].
(1) في ح [قد].
(2) في ح [الصرح].

عليه براهين الأدلة صحت
وفي العالم حقاً إن [مبدا] ⁽¹⁾ غريب ما
سمعت سواها وهي في الحسن تبدت
فلو واحداً أمسيت أصبحت واحداً
منازلة ما قلته عن حقيقة
ولكن على الشرك الخفي عكفت لو
عرفت بنفس عن هدى الحق ضلت
كذا كنت حيناً قبل أن يكشف الغطا
من اللبس لا أنفك عن ثنوية
أروح بفقـد بالشـهود مؤلـفي
وأغدو بوجد بالوجود مشـتتي
يفرقني لبي التزاماً بمحضري
ويجمعني سـلبي اصطلاحاً بغـيـبتي
نفي الصحو بعد المحو لم أك غيرها
وذااتي بذاتي إذ تحللت تجللت
أخال حضيضي الصحو والسكر معرج
إليها ومحوي منتهى قاب سدرتي

(1) في ح [مبدا].

فلما جلوت العين عني اجتليتنني
مفياً فمتى العين بالعين قرّت
فمن بعد ما جاهدت شاهدت مشهدي
وهادي لي إياي بل بي قدوتي
وبي موقفي لا بل إلي توجهي
ولكن صلاتي لي ومني كعبتي
ففارق ضلال الفرق فالجمع منتج
هدى فرقة بالاتحاد تحدث (١)

والششتري (٢) رحمه الله، فله في ذلك النظم الكثير بل كل أشعاره

(1) انظر هذه الأبيات في ديوان ابن الفارض تحت عنوان (التائية الكبرى المسماة بنظم السلوك) من صفحة 23 إلى صفحة 68، المطبعة الحسينية بالقاهرة وللشيخ عبد الغني النابلسي شرح طويل لهذه القصيدة في جزء مستقل فمن أراد المزيد من معاني هذه القصيدة فليرجع إلى هذا الشرح.

(2) الششتري: قال عنه ابن العماد: والحاصل أنه اختلف في شأن صاحب الترجمة وابن عربي والعفيف التلمساني والقونوي وابن هود وابن سبعين وتلميذه الششتري من الكفر إلى القطبانية وكثرت التصانيف من الفريقين في هذه القضية ولا أقول كما قال بعض الأعلام سلم تسلم والسلام بل أذهب إلى ما ذهب إليه بعضهم... وقال ابن بطوطة في رحلته: ولقينا رجلاً صالحاً معمرًا يسمى بأبي الششتري ذكروا أن عمره يزيد على مائة وخمسين سنة وله قوة وحركة وعقله ثابت وذهنه جيد دعا لنا وحصلت لنا بركته (1/ 3221) وجاء في نفح الطيب أنه: أحد المشايخ المشهورين بسعة العلم وتعدد المعارف وكثرة التصانيف ولد سنة (614) ودرس

في الاتحاد إلى آخر ما ذكر رحمه الله تعالى فمنه قوله:
إياك لا تنظر اثنين لا تتبع الغلط أنت هو فقط
ومنه قوله:

وليس ثم فرد سوى بعينه عين الكثير فلا تلوي على أحد
إن هؤلاء القائلين بالاتحاد كلهم لم يصح لهم اتحاد قط إلا بالوهم
وانظر كلامهم تجده (20/ أ) من أوله إلى آخره لا يبرح من الثنوية فإنه
لا بد [من] ⁽¹⁾ مخاطب ومخاطب، وتأمل قول الششتري: إياك لا
تنظر اثنين فنفس قوله إياك يقتضي الثنوية ويحكم [عليه] ⁽²⁾
بها.

ولذلك ذهبنا إلى خلافهم وغاية أحدهم أن يقول [أحدهم] ⁽³⁾ أنا
هو فمدلول أنا خلاف مدلول هو فتأمل.

*** ** **

العربية والأدب بالأندلس ونظر في العلوم العقلية (2/678).

- (1) ساقط من ح.
- (2) ساقط من الأصل والزيادة من ح.
- (3) ساقط من الأصل والزيادة من ح.

فصل: العارف لا يقدر توصيل علمه بربه بغيره

إنما كان كل عارف لا يقدر أن يوصل إلى غيره صورة علمه بربه ، لأن كل عارف شهد من لا مثل له ، وما تجلى لعبد بصورة ما تجلى به لعبد آخر جملة واحدة ، بل نقول تجليه لذات واحدة لا يتكرر أبد الأبدين ، فلاهل الله في كل تجل علم جديد بالله عز وجل وإذا كان كل عارف شهد من لا مثل له فكيف يصح له [إيصال]⁽¹⁾ علمه إلى آخر والتواصل لا يكون أبداً إلا بالأمثال فلو وقع التجلي لاثنين معاً في صورة واحدة لاصطلاحها عليها بما شاء ، ونحن نعلم أن الباري سبحانه وتعالى ليس كمثل شيء ، فمن المحال أن يضبطه اصطلاح ، لأن الذي يشهده منه شخص ما هو عين ما يشهده شخص آخر جملة واحدة .

فلذلك كانت عقائد جميع الخلق لا يصح ذوقها إلا لأصحابها وأما غير أصحابها فإنما لهم اطلاع على ما [أسندت إليه]⁽²⁾ عقائد غيرهم فقط ، وذلك علم لا ذوق ، والأذواق كلها لا [تضبطها]⁽³⁾ عبارة ولا يصح تحديدها بحد ، لأن صاحبها يعجز عن التعبير عنها فلو قيل للإنسان كيف تخشع بين يدي ربك مثلاً ، لا يقدر أن يوصل

(1) في الأصل [علمه] والتصويب من ح .

(2) في ح [استندت عليه] .

(3) في ح [تضبطه] .

حقيقة ذلك إلى السائل ولو قيل لمن ذاق عسلًا كيف [يطعمه] (١) لا
يقدر على التعبير عنه وأنشدوا [شعرًا] (٢).

العلم بالكيف مجهول ومعلوم فالخلق إذ ظالم فيه ومظلوم
من أعجب الأمر أن الجهل من صفتي وكيف أجهله والجهل معدوم
فمن سعة إطلاقه تبارك وتعالى أن تعرف إلى كل موجود بوجه
خاص، لا يشاركه (20 / ب) فيه غيره، ومن ذلك الوجه عرف كل
مخلوق ربه وخالقه ومحبيه ومميته، وبالجملة لو كشف للمحجوبين
عن شهود تجلي الحق على الدوام كما كشف للعارفين لرأوا أنفسهم
تزداد علماً بالله في كل لمحة لأن كل تجلٍ يعطي العبد علماً لم يكن
عنده قبل ذلك ومن هنا قال الجنيد (٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لو أقبل عارف على الله ألف
سنة ثم أدبر [عنه] (٤) لحظة كان ما فاته أكثر مما ناله وذلك [لأن] (٥)
كل لحظة تتضمن ما قبلها وتزيد عليه بحكم الوقت، وكان أبو يزيد
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول في قوله تعالى: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (٦) لولا الأدب مع

(1) في ح [طعمه].

(2) ساقط من ح.

(3) ترجمة الإمام الجنيد تقدمت.

(4) ساقط من الأصل والزيادة من ح.

(5) في الأصل [أن] والتصويب من ح.

(6) الرحمن آية: 29.

القرآن لقلت إن [مع] ^(١) في كل لمحة شأنًا وسمعت شيخنا
[ﷺ] ^(٢) يقول: كل شيء في الوجود وهو يتنوع ويتغير في حال
[تعبيره] ^(٣) عنه فلا يشرع يعبر عن صفة إلا وقد تغيرت ووقع التجلي
في غيرها فيقع تعبيره على حكاية حال ماضية، ويفوته التكلم على
الصفات المتجلية له في حال الكلام، والتغيير في كلام شيخنا المراد
به تغيير الصفات لا تغيير الذات، فافهم والله أعلم.

*** ** **

(1) في ح [في].

(2) من ح.

(3) في الأصل [تغيره] والتصويب من ح.

فصل: ويحذركم الله نفسه - يعني أن تفكروا فيها

قال [الله] (1) تعالى: { وَيَحذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ } (2) يعني أن

تتفكروا فيها، وكان ﷺ يقول: «كلكم حمقى في ذات الله» (3).

وكان صلى الله عليه وآله وسلم [يقول] (4): «تفكروا في آلاء الله

ولا تتفكروا في ذاته» (5)، وكان ﷺ يقول: «إن الله احتجب عن العقول

كما احتجب عن الأبصار وإن الملاء الأعلى ليطلبونه» (6).

وما نهانا الله ورسوله عن الخوض بالفكر في ذات الله

(1) ليست في ح .

(2) آل عمران آية: 28.

(3) لم أجده في المصادر الحديثية المتوفرة لدي بعد جهد .

(4) الزيادة من ح .

(5) ذكر الحديث الإمام السيوطي في الجامع الصغير حديث رقم (3360) وعزاه إلى

أبي الشيخ في العظمة بلفظ قريب منه «تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات

الله تعالى، فإن بين السماء السابعة إلى كرسية سبعة آلاف نور وهو فوق ذلك»،

ورمز السيوطي لضعفه عند أبي الشيخ رواية أخرى «تفكروا في خلق الله ولا تفكروا

في الله فتهلكوا»، وهو في الجامع الصغير رقم (3362) وجاء في روايته «تفكروا

في آلاء الله ولا تفكروا في الله»، ذكره السيوطي في الجامع الصغير وعزاه إلى أبي

الشيخ وابن عدي والبيهقي والطبراني في الأوسط عن ابن عمر ب، ورمز السيوطي

إلى حسنه وذكره ابن حجر في فتح الباري وقال: موقوف وسنده جيد وذكره الهندي

في كنز العمال في المجلد الثالث حديث رقم (5707).

(6) تقدم أن الحديث لم أقف عليه .

[تعالى] ^(١)، إلا لعلمه بوقوع الخلق في ذلك، وقد وقعوا فما منهم أحد سلم من التفكير فيها، والحكم عليها حيث الفكر، وحكي عن الشيخ الأكبر [محي الدين] ^(٢) رحمته الله أنه (21 / أ) [كان] ^(٣) يقول: ليس للغزالي ^(٤) رحمه الله [عندنا] ^(٥) زلة أكبر من هذه الزلة فإنه تكلم في ذات الله من حيث النظر الفكري في [المضنون به] ^(٦) [على] ^(٧) غير أهله، وفي غير [المضنون] ^(٨) وأخطأ في كل ما قاله وما أصاب وجاء هو وأمثاله من المتصوفة بأقصى غايات الجهل، ونصروا جانب فكرهم على ما وقع به الإعلام الإلهي، وأتوا بالتأويلات البعيدة.

(1) الزيادة من ح وليست من الأصل.

(2) الزيادة من ح وليست من الأصل.

(3) ليست في ح.

(4) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الإمام الجليل أبو حامد الغزالي؛ جامع أشتات العلوم، والمبرز في المنقول فيها والمفهوم، مرت الأئمة قبله بشأو لم تقع فيه بالغاية، ولا وقف عند مطلب وراءه مطلب لأصحاب النهاية والبدائية، وكان رحمته الله ضرغاماً، إلا أن الأسود تتضاءل بين يديه وتتوارى، جاء والناس إلى رد فرية الفلاسفة أحوج من الظلماء لمصايح السماء، وأفقر من الجذباء إلى قطرات الماء، وكانت وفاته قدس الله روحه بطرس يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة، مختصر من طبقات الشافعية الكبرى (201-195/6).

(5) ساقط من الأصل والزيادة من ح.

(6) في الأصل [المظنون به] والتصويب من ح.

(7) في ح [عن].

(8) في الأصل [المظنون] والتصويب من ح.

ولو سلم هو وأمثاله العلم بذلك لأهله، وتركوا التأويل وعلموا [على] (١) جلاء مرآة قلوبهم، لأعطاهم الله تعالى الفهم في صفاته بإعلام آخر ينزله في قلوبهم فتكون المسألة منه، وشرحها منه تعالى فيعرفونه إذ ذاك به تعالى لا بنظرهم وفكرهم [فما] (٢) سلم من التفكير في ذات الله تعالى سوى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأما غيرهم فلم يقف في ذلك موقف الأدب، بل خاض فيه على عماية وجهل فمن قائل هو جسم، ومن قائل ليس بجسم، ومن قائل هو جوهر، ومن قائل ليس بجوهر، ومن قائل هو في جهة، ومن قائل ليس [هو] (٣) في جهة، وما هكذا أمر الله تعالى لا النافي ولا المثبت، فقد عم الجهل بالذات الخلق كلهم، وكان شيخنا رحمته الله يقول: من أعجب الغلط الذي طرأ في هذا العالم كون العبد يقلد فكره ونظره وهما [محدثان] (٤) مثله، ولا يقلد ربه فيما أخبر عن نفسه على ألسنة رسله، وكان الأولى تقليد الرب وتصديق الرسل فيما جاؤوا به لعصمتهم، وقد أجمع العقلاء معنا على [الاعتقاد] (٥) أن ذلك القول عن الله بلا شك، فما بقي لنا منازع منا يقده فيما عندنا، وقد قررنا مراراً أنه ما جاء في الوجود من علم الأشياء بعين [ذاتها] (٦) إلا الله وحده لا

(1) من ح وليست في الأصل .

(2) في الأصل [فلما] والتصويب من ح .

(3) الزيادة في ح .

(4) في الأصل وفي ح [محدث] وهو خطأ لغوي لأنهما مثني .

(5) في ح [اعتقاد] .

(6) في ح [ذاته] .

شريك له، وجميع الخلق إنما هم مقلدون، لما زاد على ذواتهم من قوى الحواس، والحواس كلها تقلد العقل، والعقل يقلد الفكر، والفكر منه ما يكون صحيحاً، ومنه ما يكون فاسداً، وعلمه بالأمر على ما هي (21 / ب) عليه إنما هو اتفاق، وإذا كان [ولا بد] (١) من التقليد فقلد ربك، واعمل على جلاء مرآتك بكثرة الطاعات حتى يستنير قلبك، وتنزل في العلم بالله [عز وجل] (٢) إلى حدّ يزيل عنك كل شبهة، ويرتفع الخطأ المطلق عندك في العالم، فإن الله تعالى في كل شيء وجهاً هو تعالى حق ذلك الوجه، ولو لم يكن الأمر كذلك ما كان إلهاً، ولكان العالم يستقل بنفسه دونه، وذلك محال، فخلو وجه الحق عن شيء محال.

وسمعت شيخنا رحمته الله يقول [كثيراً] (٣): التقليد (٤) هو الأصل الذي يرجع إليه كل علم نظري أو ضروري أو كشفي، [ولكن] (٥) الناس في ذلك التقليد على مراتب؛ فمنهم من قلده ربه وهم الطائفة العلية، ومنهم من قلده عقله وهم أصحاب العلوم الضرورية، ومع ذلك فلو شككهم مشكك ما قبلوه، ولو عرض عليهم دليل [من الشارع] (٦)

(1) في ح [لا بد].

(2) في ح [تعالى].

(3) الزيادة من ح.

(4) التقليد: يقصد المؤلف بالتقليد هنا: التسليم في الانقياد لكمال الاعتقاد، كحال

المؤمن مع الشرع، والفيلسوف مع العقل، وأصحاب الرياضيات مع الفكر والنظر.

(5) في ح [لكن].

(6) في الأصل [الشارع].

ردوه لتحكيمهم العقل ، ومنهم من قلّد نظره وفكره بحيث لو شككهم مشكك لقبولهم لعلمهم بأنه ممكن ، فما خرج العالم كله عن التقليد والسلام. ولكن أسوأ الناس كلهم حالاً المتكلمون في ذات الله [تعالى] (1) وصفاته بعقولهم ، وأين مرتبة العقل من الحق ، فإنه ما سمي عقلاً إلا لعقله عن السراح إلى معرفة [ذات الله تعالى] (2) ، وهو تعالى قد تنزه في حمى عزته عن أن يدرك بأوصاف خلقه ، وما جعل سبحانه الحواس الظاهرة والباطنة طريقاً إلا إلى معرفة المحسوسات لا غير ، والعقل بلا شك منها ، فلا يصح إدراك الحق بها ، لأنه ليس بمحسوس ولا معقول تعالى الله عن ذلك .

ثم اعلم: أن التفكير من حيث هو لا يتعدى أحد أمرين: إما المخلوقات ، وإما الإله ، وأعلى درجات جولانه في المخلوقات ليتخذها دليلاً ، ومعلوم أن الدليل يضاد المدلول ، إذ لا يجتمع دليل (22/أ) ومدلول عند الناظر أبداً ، ولذلك كان أهل الله عز وجل [يريدون] (3) للمريد الاشتغال بالذكر دون الفكر ، لأنه لو مات في حالة التفكير في الدلائل مات في غير الله ، إذ ما كان مشهوده إلا هي لا هو ، وأما إذا كان جولان الفكر في الإله [ليتخذه] (4) دليلاً على المخلوقات كما عليه بعض الصوفية ، فهذا قد طلبه لغيره وذلك غاية

(1) ليست في ح .

(2) في ح الله .

(3) في ح [يرون] .

(4) في الأصل [ليتخذ] .

سوء الأدب مع الله عز وجل حيث قصد بنظره في ذاته الاستدلال على حكم الكائنات، فما طلبه لعينه، وإن كان جولانه في الإله ليتخذه دليلاً عليه تعالى فهذا من أكبر الغلط، إذ لا يصح له النظر في ذاته حتى يتحقق [بالعلم] ^(١) بها وذلك محال، وإن كان نظره [في الذات] ^(٢) بمعنى هل يصح أن تكون دليلاً على الله أو لا تصح؟ فهذا غاية الجهل، فإنه لا شيء أدل على الشيء من ذاته، وقد سمعت هاتفاً تجاه سوق الكتبين بمصر المحروسة يقول: ما ثم دليل عليّ سواي، لأنني أنا الغني عن [أدلة] ^(٣) المحدثات، ولا تقيدني الوجوه ولا الأحكام، [انتهى] ^(٤).

وأنشدوا شعراً:

ومن طلب الطريق بلا دليل إلهي فقد طلب المحالاً
واعلم أن سبب توهم الناس أن الكون دليل على الله تعالى؛
كونهم ينظرون في نفوسهم ثم يستدلون، وما علموا أن كونهم ينظرون
راجع إلى حكم كونهم متصفين بالوجود، فالوجود هو الناظر، وهو
الحق تعالى فلو [لم] ^(٥) يتصف ذاتهم بالوجود فبماذا كانوا ينظرون؟
فما نظر هؤلاء إلا الحق بالحق، فأنتج لهم الحق نفوسهم فقالوا عرفنا

(1) في ح [في العلم] .

(2) في ح [بالذات] .

(3) في الأصل [الأدلة] .

(4) من ح وليست في الأصل .

(5) في الأصل [له] والتصويب من ح .

الله بالله، وهو مذهب المحققين من أهل الله تعالى إذا ضربت الواحد في الواحد كان الخارج واحداً فافهم .
ومن القواعد المقررة بين أهل الله عز وجل أن الشيء لا يدرك إلا بنفسه، وليس له دليل قاطع عليه سوى نفسه، والبصر له الشهود، والعقل له القبول، فمن طلب معرفة الله تعالى [بالدلائل] ^(١) الأجنبية الغربية [فمحال أن يحصل على طائل، ولا تظفر يدها إلا بالخيبة] ^(٢)، فإن العلم (22/ب) [بأمره] ^(٣) لا يكون إلا بمعرفة قد تقدمت قبل هذه المعرفة بأمر آخر يكون [بين] ^(٤) المعروفين به مناسبة، ولا مناسبة بين الله وبين خلقه، فقد علمت أن الفكر في ذات من لا شبيه له جهل والسلام.



-
- (1) في الأصل [بالدليل] والتصويب من ح .
 - (2) ساقط من الأصل والزيادة من ح .
 - (3) في ح [بأمر] .
 - (4) ساقط من الأصل والزيادة من ح .

فصل: ليس من علم الفكر المذموم الكلام في بتوحيد الله
ليس من علم الفكر المذموم الكلام فيما يتعلق بتوحيد الله ودقائقه ،
إنما المذموم الكلام في ماهية الذات فقط ، قال تعالى: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرَ لِذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾^(١) ، والذنب هنا
[هو]^(٢) ما يخطر لمن نظر في توحيد الله طالباً معرفة الماهية والحقيقة
التي هي مجهولة في الدارين ، [فالتبس]^(٣) عليك يا أخي الأمر
[فانته]^(٤) عن قراءة كتب عقائد الصوفية وغيرهم من أهل السنة بل
انظر في عقائد سائر الخلق ، وابتحث عن منزع^(٥) كل اعتقاد ، لتعرف
مستنده من الحضرات الإلهية ، وتعرف ما الحجاب الذي أعمى صاحبه
عن الطريقة المثلى ، ثم لا يخفى أن العارفين لا يمنعون أهل الفكر من
فكرهم لأن ذلك هو مرتبتهم ، وإنما العلم العمل [بما]^(٦) ينتجه الفكر
من [التلبس]^(٧) [وإنه]^(١) ما من علم من العلوم الظنية إلا ويجوز أن

(1) سورة محمد آية: 19 .

(2) ساقط من الأصل والزيادة من ح .

(3) في ح [فلا يلتبس] .

(4) في ح [فتنتهي] .

(5) منزع: جاء في القاموس المنزعة بالفتح القوس الفجاء وما يرجع إليه الرجل من
رأيه وأمره (125/4) .

(6) ساقط من الأصل والزيادة من ح .

(7) في ح التلبس .

ينال العلم اليقيني به من طريق الكشف والشهود .

وطرق العلم ثلاثة:

[الأولى] ^(٢): أن يكون الحق تعالى هو العلم .

الثانية: أن يكون النظر الفكري هو العلم .

الثالثة: أن يكون العلم مخلوقاً مثله .

فصاحب الإلقاء الإلهي ملحق بمعلمه ، وصاحب النظر وما بعده

[يلحق] ^(٣) بمعلمه من النظر أو المخلوق ، ولهذا الذي ذكرناه من أن

العلم الظني يجوز أن ينال به اليقين ، جعل المحققون من الصوفية

أفلاطون ^(٤) الحكيم معدوداً من العلماء بالله [تعالى] ^(٥) ، لأنه خرج

بنظره مخرج الكشف والوجود فهو نادر في الحكماء الأقدمين ، فما

كرهه [من كرهه] ^(٦) من أهل الإسلام إلا لنسبته إلى [الفلاسفة] ^(٧) ،

لجعلهم بمدلول تلك اللفظة والحكماء على الحقيقة هم العلماء بالله

تعالى وبأحكامه ، والله تعالى هو الحكيم العليم ، (23/أ) قال الله تعالى :

(1) في ح [فإنه] .

(2) في الأصل [الأول] والتصويب من ح .

(3) في ح [ملحق] .

(4) أفلاطون: من الحكماء الإشراقيين الذين يكون قولهم وفعلهم موافقاً للغة وهم من

علماء اليونان الأقدمون ، (التفريعات 1/123) .

(5) زيادة من ح ، ويقصد بالعالم بالله بصفاته وليس بذاته .

(6) زيادة من ح .

(7) في ح [الفلسفة] .

﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(١) والحكمة هي علم النبوة كما قال تعالى في حق داود عليه السلام: ﴿وَعَاتَنَاهُ اللَّهُ أَلْمَلِكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾^(٢) والفيلسوف معناه: محب الحكمة، لأن (سופا) باللسان اليوناني هي الحكمة، وكل عاقل بلا شك يحب الحكمة، غير أن أهل الفكر خطؤهم في الإلهيات أكثر من إصابتهم، سواء كان فيلسوفاً معتزلياً^(٣)

(1) البقرة آية (269).

(2) البقرة آية (251).

(3) المعتزلة: وهي فرقة كلامية، نشأت في بداية القرن الثاني الهجري واعتمدت على العقل في تأسيس عقائدها، وتميزت بتراتها الفكري والعلمي، وأطلقت عليها مسميات متعددة، كالعدلية والموحدة والمفوضة والقدرية والمعطلة وغيرها، ويرجع سبب تسميتها بالمعتزلة حسب تصور المؤرخين إلى أمرين:

الأول: يتعلق بالاعتزال السياسي الذي قام به مجموعة من الصحابة في الخلاف بين الإمام علي عليه السلام ومعاوية.

والثاني: يتعلق باعتزال واصل بن عطاء عن شيخه الحسن البصري في مسائل فقهية فكرية.

2- عوامل الظهور:

لما انتشرت أفكار المجبرة الداعية إلى تحجيم دور العقل وتغيبه، وتبني السلطة الرسمية لفكرة الجبر، برزت المعتزلة كتيار يدعو إلى حرية اختيار العبد (الإنسان) في أفعاله، وإطلاق دور العقل البشري، وتأكيدهم على دور العقل البشري، وتأكيدهم على استقلالية الإنسان في سلوكه، ساعد هذا العامل على تعاطف الناس معهم.

إن المعتزلة كفرقة فكرية أكدوا على التوحيد، وعلى العدل الاجتماعي، ولهذين المبدئين أهمية كبرى لدى الناس، في عصر كثرت فيه المظالم الاجتماعية. =

3_ النشأة والتطور: =

إن الحسن البصري لما طرد وأصل من مجلسه، واعتزل عند سارية من سواري مسجد البصرة، وانضم إليه صديقه عمرو بن عبيد، قال الناس يومئذ فيهما: أنهما قد اعتزلا قول الأمة وسُمِّي أتباعهما وقتئذ بالمعتزلة.

وفي زمن هارون الرشيد نبغت المعتزلة، ونشطت الحركة الفكرية، وثاروا على الجمود، حتى جاء عصر المأمون وكان يميل إلى حرية الفكر وبذلك استطاع المعتزلة أن يواصلوا نشاطهم، فقد كانوا يتحرقون إلى نشر أصولهم، فوجدوا في المأمون بغيتهم، ونظروا إليه بعين الإكبار، إذ وجدوا فيه ركنًا شديدًا، فكان مذهبهم أقرب المذاهب إلى نفس المأمون، فقربهم وأصبحوا أصحاب نفوذ في القصر، واغتنموا فرصة استمالة المأمون والمعتصم والوائق لهم فأطلقوا أيديهم في السياسة، وبلغوا الذروة، إلى أن جاء المتوكل فأخذوا ينحدرون عن المكانة التي وصلوا لها، بسبب مضايقة المتوكل لهم ومحاربتهم لأفكارهم ومنها قولهم: بخلق القرآن.

وإن تشدد المعتزلة في مهاجمتهم العنيفة للفرق الأخرى يعد السبب الثاني في انتكاستهم وهزيمتهم أمام قوة المحدثين، ورجوع الأثرية إلى الجمود، والتسليم امتثالاً لأمر السلطة، يقول المسعودي: «لما أفضت الخلافة للمتوكل أمر بترك النظر والمباحثة والجدال، والترك لما عليه الناس أيام المعتصم والوائق، وأمر الشيوخ والمحدثين بالتحدث وإظهار مذهب أهل السنة والجماعة».

4_ الأفكار والمعتقدات:

أركان الاعتقاد عند المعتزلة خمسة: التوحيد، والعدل، والوعد، والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بأن الله واحد لا شريك له، وذهبوا إلى نفي الصفات عنه جل جلاله، وأنه عين ذاته.

وإن المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والعوض، وإذا خرج

أو أشعرياً⁽¹⁾، أو من كان من أصناف أهل النظر فما ذمت الفلاسفة

من غير توبة عن كبيرة ارتكبتها استحق الخلود في النار، لكن عقابه يكون أخف من عقاب الكافر، وسموا هذا النمط وعداً ووعيداً.

= وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان عقلاً ونقلاً، وهما واجبان باللسان والقلب واليد، إن الفاسق من المسلمين بالمنزلة بين المنزلتين وهي أنه لا مؤمن ولا كافر.

وإن الله منزّه عن كل قبيح، وإن ما ثبت أنه قبيح ليس من فعله ولا يصف بالقدرة على ما يقبح.

وإن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها، مستحق على ما يفعل ثواباً وعقاباً في الدار الآخرة، والرب منزّه أن يضاف إليه شر أو ظلم.

وإن أصول المعرفة وشكر النعمة واجب قبل ورود السمع والبصر، والحسن والقبح يجب معرفتهما بالعقل، كما يجب اعتناق الحسن وترك القبح (موسوعة الفرق الإسلامية 385).

(1) الأشاعرة: هم أتباع أبي الحسن الأشعري، وهم غالبية أهل السنة والجماعة، وقد عرض الأشعري لعقيدة أهل السنة والجماعة في كتابه مقالات الإسلاميين 325/1 فقال:

معتقد أهل السنة والجماعة: أن العالم بجميع ما فيه من موجودات مخلوق، كائن عن أول حادث بعد أن لم يكن، وأن المخلوق لا بد له من محدث، لأن ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث، وأن الخالق واحد يتنزه عن صفات المخلوق، ويوصف بكامل الصفات التي وصف بها نفسه من السمع والبصر والعلم والإرادة والحياة، يفعل ما يشاء، ولا يُسأل عما يفعل، لأنه حكيم في فعله يستحيل عليه الظلم، وأن أفعاله موافقة لعلمه وإرادته، هذا ما يذكره الإسفراييني باختصار أما الأشعري فيذكر هذه العقيدة بقوله: «الإقرار بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، لا يردون من ذلك شيئاً، وأن الله إله واحد فرد صمد، لا إله غيره، لم يتخذ صاحبه ولا ولداً، وأن محمداً

عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وقال في إثبات وجود الله: إن الإنسان إذا فكر في خلقته = من أي شيء ابتداء؟ وكيف دار في أطوار الخلقة طوراً بعد طور حتى وصل إلى كمال الخلقة؟ وعرف يقيناً أنه بذاته، لم يكن ليدبر خلقته ويبلغه من درجة إلى درجة، ويرقيه من نقص إلى كمال، عرف بالضرورة أن له صناعاً، قادراً، عالماً، مريداً، إذ لا يتصور صدور هذه الأفعال المحكمة من طبع؛ لظهور آثار الاختيار في الفطرة وتبين آثار الأحكام والإتقان في الخلقة.

وقال في صفات الله: إن الله لا يشبهه شيء، ولا يشبه شيئاً، لأنه لو أشبهها لكان حكمه في الحدوث حكمها، ولو أشبهها إما أن يشبهها من كل الجهات، أو من بعضها، وفي الحالين يكون محدثاً من حيث أشبهها، والله قديم لنفسه، واحد، لأن الاثنين لا يجري تدبيرهما على نظام، عالم الأفعال المحكمة، التي لا تتسق في الحكمة إلا من عالم، حي، قادر، لأنه لا يجوز أن تحدث الصنائع إلا من قادر حي مريد، لأن الحي إذا كان غير مريد أصلاً وجب أن يكون موصوفاً بضد من أضداد الإرادات من الآفات كالسهو، والكراهة، واستحالة أن يكون الباري لم يزل موصوفاً بضد الإرادة، لأن هذا لا يريد شيئاً على وجه من الوجوه، فوجب أن الباري لم يزل مريداً وصفات الله قائمة بذاته، أي أنها ليست ذاته ولا غير ذاته، إذ لا يتصور أن يكون الذات حياً بغير حياة، أو عالماً بغير علم، أو قادراً بغير قدرة، أو مريداً بغير إرادة، بل الله عالم بعلم، وقادر بقدرة، وحي بحياة، ومريد بإرادة، وذلك لأن من قال: إنه عالم ولا علم، كان متناقضاً، ودحض الأشعري من ناحية أدلة السمع وأدلة العقل التي ينكر بها المعتزلة رؤية الله في الدنيا والآخرة، وقال في أفعال الإنسان على عكس المعتزلة إنها مخلوقة لله، وليس للإنسان فيها غير اكتسابها، أي أن الفاعل الحقيقي هو الله، وقال: إن الإنسان يستطيع باستطاعة هي غيره، وعارض المعتزلة في قولهم في وجوب فعل الأصلاح على الله وأطلق حرية المشيئة، وعلى هذا قال: إن الله يجوز أن يؤلم الأطفال في الآخرة وهو عدل منه، إن فعله، وله أن يعاقب على الجرم الصغير بعقوبة لا تنتهي وله أن يخلق من يعلم أنهم سيكفرون، وأن يلفظ بالكفار ليؤمنوا، وكل ذلك عدل منه، والإيمان هو

لمجرد هذا الاسم، وإنما ذموا لما أخطؤوا فيه من العلم الإلهي، مما يعارض ما جاءت به الرسل، كقولهم بقدم العالم، مع الإجماع على حدوثه فلو كانوا أرادوا قدمه [في العلم الإلهي ما أخطؤوا لأنه تعالى لم يزل رباً والممكن مربوباً، سواء وجد الممكن] ^(١) (أو) ^(٢) اتصف بالعدم لأن الأعيان الثابتة لم تنزل تنظر إلى ربها بعين الافتقار، ليخلع عليها اسم الوجود، ولم يزل سبحانه ينظر إليها لاستدعائها بعين الرحمة، فلم يزل سبحانه رباً في حال عدمنا كما في حال وجودنا، [فالإمكان] ^(٣) لنا كالوجود له، ولعل ما قررناه من قدم العالم في

التصديق بالله فقط، ولهذا كان الفاسق من أهل القبلة مؤمناً بإيمانه، فاسق بفسقه وكبيرته، ولا يجوز أن تقول إنه لا مؤمن ولا كافر، لأنه لو كان لا مؤمناً ولا كافراً = لم يكن منه كفر ولا إيمان، وكان لا موحدًا، ولا ملحدًا، ولا وليًا، ولا عدوًا، فلما استحال ذلك استحال أن يكون الفاسق لا مؤمناً، ولا كافراً، كما قالت المعتزلة، وقال عن المعتقد تقليدًا: إنه يخرج باعتقاده عن الكفر، لأن الكفر واعتقاد الحق في التوحيد والنبوات ضدان لا يجتمعان، غير أنه لا يستحق اسم المؤمن إلا إذا عرف الحق في حدوث العالم، وتوحيد صانعه، وفي صحة النبوة ببعض أدلته، وقال: قولنا الذي نقول به: وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب الله، وسنة نبيه، وما رُوي عن الصحابة، والتابعين، وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتمسون بما كان عليه أحمد بن حنبل ولمن خالف قوله مجانبون، لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل، (موسوعة الفرق والجماعات الإسلامية للدكتور عبد المنعم الحفني ص 85).

- (1) ساقط من الأصل والزيادة من ح.
- (2) في الأصل [إذ] والتصويب من ح.
- (3) في الأصل [لإمكان] والتصويب من ح.

العلم الإلهي هو مراد أكابر الفلاسفة، فإنه بعيد [عن] (١) أرباب العقول أن يقول بقدم العالم على هذه الهيئة الظاهرة مع سرعة زواله، [وتغييره] (٢)، واستحالته، وغير ذلك مما يخالف صفات القدم، ولكن غالب المنتمين إلى المذاهب لا يوجهون لأخصامهم أقوالهم، ويردّون عليهم بالصدر (٣) كما هو مشاهد بين أرباب المذاهب في أحكام الشريعة فضلاً عن غيرها.

وحكي عن الشيخ محيي الدين رحمته الله أنه قال: [عملت] (٤) على الاطلاع على السبب الذي من أجله دخل [غلط] (٥) على الفلاسفة فرأيت أن الغلط [إنما] (٦) دخل عليهم من التأويل، فإنهم لا يأخذون إلا عن إدريس عليه الصلاة والسلام [وهو معصوم بلا شك في علمه بالله تعالى وبأحكامه، فدخل عليهم الغلط من قبل أنفسهم لا من قبل إدريس عليه الصلاة والسلام] (٧)، فإن علماءهم صادروا كل شيء

(1) في ح [على].

(2) في ح [تغييره].

(3) الصدر: المصادرة على المطلوب هي التي تجعل النتيجة جزء القياس، أو أن يكون بعض المقدمات كاذبة شبيهة بالصادقة وهو إما من حيث الصورة أو من حيث المعنى (التعريفات 1/ 285).

(4) في ح [علمت] وهو خطأ.

(5) في ح [الغلط على].

(6) ساقط من ح.

(7) ساقط من الأصل والزيادة من ح.

[بلغهم] (١) مما تتوقف فيه عقولهم، فاختلّفوا في معناه، كما اختلف علماء الإسلام في تأويل [كلام] (٢) شريعتهم فأحل هذا شيئاً، و[حرمه] (٣) (23/ب) [الآخر] (٤) على قدر فهمه انتهى. فلو عمل الناس على جلاء مرآتهم لم يقفوا قط في فهم شيء من كلام ربهم، ولا من كلام نبيهم ﷺ، لأن الشريعة كلها جاءت بلسان عربي مبين، يسمع إفهام سائر من شملتهم الدعوة من الصديق إلى الزنديق، ومن انجلت مرآة قلبه صار الحق تعالى هو المعلم له، وهناك تكون المسألة منه وشرحها منه كما مر [تقريره] (٥)، ثم لا يخفى أن من شرط العلم اللدني أن لا تزلزله الأدلة، ولا يدخله شك، ولا حيرة، ولا استدراج، وذلك لأن العلوم اللدنية لا تأتي إلا موافقة للشرائع، وما قال بمخالفتها إلا من لم يمعن النظر ومعلوم أن الأحكام الشرعية لا تنصب جبالها للمكر الإلهي فإنها عين طريق السعادة فكيف يدخلها استدراج.

وأنشدوا شعراً:

ترك التفكير تسليم لخالقنا فلا تفكر إن الفكر معلول

(1) في الأصل [بلغه] والتصويب من ح.

(2) ساقط من الأصل والزيادة من ح.

(3) في الأصل [وحرّم] والتصويب من ح.

(4) في ح [آخر].

(5) في ح [تقديره].

إن لم تفكر تكن روحاً مطهرة جليس حق على الأذكار مجبول
فالتفكر وُكِّننا لأنفسنا لولاهما كان إشراك وتعطيل
فعلم مما قررناه أن كل ما نتج من العقل والفكر فهو مدخول،
يقبل [دخول] ^(١) الشبه عليه، كما يدل على ذلك اختلاف المقالات
في الله عز وجل من كل ناظر بعقله، واتفاق كل [من] ^(٢) جاء من عند
الله، من رسول، ونبي، وولي، وكل مخبر عن الله، فلم يختلف منهم
اثنان في شيء من صفات الله تعالى، بل جاؤوا كلهم يصدق بعضهم
بعضاً، عكس ما عليه المتكلمون بأفكارهم، فدليل الأشعري يورث
شُبهاً عند المعتزلي، ودليل المعتزلي يورث شُبهاً عند الأشعري، ثم
إنه ما من مذهب من [مذاهبهم] ^(٣) إلا ويدخله الاختلاف، ويتصفون
جميعهم باسم الأشاعرة (24/أ) فترى أبا المعالي ^(٤) يذهب إلى ما

(1) الزيادة منح وليست في الأصل.

(2) في ح [ما].

(3) في ح [مذاهب].

(4) هو: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد ضياء الدين أبو المعالي وأبو
محمد الجويني الشافعي الملقب بإمام الحرمين. ولد في (جوين) من نواحي
نيسابور عام 419هـ، ودرس الفقه والأصول والعلوم الشرعية على عدد من العلماء
منهم والده أبو محمد الجويني، وأبو إسحاق الإسكافي، والإسفرائيني، وأخذ
الحديث عن الشيخ أبي حسان وأبي سعد بن عليك، ومنصور بن رامش وغيرهم،
حتى برع وذاع صيته، وتوفي والده وهو في العشرين من عمره فجلس مكانه
للتدريس. رحل إلى بغداد وأخذ عن علمائها، ثم إلى مكة المكرمة وأقام بها
مجاوراً ومتعلماً ومعلماً أربع سنوات، ثم غادرها إلى المدينة المنورة، وأقام بها

يخالف فيه الأستاذ⁽¹⁾، والأستاذ يذهب إلى خلاف ما ذهب إليه الشيخ

مدة يدرس في المسجد النبوي الشريف ، ويفتي الناس ولذا أطلق عليه لقب: إمام الحرمين . وفي عام 458هـ ، عاد إلى نيسابور فبنى له الوزير نظام الملك (المدرسة النظامية) فكان يدرس فيها ويحضر دروسه كبار العلماء ومجموعة من الطلبة الذين زاد عددهم على أربعمئة متعلم .

= صنف عدداً من المؤلفات منها: (غياث الأمم) في العقيدة و(النهاية) في الفقه و(الشامل) و(التلخيص) و(الورقات) في أصول الدين و(نهاية المطلب في دراية المذهب) في فقه الشافعية و(الرسالة النظامية) وله ديوان خطب مشهور وكان ينظم الشعر ولا يظهره ومن شعره:

أخي لن تنال العلم إلا بسنة سأنبئك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص وافتقار وغربة وتلقين أستاذ وطول زمان

كان الجويني عالماً جليلاً وعاملاً مجتهداً ، يصل الليل بالنهار في التحصيل والقراءة والمطالعة في مختلف أنواع العلوم والفنون ، وكانت لذته ونزهته في مذاكرة العلم وطلب الفائدة من أي نوع كان ، حتى أصبح أعلم أهل زمانه ، وطبق ذكره الآفاق ، وعم نفعه مشارق الأرض ومغاربها .

وقد أثنى عليه عدد كبير من العلماء ثناءً حسناً منهم: الشيخ أبو إسحاق الشيرازي الذي قال عنه: تمتعوا بهذا الإمام فإنه نزهة الزمان ، وقال شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني: صرف الله المكاره عن هذا الإمام فهو اليوم قرّة عين الإسلام والذائب عنه بحسن الكلام ، وقال الحافظ أبو محمد الجرجاني: هو إمام عصره ، ونسيح وحده ، ونادرة دهره ، عديم المثل في حفظه وبيانه ولسانه ، توفي رحمة الله عليه في نيسابور سنة 487هـ طبقات الشافعية الكبرى 164/5 ، التحفة اللطيفة للسخاوي 86/3 .

(1) المراد بالأستاذ هنا هو أبو إسحاق الإسفراييني: (ت 418هـ) (1027 م) وهو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران ، أبو إسحاق عالم بالفقه والأصول ، وكان يلقب بركن الدين ، وهو أول من لقب به من الفقهاء ، نشأ في إسفرايين (بين نيسابور

أبو الحسن⁽¹⁾، والكل يدعي أنه أشعري، وكذلك القول في أئمة

وجرجان) ثم خرج إلى نيسابور وبنيت له مدرسة عظيمة فدرس فيها، ورحل إلى خراسان وبعض أنحاء العراق، فاشتهر في العالم الإسلامي، وألف في علم الكلام كتابه الكبير الذي سماه الجامع في أصول الدين والرد على الملحدين، قال ابن خلكان: رأيت في خمسة مجلدات، توفي أبو إسحاق الإسفراييني رحمه الله تعالى = في يوم عاشوراء سنة عشر وأربعمائة بنيسابور ثم نقل إلى إسفرايين ودفن بها وكان قد نيف على الثمانين.

(1) أبو الحسن الأشعري رحمه الله:

نسبه: ينتهي إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه الصحابي الجليل.
مولده: ولد سنة (206هـ).

وفاته: سنة (324هـ).

أخذ علم الكلام من زوج أمه أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة، ولما تبحر في كلام الاعتزال وبلغ فيه الغاية، كان يورد الأسئلة على أستاذه، ولا يجد فيها جواباً شافياً فتحير في ذلك.

بداية هدايته واعتناقه لمذهب أهل السنة:

قال رحمه الله عن نفسه: «وقع في نفسي في بعض الليالي شيء مما كنت فيه من العقائد، فقامت وصليت ركعتين، وسألت الله تعالى أن يهديني الطريق المستقيم، ونمت فرأيت رسول الله ﷺ في المنام، فشكوت إليه بعض ما بي من الأمر.. فقال لي رسول الله ﷺ [عليك بسنتي] فانتبهت وعارضت مسائل الكلام بما وجدت في القرآن والأخبار فأثبته، ونبذت ما سواه ورائي ظهيراً».

وقال الخطيب البغدادي في تاريخه: «أبو الحسن الأشعري المتكلم صاحب الكتب والتصانيف في الرد على الملاحدة، وغيرهم من المعتزلة والرافضة والجهمية والخوارج وسائر أصناف المبتدعة».. إلى أن قال: «وكانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله تعالى الأشعري فحجزهم في أقماع السمسم»، مناظرات مع شيخه الجبائي التي بها قصم ظهر كل مبتدع مرء».

وقال السبكي في طبقات الشافعية: «أبو الحسن الأشعري كبير أهل السنة بعد الإمام أحمد بن حنبل وعقيدته، وعقيدة الإمام أحمد واحدة لا شك في ذلك ولا ارتياب، وبه صرح الأشعري في تصانيفه وذكره غير ما مرة (من أن عقيدتي هي عقيدة الإمام المبجل أحمد بن حنبل) هذه عبارة الشيخ أبي الحسن في غير موضع من كلامه». =
رجوع أبي الحسن الأشعري عن الاعتزال إلى عقيدة السلف:

قال ابن عساکر الدمشقي في كتابه (التبيين):

قال ابن عذرة:

إن أبا الحسن الأشعري كان معتزلياً وإنه أقام على مذهب الاعتزال أربعين سنة، وكان لهم إماماً ثم غاب عن الناس في بيته خمسة عشر يوماً، فبعد ذلك خرج إلى الجامع بالبصرة وصعد المنبر بعد صلاة الجمعة وقال «معاشر الناس إني إنما تغيبت عنكم في هذه المدة لأنني نظرت فتكافأت عندي الأدلة، ولم يترجح عندي حق على باطل، ولا باطل على حق، فاستهديت الله تبارك وتعالى فهداني إلى ما أودعته في كتبي هذه، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده كما انخلعت من ثوبي هذا وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به ودفع الكتاب إلى الناس فمنها كتاب «اللمع» وغيره من تواليفه.

فلما قرأت تلك الكتب أهل الحديث والفقهاء من أهل السنة والجماعة، أخذوا بما فيه، وانتحلوه واعتقدوا تقدمه واتخذوه إماماً حتى نسب مذهبهم إليه فصار عند المعتزلة ككتابي (يعني أهل الكتاب من اليهود والنصارى) أسلم، وأظهر عوار ما تركه، فهو أعدى الخلق إلى أهل الذمة، وكذلك أبو الحسن الأشعري أعدى الخلق إلى المعتزلة، فهم يشنعون عليه وينسبون إليه الأباطيل، وليس طول مقام أبي الحسن الأشعري على مذهب المعتزلة مما يفضي به إلى انحطاط المنزلة بل يقضي له في معرفة الأصول بعلو المرتبة، ويدل عند ذوي البصائر له، على سمو المنقبة، لأن من رجع عن مذهب كان بعواره أخير، وعلى رد شبه أهله وكشف تمويهاتهم أقدر، وتبيين ما يلبسون به لمن يهتدي باستبصاره أبصر).

ذكر بعض العلماء الذين قالوا برجوع الأشعري عن الاعتزال والتزامه منهج أهل

السنة:

قال أبو بكر بن فورك: (رجع أبو الحسن عن الاعتزال والتزم منهج السنة).
قال ابن خلكان في وفيات الأعيان: (كان أبو الحسن الأشعري معتزلياً ثم تاب).
قال ابن كثير في البداية والنهاية: (إن الأشعري كان معتزلياً فتاب منه بالبصرة فوق = المنبر ثم أظهر فضائح المعتزلة وقبائحهم).
قال الإمام الذهبي في (العلو): (كان أبو الحسن أولاً معتزلياً، أخذ عن أبي علي الجبائي، ثم نابذه ورد عليه وصار متكلماً للسنة، ووافق أئمة الحديث).
وقال السبكي في طبقات الشافعية: (أقام أبو الحسن على الاعتزال أربعين سنة، حتى صار للمعتزلة إماماً، فلما أراه الله لنصرة الله دينه وشرح صدره لاتباع الحق غاب عن الناس في بيته، وذكر كلام ابن عساكر المتقدم بحروفه).
قال إبراهيم بن علي المالكي في (الدياج): (كان أبو الحسن الأشعري في ابتداء أمره معتزلياً ثم رجع إلى المذهب الحق ومذهب أهل السنة فكثرت التعجب منه وسئل عن ذلك فأخبر أنه رأى النبي ﷺ في رمضان فأمره بالرجوع إلى الحق ونصره فكان ذلك والحمد لله تعالى)، قال المرتضى الحنفي في (إتحاف المتقين): أبو الحسن أخذ علم الكلام عن الشيخ أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة ثم فارقه لمنام رآه ورجع عن الاعتزال وأظهر ذلك إظهاراً فصعد منبر البصرة يوم الجمعة ونادى بأعلى صوته: من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني... أنا فلان بن فلان كنت أقول بخلق القرآن، وأن الله لا يرى بالدار الآخرة بالأبصار، وأن العباد يخلقون أفعالهم، وها أنا تائب من الاعتزال معتقداً الرد على المعتزلة ثم شرع في الرد عليهم والتصنيف على خلافهم.

المراحل التي مر بها الأشعري:

قال ابن كثير: ذكروا للشيخ أبي الحسن الأشعري ثلاثة أحوال:
أولها: حال الاعتزال رجوع عنها لا محالة.
الحال الثاني: إثبات الصفات العقلية السبعة وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام وتأويل الخبرية كالوجه والقدم والساق ونحو ذلك.

المعتزلة والفلاسفة ، فلو كان أحدهم على يقين في علمه بربه ما اختلفوا ،
ولذلك لم يختلف نبيان قط ، ولا عارفان ، إذ كان الشرع يجمعهم كلهم
فافهم .

** ** *

الحال الثالث: إثبات ذلك كله من غير تكييف ولا تشبيه جرياً على منوال السلف
وهي طريقته في (الإبانة) التي صنفها آخرًا .
انظر موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية للدكتور عبد المنعم الحفني
ص50 .

فصل: ما ضل من ضل من المشبهة إلا بالتأويل

ما ضل من ضل من المشبهة⁽¹⁾ وغيرهم إلا بالتأويل وحمل الآيات والأخبار على خلاف ظاهره، [فقاتهم]⁽²⁾ بذلك كمال الإيمان بما أخبرت به الرسل عن ربهم عز وجل، ووقعوا في نصرة جانب فكرهم، على إعلام الله [تعالى]⁽³⁾ عن نفسه ما ينبغي أن ينسب إليه كما مر تقريره، وقد أجمع المحققون من أهل الله أنه ليس في كلام العرب مجاز أصلاً⁽⁴⁾، إنما وضعوا ألفاظهم حقيقة لما وضعوها له،

(1) المشبهة: هم الذين شبهوا الله بالمخلوقات، وهم جماعة من الغلاة، وأصحاب الحديث الحشوية، وهؤلاء قالوا: «إن معبودهم على صورة ذات أعضاء وأبعاد إما روحانية وإما جسمانية، ويجوز عليه الانتقال والنزول والصعود والاستقرار والتمكن» موسوعة الفرق الإسلامية ص 357 وقال الجرجاني في التعريفات: «المشبهة قوم شبهوا الله تعالى بالمخلوقات ومثله بالمحدثات (274/1)».

(2) في الأصل [فقاتهم].

(3) ليست من ح.

(4) من المعلوم عند جميع العلماء أنه لا خلاف في وقوع الحقيقة في القرآن وكذا المجاز عند الجمهور، وقد أنكر وقوع المجاز طائفة، منهم الظاهرية، وابن القاص من علماء الشافعية، وبعض علماء المالكية، وشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم المعروف بابن تيمية.

وشبهتهم أن المجاز أخو الكذب وإن اللجوء إليه من ضيق الحقيقة، أو تعذرها، وذلك لأن القرآن الكريم منزّه عنه وكذا هو محال على الله عز وجل. والحق إن هذه الشبهة باطلة، نشأت من عدم التفرقة بين المجاز والكذب، ومن عدم معرفة أن المجاز في أغلب الأحيان يكون أبلغ من الحقيقة، مع تيسر الحقيقة، =

فإنهم وضعوا يد القدرة للقدرة ويد الجارحة للجارحة، ويد المعروف للمعروف، ومن ادعى [أنهم]^(١) تجوزوا في ذلك فعليه النقل، ولا سبيل [له]^(٢) إلى نقل في ذلك، ولما قالوا فلان أسد فإنهم وضعوا هذه حقيقة في لسانهم أن كل شجاع يسمى أسداً، فوضعوا هذا الإطلاق حقيقة لا مجازاً، وإذا كان الأمر على هذا فلتعلم أن جميع ما ورد في الكتاب والسنة من الأحاديث [التي]^(٣) جاء فيها ذكر اليد، والعين، والجنب، والأصابع، وغير ذلك، [لا يقتضي منه شيء تشبيهاً]^(٤) [لأن التشبيه]^(٥) إنما يكون بلفظة المثل الذي هو مساوٍ، أو [كاف]^(٦) الصفة، وما عدا هذين الأمرين، فإنما هو ألفاظ اشتراك، فتنسب حينئذٍ متى جاءت إلى كل ذات بما تعطيه [حقيقة]^(٧) الذات، ثم لما ثبت عندنا أنه تعالى لا يشبه الأجسام فيكون مستقراً، ولا يشبه

= هذا وإن سلطان العلماء العز بن عبد السلام المتوفى (660) هجري تفرد بالتصنيف في مجاز القرآن، وقد اختصر كتاب العز، الإمام السيوطي، وسماه: (مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن).

- (1) في ح [أنه].
- (2) من ح وليست في الأصل.
- (3) في الأصل [الذي].
- (4) في الأصل [لا يفضي منه بتشبيه] والتصويب في ح.
- (5) ساقط من الأصل والتصويب من ح.
- (6) في الأصل [كا].
- (7) ساقط من الأصل والتصويب من ح.

المعاني فيكون [استواء] ^(١) استيلاء في قهر فحينئذ قلنا: لأن من حمل الحق تعالى على نسبة المعاني فقد حصل في [ضرب] ^(٢) من التشبيه بالمعاني (24/ب) المحدثه وإذا حصل تشبيهه سبحانه بالمحدثات فأى شيء [أنكروه] ^(٣) على من قال بالاستقرار الذي هو من صفات الحس وكلا الأمرين حادثان.

بل و[لو] ^(٤) جاز إطلاق أحد الأمرين لكان إطلاق الاستقرار أولى في التشبيه لكون العرش قد جاء بمعنى السرير في معنى قوله ﷺ «عن الكرسي في جوف العرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة» ^(٥)، فأثبت ﷺ وجود عين العرش وماهيته، فخرج العرش بهذا الخبر أن يكون ملكاً حتى يستولي عليه، وتعيين أن يكون سريراً، والعرش عند العرب هو السرير، ثم لا يخفى أن حقيقة الاستيلاء يلزم فيها طرو وصف، إذ لا يقال استولى على كذا إلا إذا كان على حالة قبل ذلك ليس هو مستولياً عليها، فقد تقدم على ذلك عدم الاستيلاء ثم حدث استيلاء.

(1) في الأصل [استيلاؤه] والتصويب من ح.

(2) في ح [حزب].

(3) في الأصل [أنكره].

(4) ساقط من ح.

(5) الحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه 76/2 حديث رقم (361) وذكره ابن حجر في الفتح في كتاب التوحيد باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم وعزاه إلى ابن حبان مع تصحيحه له وقال وله شاهد عن مجاهد وأخرجه سعيد بن منصور في التفسير بسند صحيح عنه وأخرجه الهندي في كنز العمال في خطب النبي ﷺ ومواعظه حديث رقم (44158).

فإن قيل إنما حدث المستولي عليه، [قلنا] (١) له: أنه لا يلزم على ذلك أنه [استيلاء له] (٢) وصف بحدوث الموصوف، وهو سبحانه منزه من أن تكون صفاته حادثة، وأيضاً فإن الاستيلاء على العرش أو على أمر ما، لا يصح عند العرب إلا بعد عدم الاستيلاء كما تقدم، ثم إن التشبيه حقيقة إنما هو في الاستواء لا في المستوي والاستواء نسبة معلومة، فتنسب إلى كل منسوب بما تقتضيه حقيقة ذلك المنسوب وإذا كان الأمر كذلك فكيف يقال: استوى على العرش كما استوى بشر على العراق، [وقد عرفنا بشراً بحده وحقيقته، فعرفنا نسبة استوائه على العراق] (٣)، فهل حقيقة المستوي على العرش كحقيقة بشر على العراق لتصح المقابلة والمناسبة، وقد تحققنا أنه ليس كمثله شيء فلا مناسبة.

وحاصل الأمر أنهم انتقلوا عن التشبيه [بمحدث] (٤) إلى التشبيه بمحدث آخر فوقع في المعنى، فما بلغ العقل في تنزيهه مبلغ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (٥).

وسمعت شيخنا رحمته الله يقول: من أعظم (25/أ) ما وقع فيه

(1) في ح [قيل].

(2) في ح [حدث له].

(3) ساقط من الأصل والتصويب من ح.

(4) ساقط من ح.

(5) سورة الشورى آية: 11.

[العقلاء]^(١) من سوء الأدب مع الله تعالى عدم قبولهم ما أضافه الحق إليه ، فتراهم يكذبون بكل حال جعل الحق تعالى فيها نفسه مع عباده ، فهم [ينزهونه]^(٢) عن كل ما أضافه إلى نفسه ويجعلون نفوسهم أعلم بربهم [من رسولهم]^(٣) .

والله تعالى ما أمرهم أن [ينزهوه]^(٤) إلا بما أنزله على السنة رسله فقط لا بعقولهم وقد قال [الله]^(٥) تعالى : ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(٦) ، يعني عما يصفوني بعقولهم لا بما وصفت به نفسي ، ومعلوم أن العزة هي المنعة ، فامتنعت ذاته أن تكون محلاً لما وصفه به الملحدون ، والحق تعالى منزّه الذات لنفسه ، ما تنزهه بتنزيه عبده إياه ، فلذلك كان تنزيه العلماء بالله تعالى للحق إنما هو علم لا عمل إذ لو كان عملاً لكان [الله]^(٧) تعالى الذي هو المنزه محلاً لأثر هذا العمل ، فتفطن لهذه الإشارة لأنها في غاية اللطف ،

(1) في الأصل [من العقلاء] .

(2) في ح [ينزهونها] .

(3) في الأصل [ورسولهم] والتصويب من ح .

(4) في الأصل [ينزهونه] لأنه فعل مضارع منصوب بحذف النون لأنه من الأفعال

الخمسة والتصويب من ح .

(5) ليست في ح .

(6) سورة الصافات آية : 180 .

(7) من ح وليست في الأصل .

وكان شيخنا^(١) رحمته الله يقول: لا يوجد لنا قط تنزيه مطلق مجرد عن التشبيه أبداً، لأن ذلك سمع في الشرع، ولم يوجد في العقل، وأعظم ما وصلت عقولهم [إليه]^(٢) أن استواء الحق كاستواء بشر على مملكته كما مر^(٣).



-
- (1) يقصد به الشيخ الخواص .
 - (2) ليست من ح والزيادة من الأصل .
 - (3) راجع في هذا المقام حاشية الإمام العلامة الشيخ إبراهيم الباجوري المسماة تحفة المرید على جوهرة التوحيد طبعة بولاق ص 90 ففيها كلام نفيس له صلة وثيقة في هذا الموضوع .

فصل: يكره التأويل في حق من كمل إيمانه

ما قدمنا قبله في الفصل من كراهة التأويل إنما هو في حق من كمل إيمانهم، وتصديقهم [لما]^(١) أخبرت به رسلهم من العلماء العقلاء، أما من ليس بعالم ولا عاقل، فيجب ستر السر الإلهي عنه بالتأويل لأن كشف المعنى عن ذلك له ربما يؤدي إلى [اخترام]^(٢) الجنب الإلهي الأعز الأحمى، وكذلك ينبغي للعالم أن يستر على الجاهل السر [نحو]^(٣) قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾^(٤) ونحو قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(٥) ونحو قوله ﷺ: «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به»^(٦) إلى غير ذلك، فإن الجاهل إذا سمع ذلك ربما أداه [إلى]^(٧) فهم محذور من حلول أو تحديد أو نحوهما، فينبغي (25/ب) ستر ذلك، وكذلك ينبغي أن يستر ما [تعطف]^(٨) الحق تعالى به على قلوب العلماء مما قال به عما يقتضيه جلاله [من الغنى على

-
- (1) في ح [بما].
 - (2) في ح [عدم احترام] ومعنى اخترام: انتقاص.
 - (3) من ح وليست في الأصل.
 - (4) سورة المجادلة آية: 7.
 - (5) سورة ق آية: 16.
 - (6) تقدم تخريجه.
 - (7) الزيادة من ح وليست في الأصل.
 - (8) في الأصل [من عطف] والتصويب من ح.

الإطلاق] ^(١) نحو «جعت فلم تطعمني، ومرضت فلم تعدني» ^(٢) فإنه تعالى قد أول لعبده ذلك حين استنكره، وقال: لو عدته لوجدتني عنده، فأعطى للعالم في هذا الستر علماً آخر به لم يكن عنده، وذلك أنه في الأول جعل نفسه بمنزلة المريض [فكأنه] ^(٣) عين المريض . وفي تفسيره ذلك: جعل نفسه بمنزلة العائد للمريض فإن العائد للمريض عند المريض، [أو] ^(٤) جعل نفسه عند المرض الذي هو عند المريض، والستر في ذلك للعامي أن يقال له في قوله لوجدتني عنده، لأن حال المريض أبداً الافتقار والاضطرار، والغالب عليه ذكر الله في دفع ما نزل به، بخلاف الأصحاء وهو سبحانه قد قال: «أنا جليس من ذكرني» ^(٥)، فيقنع العامي بذلك وهو وجه صحيح في نفس الأمر، ويبقى العالم بما يعلمه [من] ^(٦) ذلك على علمه ويسمى هذا التليس

(1) في الأصل [من الإطلاق].

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والآداب - باب فضل عيادة المريض حديث رقم (2569) وابن أبي شيبة في مصنفه حديث رقم (1224) وحديث رقم (34287)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى مسلم والبيهقي في الأسماء والصفات، وأخرجه الهندي في كنز العمال في المجلد الأول حديث رقم (1871).

(3) في الأصل [فكان] والتصويب من ح.

(4) في ح [و] والتصويب من الأصل.

(5) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه حديث رقم (2569) وابن حبان في صحيحه حديث رقم (944) وعزاه العجلوني في كشف الخفاء للدليمي والبيهقي وأبي الشيخ في الثواب حديث رقم (611).

(6) في الأصل [على].

المحمود، وهو وظيفة الكمل من الورثة ي، فإنهم لو أظهروا للخلق ما يعلمونه من الأسرار لرموهم بالزندقة و[الكفر]^(١) كالحلاج^(٢) وأضرابه، والله يحفظ من يشاء كما يشاء، وتأمل الأعرابي لما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصف الحق بالضحك قال الأعرابي: لا نعدم خيراً من رب يضحك^(٣)، إذ كان كل من يضحك يتوقع منه وجود الخير، فأتبع وجود الخير للضحك، وهذا كله مبني على ما ثبت بالكشف أن جوهر العالم هو النفس الرحماني، الذي ظهرت فيه صور الموجودات، ومن لم يعلم ذلك فإنه يدركه في نفسه

(1) ساقط من الأصل والتصويب من ح.

- (2) هو الحسين بن منصور بن محمد أبو عبد الله الفارسي البيضاوي الصوفي، الحلاج، والبيضاء مدينة ببلاد فارس، نشأ الحسين بتستر فصحب سهل بن عبد الله التستري وصحب ببغداد الجنيد وأبا الحسين النوري وصحب عمرو بن عثمان المكي، وأكثر الترحال والأسفار والمجاهدة واختلف الناس فيه. (سير أعلام النبلاء 313/14) وذكر صاحب أبعاد العلوم: ولهذا أفتى الفقهاء وأكابر الصوفية بقتل الحلاج، لأنه تكلم في حضور وهو مالك لحاله، والله أعلم، انتهى (264) وقال صاحب الشذرات وقيله أبو العباس بن عطاء الله السكندري، ومحمد بن جعفر الشيرازي، وأبو قاسم النصر أباضي وصححو حاله، ودونوا كلامه، حتى قال الشيرازي: (الحسين بن منصور الحلاج عالم رباني) وعوتب النصرأباضي في شيء حكى عن الحلاج في الروح، فقال: (إن كان بعد النبيين والصديقين موحد فهو الحلاج) وقال السلمى: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت الشبلي يقول: كنت أنا والحسين بن منصور الحلاج شيئاً واحداً إلا أنه أظهر وكنمت. اهـ. شذرات الذهب 256/1.
- (3) ذكره السيوطي في جامعه حديث رقم (5207) وعزاه لأحمد في مسنده، وابن ماجه في سننه، وقال السيوطي: حديث صحيح وأخرجه ابن ماجه في افتتاح الكتاب في الإيمان باب فيما أنكرت الجهمية حديث رقم (181).

تكلف ومشقة [في قبول ذلك]^(١) في حق الحق، وحق كل ظاهر في صورة لكونه يعلم أنها ما هي له حقيقة فيتأول ويتعذر عليه في أوقات التأويل فيؤمن ويسلم ولا يدري كيف الأمر بخلاف العالم المحقق الذي [قد]^(٢) أطلعه الله على ما هي الأمور (26/أ) عليه في أنفسها، فمن أراد السلامة فليعبد رباً وصف نفسه بما وصف، فلا حكم للتشبيه فإن الحقائق ترمى بالمشابهة ومن لم يعلم ربه [من]^(٣) خبره عن نفسه فقد ضل ضلالاً [بعيداً]^(٤)، فإنه فصل ووصل، ولا فصل ولا وصل، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر^(٥).

*** ** **

(1) ساقط من الأصل وهو من ح .

(2) من ح وليست في الأصل .

(3) في الأصل [في] والأصح ما جاء في ح .

(4) في ح [مبيناً] .

(5) يشير إلى قوله تعالى ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ وَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾

الكهف آية: 29 .

فصل: الربوبية نعت إضافي

الربوبية نعت إضافي لا ينفرد به أحد المتضايين عن الآخر، فهي موقوفة على اثنين، ولا يلزم أن [يكونا]^(١) متساويين، فقد يكونان متباينين وقد يكونان غير متباينين، فمالك بلا ملك لا يكون وجوداً وتقديراً، ومليك بلا ملك لا يكون كذلك، ورب بلا مربوب لا يصح وجوداً وتقديراً، وهكذا كل متضايين، فنسبة العالم إلى ما تعطيه حقائق بعض الأسماء الإلهية [نسبة المتضايين من العالم، فالعالم يطلب تلك الأسماء الإلهية، وتلك الأسماء الإلهية]^(٢) تطلب العالم كالاسم الرب و[الخالق والقادر]^(٣) والنافع، والضار، والمحيي، والمميت، والقاهر، والعز، والمذل، إلى أمثال هذه الأسماء.

وثم أسماء إلهية لا تطلب العالم ولكن يستروح منها نفس من الأنفاس الرحمانية كالغني والعزير والقدوس وأمثالها وما وجدنا [قط لله]^(٤) أسماء تدل على ذاته خاصة من غير تعقل معنى زائد على الذات أبداً لأن ذلك إما أن يدل على فعل وهو الذي يستدعي [العالم]^(٥) ولا بد، وإما أن يدل على تنزيه وهو الذي يستروح منه صفات نقص

(1) في ح [لا يكونا] وهو خطأ واضح.

(2) ساقط من الأصل والزيادة من ح.

(3) في ح [والقادر والخالق].

(4) في ح [لله قط].

(5) ساقط من ح.

كوني ، تعالى الله عنها ، غير ذلك ما أعطانا الله ، فما تمَّ اسم علم ما فيه سوى العلمية لله أصلاً ، إلا إن كان ذلك في علمه استأثر الله به في غيبه مما لم يبد له لنا ، وسبب ذلك أنه تعالى ، ما أظهر أسماءه لنا إلا للثناء [بها]^(١) عليه ، فمن المحال أن يكون فيها اسم علمي أصلاً ، لأن الأسماء الأعلام لا يقوم بها ثناء على المسمى ، لكنها أسماء أعلام للمعاني التي تدل عليها ، وتلك المعاني هي التي يثنى بها على من ظهر عندنا حكمه به فينا وهو المسمى بمعانيها ، والمعاني (26/ب) هي المسماة بهذه الأسماء اللفظية كالعالم والقادر ، وباقي الأسماء فله الأسماء الحسنى ، وليست إلا هذه المعاني لا هذه الألفاظ ، فإن الألفاظ لا تتصف بالحسن والقبح إلا بحكم التبعية لمعانيها الدالة عليها وإلا فلا اعتبار لها من حيث ذاتها ، [وإنها]^(٢) ليست بزائدة على حروف مركبة ونظم خاص يسمّى اصطلاحاً لكن لها من الحرمة ما للمسمّى ، والله أعلم .



(1) ساقط من الأصل والزيادة من ح .

(2) في ح [فإنها] .

فصل: الحيرة في الله تعالى من كمال المعرفة

الحيرة في الله [تعالى] ^(١) من كمال المعرفة به، وهي سارية في العالم النوري والناري والترابي، لأن العالم ما ظهر إلا على ما هو عليه في العلم الإلهي، وما هو في العلم الإلهي لا يتبدل، ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ ^(٢) الآية فما فطر العالم إلا على الحيرة، وذلك لأن المرتبة الإلهية تنفي بذاتها التقييد عنها، والقوابل تنفي الإطلاق عنها، ولا تشهد إلا صورتها من التقييد، فهذا هو سبب شدة الحيرة في الوجود، ولا أحد أشد حيرة في الله من العلماء به، ولهذا ورد أنه ﷺ كان يقول: «زدني اللهم فيك تحيراً» ^(٣) ومع ذلك فأعلى ما يصل إليه العلماء بالله [تعالى] ^(٤) من طريق نظرهم مبتدأً البهائم

(1) من ح وليست من الأصل.

(2) سورة الروم آية: 30.

(3) لم أجد هذا الحديث بعد البحث والجهد المضني وقد ورد معناه في قول ابن الفارض رحمه الله:

زدني بفرط الحب فيك تحيراً وارحم حشاً بلظى هواك تسعراً
وبعده:

وإذا سألتك أن أراك حقيقة فاسمح ولا تجعل جوابي لن ترى
من قصيدة متوسطة في ديوانه ص 99 الطبعة الحسينية في القاهرة.

(4) في الأصل وليست من ح.

لأنها كغيرها مفطورة على الحيرة في الله عز وجل ، والإنسان يريد أن يخرج بما أعطاه الله تعالى له من العقل والروية وإمعان النظر عن الحيرة التي فطر عليها، فلا يصح له ذلك، وإلى هذا الذي قرناه الإشارة بقوله تعالى في حق قوم: ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(١) [فإن التشبيه بالأنعام إنما هو في الحيرة لا في المحار فيه فليس ذلك نقصاً في الأنعام، وقوله: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أي طريقاً لأنهم زادوا على ضلال البهائم حيرتهم في الله، والحيرة عمى بلا شك: ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(٢) (27/أ) أعني جاهل بالذات وأضل سبيلاً كما هو في الدنيا، ولذلك كان العارف المحقق عمرو بن عثمان المكي^(٣) يقول في صفة العارفين، وكما هم اليوم يكونون غداً، فعلم أن من طلب معرفة الذات من طريق الفكر والنظر كان مآله إلى الحيرة، كما أن من طلب الواحد في عينه لم يحصل إلا على الحيرة، فإنه لا يقدر على

(1) سورة الفرقان آية: 44.

(2) سورة الإسراء آية: 72.

(3) عمرو بن عثمان المكي قال عنه الأصفهاني في الحلية: ومنهم العارف البصير، والعالم الخبير، له اللسان الشافي، والبيان الكافي، معدود في الأولياء، ومحمود في الأطباء، أحكم الأصول، وأخلص في الوصول، أبو عبد الله عمرو بن عثمان المكي، ساح في البلاد، وباح في الوداد، وصحب الأصفياء من أهل الوداد، حلية الأولياء .391/10

الانفكاك من الجمع والكثرة في الطالب والمطلوب ، وكيف يقدر على ذلك ؟ وهو يحكم على نفسه بأنه طالب ، وعلى نفسه بأنه مطلوب ، ومقام الواحد يتعالى أن يحل في شيء ، أو يحل فيه شيء ، لأن الحقائق لا تتغير عن ذاتها ، إذ لو تغيرت لتغير الواحد في نفسه ، و[تغير]^(١) الحق في نفسه و[تغير]^(٢) الحقائق محال ، و[علم]^(٣) أن حيرة أهل الكشف والشهود أعظم من حيرة أصحاب النظر في الأدلة لاختلاف الصور عليهم عند الشهود فإن أصحاب النظر والفكر ما برحوا بأفكارهم في الأكوان فلهم أن يحاروا ويعجزوا ، وهؤلاء ارتفعوا عن الأكوان وما بقي لهم شهود إلا فيه ، فهو مشهودهم ، فكانت حيرتهم باختلاف التجليات أشد من حيرة النظائر في معارضات الدلالات ، وفي الحقيقة ما في الوجود إلا الله ، ولا يعرف الله إلا الله ، فمن وصل إلى الحيرة من المقربين فقد وصل والسلام .

وكان شيخنا رحمته الله يقول: العلماء بالله على أربعة أصناف ، صنف ما لهم علم بالله إلا من طريق النظر الفكري ، وهم القائلون: بالسلوب ، وصنف ما لهم علم بالله إلا من طريق التجلي ، وهم القائلون: بالثبوت والحدود التابعة للصور ، وصنف يحدث لهم علم بالله بين الشهود والنظر[فلا]^(٤) يبقون مع الصور في التجلي ، ولا هم يصلون إلى

(1) في ح [وتغيير] .

(2) في ح [وتغيير] .

(3) في ح [واعلم] .

(4) في ح [ولا] .

معرفة الذات الظاهرية بهذه (27/ب) الصور في أعين الناظرين ،
وصنف ليس واحداً من هؤلاء الثلاثة ولا يخرج عن جميعهم وهو
الذي يعلم أن الله تعالى قابل لكل معتقد في العالم ، من حيث [إنه] ^(١)
عين الوجود وهذا القسم ينقسم إلى صنفين : [صنف] ^(٢) يقول : [عين
الحق هو المتجلي] ^(٣) في صور الممكنات ، وصنف يقول : أحكام
الممكنات ، وهم الصور الظاهرة في عين الوجود الحق ، وكل قال ما
هو الأمر عليه ، ومن هنا فشت الحيرة في المتحيرين ، وهي عين الهدى
في كل حائر ، فمن وقف مع الحيرة حار ومن وقف مع كون الحيرة
هدى وصل ، ومن وصل لا يرجع ، لأن [من] ^(٤) المحال الرجوع بعد
الحجاب إلى الحجاب إذ المعلوم لا يجهله العالم بعد تعلق العلم به ،
ومرادنا بالوصول ، الوصول إلى السعادة الدائمة وهو معنى قوله : «فإذا
أحبته كنت سمعه وبصره» ^(٥) الحديث .

وأنشدوا في ذلك :

وكل [علم] ^(٦) له بدء يحققه علمي سوى حب رب ماله ثان
وغاية الحب في الإنسان وصلته روح بروح وجسمان بجسمان

(1) في ح [نحو] .

(2) ساقط من الأصل والتصويب من ح .

(3) في ح [الحق هو عين المتجلي] .

(4) ساقط من الأصل والزيادة من ح .

(5) تقدم تخريجه .

(6) في ح [حب] .

فإن إحسانه جزاء إحسان
نفسه وتصويره رد لبرهان

والوهم يعبد في صورة البشر
والكون يثبت في سائر الصور
**بل عين كن لم تكن إن كنت ذا
بصر**

وغاية الوصل بالرحمن زندقة
إن لم أصوره لم تعلم بما كلفت
وأنشدوا أيضاً في نحو ذلك:

الله لا عقل يصوره
والشرع يطلقه وقتا ويحصره
إن قال كن فلنم والعين واحدة

وأنشدوا أيضاً في حيرة العقول:

ما قلت إلا أنا هو أنتا
لو لم يكن ذاك ما [وجدنا]^(١)
ثبوت عين فقل [صدقنا]^(٢)
إذ قال كن لم [نكن سمعنا]^(٣)
الكون أو كون أنت [أنا]^(٤)

والذي قيل له لم يك ثم

فلو رأيت الذي رأينا
قد أثبت الشيء قول ربي
**(28/أ) فالعدم المحض ليس
فيه**
لو لم تكن يا حبيبي
فأي شيء قبلت منه
وأنشدوا أيضاً:

[عجبي]^(٥) من قائل كن لعدم

(1) في ح [وجدنا].

(2) في ح [صدقنا].

(3) في ح [نكن سمعنا].

(4) في ح [أنا].

(5) في ح [عجب].

ثم إن كن [فلم] ^(١) قيل له ليكن والكون ما لا ينقسم
فلقد أبطل كن قدرة من دل بالعقل عليها وحكم
كيف للعقل دليل والذي قد بناه العقل بالكشف انهدم
فنجاة النفس في الشرع فلا تك إنساناً رأى ثم حرم
فعلم أن من أعظم غلطات أهل النظر طلبهم الخروج عن الحيرة
بالخلوة والرياضة، وذلك لا يكون لهم أبداً، لأن التجرد عن المواد
يعقل [ولا يشهد] ^(٢) ولا يسلم [لهم] ^(٣) عقل من حكم وهم ولا خيال،
لأن كل ما سوى الله حقيقته الإمكان، والشيء لا يزول عن حكم نفسه
ولا يتعقل إلا ما كان على صورته تعالى الله عن ذلك.

وأنشدوا في الحيرة أيضاً:

لستُ أنا ولستُ هو فمن أنا ومن هو فيا هو هل أنت أنا
ويا أنا هل أنت هو [لا وأنا ما هو أنا] ^(٤) ولا هو هو ما هو هو
لو كان هو ما نظرت أبصارنا به له ما في الوجود غيرنا
أصلاً أنا وهو هو ^(٥)

وكان شيخنا رحمته الله يقول: من الرجال من زالت [عنهم] ^(٦) الحيرة

(1) في ح [فلما].

(2) ساقط من الأصل والتصويب من ح.

(3) في ح [له].

(4) ساقط من الأصل والتصويب من ح.

(5) هذا الكلام مرفوض شرعاً وعقلاً ولا يقبل من صاحبه لأنه في غيبة عن نفسه بل

أشبه بالهذيان.

(6) في ح [عنه].

في الله عز وجل فقلت له كيف ذاك؟ فقال إذا تجلى الله تعالى للقلب في غير عالم المواد زالت الحيرة، وعلم من الله على قدر ذلك التجلي من غير [تعيين]^(١)، إذ لا يقدر أحد على تعيين ما قد تجلى له من [الحق تعالى إلا كونه تجلى في غير مادة لا غير]^(٢)، ثم إذا رجع من هذا التجلي إلى عالم المواد صحبه تخيل تجلي الحق (28/ب) تعالى، فما من حضرة يدخلها إلا ويعرف الله [تعالى]^(٣) في [تجلياته]^(٤) لأنه قد ضبط من معرفته أولاً ما ضبط، فيعلم أن التجلي قد تحول في أمر آخر فلا يجهله بعد ذلك أبداً، ولا ينحجب عنه فإن الحق تعالى ما تجلى لأحد هذا التجلي فانحجب عنه بعد ذلك أبداً فإذا نزل العبد إلى عالم خياله وقد عرف الأمور على ما هي عليه مشاهدة، بعد أن كان عرفها قبل ذلك علماً وإيماناً، رأى الحق [تعالى]^(٥) في صورة الخيال مقيداً فلم ينكره، لكن لا يسعه السكوت لأنه حينئذ يرى أن لا معلوم إلا الله، وإذا كان لا معلوم إلا الله فلا يدري أحد ما يقول ولا كيف [يسبب]^(٦) الأمور.

وأنشدوا في تجلي عالم المواد:

(1) في ح [التعيين].

(2) ساقط من ح.

(3) ساقط من ح.

(4) في ح [تجليها].

(5) ساقط من الأصل.

(6) في ح [ينسب].

من قال يعلم أن الله خالقه العجز عن درك الإدراك معرفة
ولم يحرر كان برهاننا بأن جهلاً كذا هو الحكيم فيه [عند⁽¹⁾] من عقلا
والله تعالى أعلم.

(1) في الأصل [كل] والتصويب من ح.

فصل: في جملة من الهوائف الربانية

في جملة من الهوائف الربانية المشعرة [بجهل]^(١) الخلق بكمال معرفتهم بربهم عز وجل: مما سمعنا أو بلغنا عن سماع غيرنا، من ملك، أو جني، أو غيرهما، وكثيراً ما يعبر عنه القوم بقولهم: حدثني قلبي عن ربي، يعنون من طريق الإلهام لا من طريق التكلم، كما وقع لموسى عليه السلام، ففرق بين حدثني وكلمني فافهم، وكثيراً ما يقع للذاكر إذا [دام]^(٢) على الذكر من غير تخلل فترة أن يسمع نطق قلبه بسمعه، بل يسمع [نطق]^(٣) جسده كله بل نطق جميع [الحيوانات]^(٤) والنباتات وجميع [الجمادات]^(٥)، وكل ما سمعه هذا الذاكر عن سمعه من الجمادات وغيرها صحيح، وقد يكون هذا الناطق عين قلبه وقد يكون ملكاً يخلق من ذكره، وقد يكون روحاً يستلزمه.

وكثيراً ما يقول (29/أ) صاحب المواقف والمخاطبات^(٦) قال: لي الحق، وقلت: له، ومراده: ما ذكرناه، أو لكونه لم ير قائلاً في الوجود غير الله حالاً ولفظاً، وكل ذلك علم محقق، لكن ينبغي كتم

(1) في ح [بجهل] والتصويب من ح.

(2) في ح [دوام].

(3) في ح [نطقه].

(4) في ح [الجمادات].

(5) في ح [الحيوانات].

(6) صاحب كتاب المواقف والمخاطبات محمد بن عبد الجبار النفري ت 354 هـ وهو

من كتب القوم المعتمدة.

ذلك بحضرة القاصرين لتوهمهم أن ذلك دعوى منه بأن الحق يكلمه ،
فإن سأل صاحب هذا المقام سائل فينبغي تعريفه بالأمر ، لأن أهل الله
أهل صدق إذا كان السائل مؤمناً بما يقوله أهل طريق الله عز وجل ،
فإن كان ، متردداً في إيمانه بذلك سكت عنه إذا كان ممن لا تلزمه طاعته
شرعاً ، [وليس] ^(١) عنده أهلية لذلك ، فإن كان ممن تلزمه طاعته [شرعاً
وليست عنده أهلية لذلك] ^(٢) قال: إنما هي عبارات [الأحوال] ^(٣)
ونطق حال ، لا نطق مقال ، فإنه يسكت إن شاء الله تعالى ، [وذلك] ^(٤)
كما تقول الأرض للوتد: لم تشقني؟ فيقول لها الوتد سلي من يدقني
يعني [الدقاق] ^(٥) الذي يدق به الوتد ، وغير ذلك من الأمثال ، ومن
فهم معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَدَدَلَى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ ^(٦)
عرف أن كل صورة في العلم متى فارقت مكانها اتصلت بالأخرى ،
فإن لكل صورة من الصورتين قوساً؛ أظهر التقويس والفرقان بين
الصورتين الخط الذي قسم الدائرة بنصفين ، فكان الأمر عيناً واحدة ثم
ظهر بالصورة أمره ، فلما صار الحكم أمرين كان من الأمر الواحد
تدل ، لأن العلو كان له وفي عين هذا التدلي دنو الأمر الآخر ، وكان

(1) في ح [وليس] .

(2) ساقط من ح .

(3) في ح [أحوال] .

(4) في الأصل [بذلك] والتصويب من ح .

(5) في ح [الدقاق] .

(6) سورة النجم آية: 9 .

من الأمر الآخر تَدَانٍ إلى من تدلى إليه، فكان دنوه عروجاً، لأن تدلى الأمر الآخر إليه أعلمنا أن السفلى كان قسم هذا الآخر، وما تدانى كل واحد من الآخر إلا ليرجع الأمر كما كان دائرة واحدة لا فصل بين قطريها، فكأنهما بالتقارب يسعيان في إزالة الخط الذي بالحجاب عنه تعالى، ووصف نفسه بالنزول إلينا علمنا أنه يريد رجوع الأمر إلى ما كان عليه تعالى، ثم بعد علمنا بما قد علمنا وتحققنا، قال عن نفسه أوجب التقسيم في الدائرة، فموضع التقسيم «قسمت الصلاة (29/ب) بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي ونصفها لِعَبْدِي ولِعَبْدِي مَا سَأَلَ»^(١)، وما العبد سؤال [إلا]^(٢) في إزالة هذه القسمة، حتى يعود الأمر الظاهر كما كان، فأجابه الحق إلى سؤاله [بقوله]^(٣) ولِعَبْدِي مَا سَأَلَ فَقَالَ: ﴿وَالِيَهُ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾^(٤) فعلم أن الخط الذي قسم الدائرة ليس إلا عين تميّز العبد عنه، وتميزه عن عبده من الوجه الذي كان به إلهاً وكان العبد به [عبداً]^(٥).

(1) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، حديث رقم (395) وأبو داود في سننه في كتاب الطهارة باب من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب، حديث رقم (819) وابن خزيمة في صحيحه حديث رقم (502) وابن حبان في صحيحه حديث رقم (775).

(2) ساقط من الأصل والتصويب من ح.

(3) في الأصل [يقول] والتصويب من ح.

(4) سورة هود آية: 123.

(5) في الأصل [وعيداً] والتصويب من ح.

فلما تعين [التمييز]^(١) [وقع]^(٢) الاتصال بالتكوين ، وأظهر الخط حكمه ووصفنا «أنه سمعنا الذي نسمع به وبصرنا الذي نبصر به»^(٣) ، وذكر لنا جميع القوى التي نجدتها من [أنفسنا]^(٤) وأثبت في هذا الوصل أعياننا ، فلا يشبه ما رجع الأمر إليه ما كان عليه قبل الفصل ، لأن الذي أثبتته الخط من الحكم ما يزول وإن زال الخط فأثره باق [لأننا]^(٥) وقد علمنا أن الدائرة قابلة للقسمة بلا شك ، ولم [نك]^(٦) نعلم ذلك ، فإذا اتصلت الدائرة فلا يزول العلم منها ، إنها ذات قسمين من أي جزء فرضته فيها ، وذلك لما [روي]^(٧) في الأخبار الإلهية من اتصاف الحق بصفات الخلق ، واتصاف الخلق بصفات الحق ، ومع كل هذا القرب الذي فرضناه ؛ فالجهل من لازم الخلق أجمعين ، فإن الحق تعالى إذا كان قد حبس عن عباده الذين اصطفاهم أن يعرفوه حق معرفته ، فكيف بغيرهم! ممن لو قيل له: كيف تدبر نفسك التي في بدنك؟ وهل هي داخلة فيه؟ أو خارجة عنه؟ أو لا داخلة ولا خارجة ، وهل الزائد الذي يتحرك به هذا [الجسم]^(٨) الحيواني ويسمع ويبصر

-
- (1) في ح [التمييز] .
 - (2) في ح [ووقع] .
 - (3) تقدم تخريج الحديث .
 - (4) في ح [نفوسنا] .
 - (5) في ح [لأننا] .
 - (6) في ح [نكن] .
 - (7) في ح [ورد] .
 - (8) ساقط من الأصل والزيادة من ح .

ويتخيل ويتفكر لماذا يرجع؟ هل لو احد؟ أو لكثيرين؟ وهل يرجع إلى عرض (30/أ) أو إلى جوهر، وتطلبه بالأدلة العقلية على ذلك فضلاً عن الشريعة، ما وجد لذلك دليلاً عقلياً أبداً، ولا عرف بالعقل أن للأرواح بقاء ووجوداً بعد الموت [أبداً]⁽¹⁾، فالحمد لله رب العالمين. فإذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق:

1) هاتف إلهي:

كيف يستدل عليّ بشيء من مصنوعي؟ وأنا أظهر من كل ظاهر، وأخفي من كل باطن، وأقرب إلى كل شيء من معرفته بنفسه، ولو أبديت لعبادي لغة العز لخطفت الأفهام، ودرست المعارف، ولو أبديت لهم لسان الجبروت لأنكرت المعارف.

2) هاتف آخر:

كيف يستدل عليّ بشيء؟ وأنا لست بشيء، ولا مثلي شيء يشهد، ولو كنت شيئاً لجمعتني مع غيري [الشيئية]⁽²⁾ فيقع التماثل، وأنا لا شبيه لي.

3) هاتف آخر:

جميع التعريفات التي أبديتها لعبادي لا تحتمل تعرفي الذي لم يُبدَ، فإنني لا أنا التعرف، ولا أنا العلم، ولا أنا كالتعريف، ولا أنا كالعلم، وكل ما علمه عبادي بأوهامهم فهو هباء منثور.

(1) ساقط من الأصل والزيادة من ح.

(2) في ح [المشيئة] والتصويب من ح.

4 هاتف آخر:

ما عرفته لعبادي من القرب ليس هو القرب الذي أعرفه أنا، فلا بعدي عرفوا ولا قربي عرفوا، ولا صفتي كما يليق بي عرفوا، ولذلك أنا القرب الذي عرفوه مسافة، والبعد الذي عرفوه مسافة، [وأنا]^(١) القريب البعيد بلا مسافة وأنا أقرب إلى اللسان من [النطق]^(٢) إذا نطق.

5 هاتف آخر:

جهلني من أنكرني [و]^(٣) أنكر شيئاً من جميع الوجود، وكيف يدّعي عبادي معرفتي؟ وأنا إذا تجليت لهم في الآخرة ينكرون ربوبيتي، ويتعوذون منها، وبها يتعوذون، ولكن لا يشعرون، ويقولون لذلك التجلي: نعوذ بالله منك، وها نحن لربنا [منتظرون]^(٤)، فحينئذ أخرج عليهم بالصورة التي لديهم فيقرون [لي]^(٥) بالربوبية، وعلى أنفسهم بالعبودية، فهم (30/ب) لعلامتهم عابدون، وللصورة التي تقررت عندهم مشاهدون، فمن قال منهم [بأنه]^(٦) عبدني فقله زور، وكيف

(1) في ح [وأنا].

(2) في ح [نطقه].

(3) في ح [أو].

(4) في ح [لمنتظرون].

(5) الزيادة من ح.

(6) في ح [أنه].

[يصح] ^(١) له دعوى أنه عبدني؟ وعندما تجليت له في الآخرة أنكرني ،
[فمن] ^(٢) قيدني بصورة دون صورة فهو عابد وثن ، وهو جاحد لي
[وإن] ^(٣) لم يقيدني لم يحصرني ، ومن لم يحصرني لم يعرفني .

6 هائف آخر ^(٤):

متى رأيت نفسك ثابتاً ، ولم ترني في الرؤية مثبتاً ، حُجب عنك
وجهي ، وأسفر لك وجهك ، فانظر ما بدا لك ، وما توارى عنك ، وإن
لم تجعل كل ما بدا ويبدو وراء ظهرك لم تفلح ، وإذا لم تفلح لم تجتمع
عليّ [وإذا لم تجتمع] ^(٥) لم ترني ، وإذا لم ترني لم تكن بي .

7 هائف آخر:

ما [خلقت لك] ^(٦) [وجهين] ^(٧) إلا لتنظري بوجه ، وتنظر ذاتك
[بالوجه الآخر] ^(٨) ، لكن مع أي وجه توجهت إليه غبت عن الآخر ،
غير أن هنا لطيفة أنبهك عليها ، وذلك أنك إذا توجهت إلى مشاهدة
وجهك غبت عن وجهي وعن وجهك ، فإذا انقلبت إليّ فني عنك

(1) في ح [تصح] .

(2) في الأصل [فقد] وهو خطأ والتصويب من ح .

(3) في ح [ومن] .

(4) ساقط من الأصل .

(5) ساقط من ح .

(6) في ح [ما خلقتك] .

(7) في ح [بوجهين] .

(8) في ح [بوجه آخر] .

وجهك ، فصرت غريباً في الحضرة ، تستوحش فيها ، وتطلب وجهك الذي كنت تأنس به فلا تجده ، وإن توجهت إلى وجهي وتركت وجهك أقبلت عليك ولم يكن لك مؤنس غيري ، ولا مشهود إلا إياي ، فإذا انقلبت إليّ الانقلاب الخاص الذي لا بد لكل إنسان منه ، وجدته أنيساً وجليساً وصاحباً ، ففرحت بلقائي ، وتذكر أنسك الماضي فتزداد أنساً إلى أنسي ، وترى عندي وجه ذاتك ولا تفقده ، فتجمع بين الوجهين [في الصورة الواحدة] ^(١) ، فيعظم الابتهاج والسرور و[الفرح] ^(٢) [ولكن كل ذلك الفرح والسرور] ^(٣) إنما هو بغيري لا بي ، فإنك لم تعرفني [وكيف تعرفني؟] ^(٤) وأنا لا جسم ولا أنا معنى .

(8) هاتف آخر:

كل ما جمعت على المعرفة (31/أ) فهو معرفة ، ولكن غاية المعارف كلها تنتهي إلى الجهل بي ، فإن كل شيء يستدل به على معرفتي يشهد لي بأنه ليس كمثلي شيء ، وذلك أقصى علمه وغاية معرفته ، وكل شيء في العالم لا [يتعدى] ^(٥) دلالاته نفسه ولو بلغ في أعلى مراتب القرب مني .

(1) في ح [في صورة واحدة] .

(2) ساقط من الأصل والزيادة من ح .

(3) ساقط من ح .

(4) ساقط من الأصل والزيادة من ح .

(5) في ح [تتعدى] .

(9) هاتف آخر:

كيف يدعي معرفتي ويحكم علي بعلمه، وأنا إذا شئت تنكرت بما به تعرفت، وأجهلت بما به أعلمت؟ وليس العارف [لي] ^(١) إلا الذي يقول: سبحان من لا تعرفه المعارف، و[لا] ^(٢) تعلمه المعلومات، فإن المعارف إنما هي نور من أنواري، والمعلومات إنما هي كلمة من كلماتي.

(10) هاتف آخر:

لا تخرج من بيتك إلا إليّ، ولا تدخل إلا إليّ، تكن في ذمتي وجواري، واعلم أنه لا يُدخل عليّ بالأجسام، ولا تدرك معرفتي بالأوهام، فاذهب عن الأسماء تذهب عن المعاني، فإذا ذهبت عن المعاني صلحت لمعرفتي.

(11) هاتف آخر:

كل مشار إليه ذو جهة، وكل ذي جهة [مكيّف] ^(٣)، وكل [مكيّف] ^(٤) منظور، وكل منظور متخيل، وكل متخيل معلوم، وكل معلوم مفهوم، فمن أشار إليّ فما عرفني.

(12) هاتف آخر:

إذا تعرّفت إليك ولو مرة في عمرك [فقد أعلمتك] ^(٥) بولايتي

(1) في ح [بي].

(2) ساقط من الأصل والتصويب من ح.

(3) في الأصل [مكتنف] والتصويب من ح.

(4) في الأصل [مكتنف] والتصويب من ح.

(5) ساقط من الأصل والزيادة من ح.

لك، فتكون بيني وبين كل شيء، فلا تجعل بعد ذلك بيني وبينك
 اسمًا ولا علمًا، واطرح كل شيء أبديته لك من الأسماء والعلوم لئلا
 تحتجب بذلك عني، واعلم أن نفسك حجابك، وعلمك حجابك،
 وتعرفني إليك حجابك، فأخرج من قلبك كل شيء، والعلم بكل شيء،
 والذكر لكل شيء، وفرغ قلبك من كل شيء، لتتنظر إليّ وتحصل على
 كل شيء، وترى الضدين يجتمعان، وذلك بدو أعلام التحقيق، وإذا
 بدت آيات العظمة رأى العارف معرفته نكرة.

(13) هاتف آخر:

إذا رأيتني والسوى فغط وجهك (31/ب) وقلبك حتى يخرج
 السوى، إن لم تغطهما خرجت وبقي السوى، وإذا رأيت اسمي ولم
 ترني فما [علمك]⁽¹⁾ لي ولا أنت عبدي، وإذا رأيتني مع كل شيء،
 فألق المعية وابق لي وحدي، فلا أغيب عنك فأنت مطلوبتي وأنا
 ضالتك، وما منّا من غاب.

(14) هاتف آخر:

إذا رأيتني فاسترني، وإذا لم ترني فلا تفارق اسمي، تهلك،
 واعلم أن لكل شيء اسمًا [لازمًا]⁽²⁾، ولكل اسم [أسماء]⁽³⁾ فالأسماء
 تفرق عن الاسم، والاسم [قد]⁽⁴⁾ يفرق عن المعنى، ومن لم يرني

(1) في ح [عملك].

(2) في ح [لازم].

(3) في الأصل [اسمًا] والتصويب من ح.

(4) ساقط من ح.

من وراء الضدين رؤية واحدة لم يعرفني .

(15) هاتف آخر:

إذا رأيتني فاسترني عمن لم يرني فإن لم تفعل وتاه أخذتك به .

(16) [هاتف آخر]^(١):

أنا ظاهر لا للظهور، ولا لنفسه ولا لأرى، ولا لأن لا أرى
[ولا]^(٢) لما [ينعطف]^(٣) عليه لام علة، [وأنا غيب]^(٤) لا عمّا ولا
عن ولا لم ولا لأن، ولا فيما، ولا في، وأنا في كل شيء بلا
[أينيه]^(٥) منه ولا حيثية فيه ولا [محلّية منفصلة]^(٦) ولست فيها، ولا
هي في [واعلم]^(٧) أني لست معيونا للعيون، ولا معلوماً للقلوب،
وإذا كان فعلك لا يحيط بك فكيف [تحيط بي]^(٨) وأنت فعلي .

(17) هاتف آخر:

ما تعرفت إلى قلب إلا أفنيتته عن جميع معارفه، فقف من وراء
الكون واسأله عني تجد الكون كله جاهلاً بي، واسأل الجهل تجد الجهل

(1) ساقط من الأصل .

(2) في ح [أولاً] .

(3) في ح [تتعطف] .

(4) في الأصل [ولا أنا غيب] والتصويب من ح .

(5) في الأصل [عينية] والصواب ما ذكر في ح لأن الأينية تقابلها الحينية .

(6) في الأصل [ولا محلّة من فصله] والتصويب من ح .

(7) في الأصل [اعلم] والتصويب من ح .

(8) في الأصل [يحيط] والتصويب من ح .

جاهلاً^(١).

(18) هاتف آخر:

متى كنتى الرسول إليك قولاً أو فعلاً فأنت في عرصة الحجاب ،
ومتى جمعتك الأقوال عليّ ، فلا قرب مني ، لأن الحروف عاجزة أن
تخبر عن نفسها ، فكيف تخبرك عني ؟ فأنا المخبر عني لمن أشاء ، وأنا
الظاهر لا كما ظهرت الظواهر ، وأنا الباطن لا كما بطنت
البواطن ، وعلمك بي من وراء الحروف لا في الحروف ، لأن
لحضرتي تحرف الحروف فاخرج عن العلم تخرج من الجهل ، واخرج
[عن]^(٢) البعد تخرج عن القرب والبعد ، واخرج من القرب تر الله
[تعالى]^(٣)

(19) هاتف آخر:

أُخرج عن الموصول والمفصول والصفات كلها ، فإنه لا يهجم
عليّ شيء منها وإذا أريتك نفسي فاعلم أنك أبعد الأبعدين عني ، لأنني
و[شيء]^(٤) آخر لا نجتمع ، فجالس نفسك وحدها أجالسك ، واستعد
من شر ما عرفته .

(20) هاتف آخر:

لا تجعل الكون من فوقك ، ولا تحتك ، ولا عن يمينك ، ولا

(1) ساقط من الأصل والزيادة من ح .

(2) في ح [من] .

(3) ساقط من ح .

(4) في ح [وشياً] .

عن شمالك، ولا في عملك، ولا في وجدك، ولا تعبر عنه بلغة من لغاتك، وانظر من قبلي فثم مقامك، فأقم فيه ناظرًا إليّ كيف كوّنت؟ وكيف أكون؟ وكيف بعدت فيما قربت؟ وكيف دنوت فيما بعدت؟ فإذا دخلت علي فادخل وحدك ولا تدخل عليّ بعلم ولا معرفة، فإن دخلت بذلك فلا تجدني ولا تعرفني لأن الدليل من جنس الحجاب، ومن كان دليله من جنس [الحجاب] ^(١) احتجب عن حقيقة ما دل عليه، ومن لم يكن جاذبه الحق تعالى إليه لم يصل إليه.

21) هاتف آخر:

إذا جاءك [التأويل] ^(٢) فقد جاءك الذي لا أنظر إليه، ومقتي الذي لا أعطف عليه، وإذا جاءك العلم الصادر عن المشاهدة أحرق العلوم والعلماء، واعلم أنه ما آمن بي من حكم عقله على آياتي وصفاتي، وما أضفته إلى نفسي على السنة رسلي، وأنا ما قلت إلا ليؤمنوا بي لا بعقولهم، ومن أول فما آمن [بي] ^(٣) حقيقة إلا بعقله لا بي، فإن قال: ما قصد بالتأويل إلا تنزيهي فذلك من حيل النفوس [وجها لمنازعة ربوبيتي] ^(٤) وأن تكون متبوعة لا تابعة.

22) هاتف آخر:

ما عرفني من عرف قربي بالحدود، وما عرفني من عرف بعدي

(1) في ح [حجابه].

(2) في الأصل [الدليل] وبقية الكلام يدل على الصواب على ما جاء في الأصل.

(3) ساقط من ح.

(4) في الأصل [وجها يوزغة ربوبيتي] والتصويب من ح.

بالحدود، وما شيء أقرب إلي من شيء .

(23) هاتف آخر:

لا تدخل عليّ بعلم فتجهل، ولا [بجهل]^(١) فتخرج، واخرج من العلم الذي ضده الجهل، واخرج من المعرفة التي ضدها النكرة تجدني .

(24) هاتف آخر:

الأكوان كلها طالبة لي من وراء الأكوان، و[الخلاء]^(٢) [لا]^(٣) نهاية له لأنه (32/ب) امتداد متوهم لا في جسم، وليس لخلقي مركز يستقرون عليّ إلا معرفتي، ولا سبيل لهم إلى الوقوف على معرفتي فالطالب [لي منهم]^(٤) دائماً مستمر أبد الأبدين ودهر الدهرين، وهذا تحير فيه العقول، وإذا كانت هذه حيرتهم في مخلوق فكيف الحيرة فيّ .

(25) هاتف آخر:

وإذا أحببتني فألق العبارة وراء ظهرك، وألق المعنى وراء العبارة، وألق الوجد وراء المعنى، فإن جئتني بشيء مما بدا فلست مني ولا أنا منك، فآلقني وحدك أعلمك كيف تتأهب للقائي، واحذر إذا أقمتك في مقام معرفتي أن تطلب الخروج منه، فإن خرجت أوقدت لك ناراً

(1) في الأصل [ولا تجهل] وسياق الكلام يدل على أن ما في ح هو الصواب .

(2) في الأصل [الخلال] والتصويب من ح .

(3) ساقط من الأصل والتصويب من ح .

(4) في ح [منهم لي] .

مفردة.

26) هاتف آخر:

قل للعارفين: إن رجعتم تسألوني عن معرفتي فما عرفتموني ، وإن رضيتم القرار على ما عرفتم ، فما أنتم مني ، وإياكم أن تتكلموا في معرفتي بغير [ما أخبرت] ⁽¹⁾ به عن نفسي على السنة رسلي ، واعلموا أنكم من أهل من لا يتكلم فيه ، فلا تتكلموا أنتم فيه تخرجوا من مقام العارفين إلى مقام الزائرين .

27) هاتف آخر:

إذا تعلق العارف بالمعرفة وادعى أنه تعلق بي هرب من المعرفة كما يهرب من النكرة ، وإذا ادعى [الوصول] ⁽²⁾ إليّ فهو في حجاب عني بدعواه .

28) هاتف آخر:

أعلى معارف خلقي بي أن يشهد أحدهم العرش وحملته ، وما حواه من كل ذي معرفة ، يقول بحقائق إيمانه [ليس كمثله شيء] ⁽³⁾ ثم هو بعد ذلك في حجاب عني بذلك ، ولو رفع حجابي لاحترق

(1) في الأصل [ما أجزت] والصواب من ح .

(2) في ح [الوصل] .

(3) في ح [ليس كمثله شيء] .

العالم بأسره في [لمح] ^(١) البصر.

29) هاتف آخر:

لا تبدو الولاية لعبد إلا بعد الفراغ من [سوائي] ^(٢)، وحتى يتفرغ من علمه ومعرفته، ويدخل مقام البهت في حضرة الجبروت، وهناك يرى المعرفة أصناماً، والعلوم أزلاماً.

30) هاتف آخر:

رسول رحمة لا يحيط بمعرفتي (33/أ)، ورسول عقوبة لا يحيط بمعرفتي، وغاية علم العلماء بي جهل، فلا أنا [بما] ^(٣) عرفوه، ولا أنا ما جهلوه.

31) هاتف آخر:

كيف [يصح] ^(٤) لعبد [مراقبتي] ^(٥) وأنا ذاتي لا تعرف؟ ونسبتي إلى العالم لا تعلم؟ [وإن] ^(٦) جعل الأشياء مظاهري وراقبها فما راقبني [وإنما راقب الأشياء لا أنا] ^(٧).

32) هاتف آخر:

-
- (1) في ح [لمح].
 - (2) في ح [سواي].
 - (3) في ح [ما].
 - (4) في ح [تصح].
 - (5) في ح [معرفتي].
 - (6) في الأصل [وإنما] وهو خطأ والتصويب من ح.
 - (7) في ح [وأنا].

أنت عبد [السّوى] ^(١) ما رأيت للسوى أثراً وحكماً، فإذا لم تر
السّوى لم تتعبد لسوائي، واعلم أن محوك للسوى إثبات له، لأنك ما
[محوته] ^(٢) حتى أثبته.

(33) هاتف آخر:

معرفة لا جهل فيها لا تبدو، [وجهل] ^(٣) لا معرفة فيه لا يبدو.

(34) هاتف آخر:

عرّفني إلى من يعرفني يراني عندك، فيسمع مني، ولا تعرّفني إلى
من لا يعرفني يراك ولا يراني، فلا يسمع مني وينكرني، وإذا سألك
أحد عني فسله عن نفسه، فإن عرفها فعرفني إليه، وإن لم يعرفها فلا
تعرّفني إليه، فإنني قد أغلقت بابي دونه.

(35) هاتف آخر:

[لست النور الذي تعرفه، ولا الظلمة التي تعرفها] ^(٤).

(36) هاتف آخر:

أنا النور، وأنت الظلمة، ولا تجتمع الظلمة والنور؟، كما لا
يجتمع الليل والنهار، فإن رأيت النهار لم ترّ الليل، وإن رأيت الليل لم
ترّ النهار، وكذلك إن شهدتني لم ترّ خلقي، وإن شهدت خلقي لم ترني،

(1) في الأصل [السوء] والتصويب من ح.

(2) في الأصل [ما محوت] والتصويب من ح.

(3) في الأصل [وبجهل].

(4) ساقط من ح.

ولا يمكنك شهودي مع خلقي أبداً، لأن معيتي علم لا شهود فيه .
واعلم: أن نورك الذي أنت عليه إنما هو من حيث ما تواجهني
من ذاتك، ولو كنت أنت النور لما ظهر للظل عين، فأنا النور وأنا
مذهبه، وأنت لست أنا فأنا النور بلا ظل وأنت النور [المتزج]^(١)
لإمكانك، فأنت بين الوجود و[العدم]^(٢) لا تتخلص لأحدهما فلا
أنت موجود، ولا أنت معدوم، إذ لو كنت موجوداً لا تتصف بالعدم
لكنت حقاً، ولو كنت معدوماً لا تتصف بالوجود لكنت مُحالاً، فإن
أعرضت عن ظلك فقد أعرضت عن إمكانك وجهلتي فلم تعرفني،
(33/ب) فإنه لا دليل لك على أنني إلهك وربك وموجدك إلا
إمكانك وهو شهود ظلك، [ولا]^(٣) تنظر إلي نظراً يغنيك عني فتدعي
أنك أنا فتقع في الجهل، ولا تنظر [إلى ظلك]^(٤) نظراً [يفنيك]^(٥) عني
فتجهل ما [خلقتك]^(٦) له، فكن تارة وتارة، وما خلقت لك عينين إلا
لتشهدني بالواحدة، وتشهد ظلك بالآخرة .

37 هاتف آخر:

من ادعى معرفتي وأضاف لغيري أمراً خارجاً عن أمري
فما عرفني، ومن أشكل عليه أنني أنا الفاعل وحدي في الوجود،

(1) في ح [المتزج].

(2) ساقط من الأصل.

(3) في ح [فلا].

(4) في الأصل [إلي] والتصويب من ح.

(5) في ح [يفنيك].

(6) في الأصل [ما خلقتك] والتصويب من ح.

فليرتق بعقله إلى المخلوق [الأول] ^(١) الذي لم يتقدمه مخلوق .
ولم يكن موجوداً إلا أنا ويقف ينظر من كان شريكى في الخلق
[يزول] ^(٢) إشكاله ، فأنا الذي أخلق الأشياء عند الأسباب لا
بالأسباب [فتكون] ^(٣) عن أمرى ، خلقت النفخ في عيسى ، وخلقت
التكوين في الطائر ، فلا تقل لي فنفسك إذا خاطبت بقولك افعل أو لا
تفعل لأن حضرتي لا تقبل [المخالفة] ^(٤) ، وما يخاطبني سوى ما
خلقت ، وما خلقت إلا ما علمت ، وما علمت إلا ما هو المعلوم عليه
في نفسه انتهى .

قلت: وقد تقدم في فصل الحيرة أنهم أنشدوا في هذه الحضرة:
فلو رأيت الذي رأينا ما قلت إلا أنا هو أنت
[أثبت الشيء قول ربي لو لم يكن ذاك وجدت] ^(٥)
فالعدم المحض ليس فيه ثبوت عين فقد صدقتنا
لو لم تكن ثم يا حبيبي إذ قال كن لم تكن سمعنا
فأي شيء قبلت منه الكون أو كون أنت أنتا
وأنشدوا أيضاً: (أ/34)

-
- (1) ساقط من ح .
 - (2) في ح [يزول] .
 - (3) في الأصل [فتكون] والتصويب من ح .
 - (4) في ح [المحاqqة] .
 - (5) في ح [البيت هذا محله البيت الأول] .

عجبي [لقائل] ^(١) كن لعدم والذي قيل له لم يكن ثم
ثم إن كان فلم قيل له ليكن والكون ما كان عدم
[وإيضاح] ^(٢) هذا الهاتف والشعر: أن [الله] ^(٣) تجلياً في [صور] ^(٤)
تقبل القول والكلام لها بترتيب، كما له تعالى التجلي في الصور
وغيرها، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾ ^(٥) فقولنا: كونه
متكلماً أن يقول له كن [فكن عين ما تكلم] ^(٦) به فظهر عنه الذي قيل
له، والسر في ذلك أنه أضاف التكوين إلى الذي يكون لا إليه تعالى ولا
إلى قدرته، بل أمر الشيء بالظهور فامتثل الأمر، في حال عدمه
و[مشيئته] ^(٧) فاندفع بذلك [استشكال] ^(٨) من يقول إن كلمة كن [لا
يدخل] ^(٩) تحتها إلا مخلوق، وبذلك يتضح لك أيضاً قول ابن عباس في
تفسير قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ ^(١٠) أنه تعالى قال لعلمه كن

-
- (1) في ح [من قائل].
 - (2) في الأصل [وإيضاح] والتصويب من ح.
 - (3) في الأصل [الله] والتصويب من ح.
 - (4) في الأصل [صورة] والتصويب من ح.
 - (5) سورة يس آية: 82.
 - (6) في الأصل [فيكون أينما تكلم] وهو كلام لا معنى له والتصويب من ح.
 - (7) في ح [وشيئته].
 - (8) في ح [أشكال].
 - (9) في الأصل [لا تدخل] والتصويب من ح.
 - (10) سورة الرعد آية: 39، وأم الكتاب اللوح المحفوظ وذلك لكون العلوم كلها

كتاباً فكان كتاباً، فإن [من] ^(١) المعلوم قَدَمَ علمه تعالى، فكيف يصح [دخوله] ^(٢) تحت كن فاعلم ذلك والزم الأدب مع الشرع.

وقد قيل شعر:

[وإذا] ^(٣) خالفك العقل فقل طورك ^(٤) الزم ما لكم فيه قدم
مثل ما قد جهل اللوح الذي خط فيه الحق من علم القلم
[ثم لا يخفى] ^(٥): أنه لا يلزم من تعليق الحق تعالى إرادته
وإدخالها تحت حكم الزمان أن يكون للزمان وجود، ولو كان بلفظة إذا
التي هي من صيغ الزمان، لأن حضرته تعالى لا [ماضي] ^(٦) فيها ولا
[آتي] ^(٧) وكذلك هي على الدوام، ولذلك قال الله تعالى: ﴿آتَىٰ أَمْرُ
اللَّهِ ^(٨)، ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ ^(٩) ونحو ذلك، و[كما] ^(١٠) سيأتي بأبسط

منسوبة إليه، وهناك أقوال أخرى: راجع المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (مادة: أم) وتفسير القرطبي (ج 329/9 وما بعدها).

- (1) زيادة من ح.
- (2) في الأصل [دخول] والتصويب من ح.
- (3) في ح [إذا].
- (4) طورك: قال في القاموس جمع أطوار وما كان على حد الشيء أو بحذائه، قاموس (112/2) والمعنى الزم حدك وقدرك فلا تتعداه.
- (5) في ح [وليس يخفى].
- (6) في ح [لا ماض].
- (7) في ح [ولا آت].
- (8) سورة النمل آية: 1.

من هذا في الفصل الآتي إن شاء الله تعالى .

وليكن هذا (34/ب) آخر الهواتف الربانية فانظرها ترى جميعها مشعرة بأن حجاب الجهل بالذات المقدسة لا يرتفع لا دنيا ولا [أخرى]⁽³⁾، فسبحان من كان العلم به عين جهل ، والجهل به عين العلم به ، كما أنشدوا في ذلك شعراً:

إن الصفات التي جاء الكتاب بها

تنزهت عن مجال [العقل]⁽⁴⁾ والفكر

وكيف يُدرك من لا شيء يشبهه

من يأخذ العلم عن [حس]⁽⁵⁾ وعن نظر

فالعلم بالله عين الجهل فيه به

[والجهل]⁽⁶⁾ بالله عين العلم فاعتبر

فكل عارف في حجاب عن شهود الذات أزلاً وأبداً ، ولا يزال الحق تعالى غير معلوم من هذا الوجه لا شهوداً ولا ذوقاً وسبب ذلك ما قدمنا أوائل الفصول من أن [التجلي]⁽⁷⁾ الذاتي في غير مظهر ممنوع

(1) سورة القمر آية: 1 .

(2) ساقط من ح .

(3) في الأصل [آخر] والتصويب من ح .

(4) في ح [الفكر] .

(5) في ح [حسي] .

(6) في ح [فالجهل] .

(7) في الأصل [تجلي] والتصويب من ح .

بين أهل الحقائق، وما بقي إلا التجلي في المظاهر من صور المعقولات والمعتقدات، وتلك إنما هي جسور يعبر عليها بالعلم، أي يعلم أن وراء هذه الصور أمر لا يصح أن يشهد، ولا أن يعلم، وليس وراء هذا المعلوم الذي لا يشهد ولا يعلم حقيقة ما يعلم أصلاً.

فإن قيل: إن العارف لا بد أن يكون على صورة المعروف، والمعروف بلا شك يعلم نفسه، فكذلك العارف يعرف معرفه، قلت: المراد بالصورة [التي]^(١) خلق العارف على صورتها صورة التقييد التي يقع فيها التجلي الإلهي [للخلق]^(٢) لا الذات المقدسة، وإن كان هو الأول والآخر والظاهر والباطن فاعلم ذلك.

*** ** **

(1) ساقط من الأصل والتصويب من ح.

(2) ساقط من الأصل والتصويب من ح.

فصل

«في ذكر مسائل علم التوحيد سمعتها من شيخنا رحمته ، ولم أجدها لأحد من المحققين»

1- سألته رحمته عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم : «ينزل ربنا (35/أ) إلى السماء الدنيا كل ليلة»⁽¹⁾ الحديث ، فقال رحمته : هو بنفسه تعالى عليم ، ولا يلزمنا سوى الإيمان بذلك ، فقلت : أريد أوضح من هذا ، فقال : إذا أراد الحق تعالى التجلي في [صورة]⁽²⁾ التقييد المسمى بالنزول [اختصر]⁽³⁾ من ذاته الأحدية صورة جامعة لمجموع ما في الذات المطلقة ، ويستودع هذه الصورة في نوره وهي الصورة التي خلق آدم عليها ، وعند ارتفاعه من هذا النزول يعود إلى الذات المطلقة .

2- وسألته رحمته مرة أخرى عن معنى قولهم : (من فقد الحق رآه ومن وجده لم يره) فقال رحمته : المراد به أن العارف إذا فقد رؤية الحق في الصورة ولم يجاوزها إلى الإطلاق لا يراه فإن جاوزها رآه .

(1) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة أبواب التهجد باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ، حديث رقم (1094) ومسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه ، حديث رقم (758) وأبو داود في سننه كتاب الصلاة أبواب قيام الليل باب أي الليل أفضل في أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حديث رقم (1315) والترمذي في سننه ، حديث رقم (3498) .

(2) في الأصل [التقييد صلى عليه وسلم] والتصويب من ح .

(3) في الأصل [أختصر] والتصويب من ح .

3- فقلت: أريد أوضح من هذا، فقال ﷺ: صورة ذلك أن الحق تعالى يختصر [للوجود]^(١) من مجموع الوجود صورة جامعة فيتحول تعالى فيها [فيشهد]^(٢) ﷻ الشاهد وهذه هي المرتبة الأولى من مراتب الكشف، فما دام الشاهد في هذا الشهود فلا يشهد الله تعالى في الإطلاق فكأنهم قالوا من فقد [صورة الحق]^(٣) المقيدة رآه مطلقاً.

4- فقلت له: فما معنى قولهم: (من وجد العارف فقد الحق ومن فقده وجد الحق) فقال ﷺ: من وجد العارف وحمله على معتقد الجزئية التي يشهدها منه فقد رؤية الله لأنه تعالى بعيد عن [الجزئية]^(٤) [إذ]^(٥) ليس هو واحد كالأحاد، فينبغي لمن وجد عارفاً ألا يطلق عليه لفظ [البقاء]^(٦) لأنه فإن في هوية الحق، ومن اعتقد صورة العارف الجزئية فهو في عين الفقد فالمعنى من وجد لنفس العارف الفناء فقد لنفسه البقاء، ومن تيقن أن الوجود مع الله فقد فقد الله لأنه وشيء آخر لا يجتمعان، فقد [جعل ثانياً]^(٧) مع الله.

-
- (1) في الأصل [الوجود] والتصويب من ح.
 - (2) في الأصل [فيشهد] والتصويب من ح.
 - (3) في الأصل حروف مبهمه غير واضحة، والتوضيح جاء من الناسخ إذ وضع الحروف المفسرة للمبهمه حروفاً مفسرة لما أبهم.
 - (4) في الأصل [جزئية] والتصويب من ح.
 - (5) في الأصل [إذا] والتصويب من ح.
 - (6) ساقط من الأصل والتصويب من ح.
 - (7) في الأصل [جعلنا ثانياً] والتصويب من ح.

واعلم يا أخي: أن تجلي الحق تعالى دائماً إنما هو بالجلال
 الممزوج بالجمال لأنه لو تجلى بالجلال الصرف لأفتى جميع الوجود
 المقيد، وهذا التجلي الممزوج هو الذي ينزل فيه إلى [سما] (١) الدنيا
 كل ليلة، ثم لا يكون ذلك إلا في [صورة الكمال] (٢) ومن هنا قال
 الشبلي: ما في [الجبة] (٣) إلا الله (٤)، إذ كان كامل عصره، فقلت: هذا
 مشكل فقال: لا إشكال، لأن المعنى ما في الوجود إلا الله، كما لو
 قلت: ما في المرآة إلا [الله] (٥) تجلى فيها [لصدقت ما في المرآة
 شيء أصلاً مما يتجلى فيها] (٦)، وأنشدوا في ذلك على لسان الحق
 تعالى:

ظهرت إلى خلقي بصورة آدم وقررت هذا في الشريعة إيماننا
 ولو كان في الإمكان أكمل منكم لكان وجود النقص في إذا كانا
 لأنك مخصوص بصورة حضرتي وأكمل مني ما يكون [فقد] (٧) باننا

(أ/36)

(5) - فقلت له: الحكمة في عدم اجتماع كاملين في عصر واحد؟

-
- (1) في الأصل (السما) والتصويب من ح.
 - (2) في الأصل حروف مبهمه والتوضيح من الناسخ وشؤونه.
 - (3) في الأصل حروف مبهمه والتوضيح من الناسخ وشؤونه.
 - (4) هذه العبارة دونها خرط القتاد وهي من الاتحاد والحلول وقد ثار حول مثل هذه العبارة خصومات ومجادلات وفتنة أدت إلى التكفير والقتل أحياناً.
 - (5) ساقط من الأصل والتصويب من ح.
 - (6) ساقط من الأصل والتصويب من ح.
 - (7) في الأصل [وقد].

فقال: لأن الخليفة [الأول] ^(١) هو آدم وقد كان واحداً فكذلك فروعاً إلى يوم القيامة، وذلك أن الله لما كان لا شيء معه وأراد الظهور بالوجود [فأول] ^(٢) ما ظهر تعالى بالنور [الذي] ^(٣) فتق الزعماء، كان هذا النور مرآة للتمايز فتميزت صورته المسماة فيه على سبيل الانطباع، [فكان] ^(٤) الناظر فيها نفسه هو الله والمنظور هو الصورة الآدمية كما ورد: «أن الله خلق آدم على صورته» ^(٥) وفي رواية على «صورة الرحمن» ^(٦)، كل ذلك إشارة إلى انطباع صورته في مرآته وهو [نوره] ^(٧)، فلم يزل يلحظ نفسه في المرآة المسمى بالنور مادام آدم عليه الصلاة والسلام حيّاً، وفروعه تنتج التمايز في النور، وهو ما [تخلف] ^(٨) عن سعة المرآة عن صورته المقيدة، واستمر هذا الإدراك إلى حيث انتقال [على المسمى] ^(٩)، فحين زوال صورة آدم عليه الصلاة والسلام من المرآة وهو انتقاله [وصورة] ^(١٠) الله تعالى لا تزول

-
- (1) حروف مبهمه موضحة من الهامش .
 - (2) ساقط من ح .
 - (3) ساقط من ح .
 - (4) في الأصل [قال] والتصويب من ح .
 - (5) تقدم تخريج الحديث .
 - (6) تقدم تخريج الحديث .
 - (7) في ح [نور] .
 - (8) في ح [تخلق] .
 - (9) ساقط من الأصل والتصويب من ح .
 - (10) في الأصل حروف مبهمه موضحة من قبل الهامش .

وإذا لم نطبع [الصورة] ^(١) الإلهية [صورة] ^(٢) أخرى ، وهو كامل آخر إذا كان آدم كامل عصره ، فلا يزال الكامل موجوداً ما دام الله موجوداً ، ولا تزال صورته المسماة منطبعة في [مرآته] ^(٣) النورية وحدها ، كما أن الله تعالى واحد لا ثاني له ، ومحال أن ينطبع عن الصورة الواحدة صورتان ، فمن هنا كان الكامل واحداً في كل عصر .

6- فقلت له ﷺ: فإذا الصورة الرحمانية [منقسمة] ^(٤) (36/ب)

بالوجود فقال: نعم ويؤيده قوله تعالى: ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ ^(٥) ومرجع جميع الأسماء والصفات إلى جمعية الاسم الله فافهم ، قلت له: فإذا الإنسان ظل [الله] ^(٦) لأنه أول من طبع فيها ، فقال ﷺ نعم فكل موجود ما عدا الإنسان مخلوق من نور وهو السعة الفاضلة من المرآة وأما الإنسان فمخلوق من ظلمة ، وهي ظلمة الهوية ، والظلمة هي الظل فالتميز من نورها منها والتميز هو صورتها [المنحصرة] ^(٧) منها والمنطبع هو الإنسان الكامل .

7- فقلت له: فإذا وصل العارف إلى غاية فنائه في الهوية واتصف

(1) في الأصل حروف مبهمه موضحة من قبل الهامش .

(2) في الأصل حروف مبهمه موضحة من قبل الهامش .

(3) في الأصل [مرآة] .

(4) في ح [متقسمة] .

(5) سورة الشورى آية: 53 .

(6) في الأصل حروف مبهمه والتوضيح من الهامش .

(7) في الأصل [المنحصرة] والتصويب من ح .

بأوصاف الله تعالى صارت الأشياء عنده واحدة في حال الوصول فإذا دام هذا الفناء أخذ العارف في التحول في المظاهر كما أن الله تعالى له التحول دائماً فيكون تحول العارف حينئذ هو تحول الله لأن العارف ليس له حقيقة [مفردة]^(١) عن الهوية لخلعه التقييد ولبسه الإطلاق والتحول للهوية لأنها اسم لذات الله تعالى .

8- فقلت له: فإذا كان الكامل مجموع العالم، فقال: نعم ومن أدرك الكثرة في العالم فليس بكامل إنما الكمال من يشهد الواحد كثيراً والكثير واحد في آن واحد، بإدراك واحد

9- [فقلت]^(٢) له: هذا جمع بين النقيضين فقال: ومن شرط الكامل أن يجمع بين النقيضين عمّا هو محال في العقل، من غير تأويل ولا تغير مع الشروط التي يتوقف عليها إثبات التناقض، وذلك لأن طور الولاية يخالف ما تألفه العلماء الحاكمون على الأمور بمقتضى عقولهم، فالكامل لا يرى في حال كشفه ويقظته إلا واحداً والتعددات كلها عنده [معدومة]^(٣) ففي اليقظة يدرك العدم المقيد، وفي حال الكشف يدرك العدم المطلق، إذ العدم المقيد هو الفناء مع الثبوت، (37/أ) والعدم المطلق هو فناء الفناء الذي هو بقاء الأحدية، فاعلم أنه ما دام العارف

(1) في ح [مفردة] .

(2) في الأصل [قلت] والتصويب من ح .

(3) في الأصل [معدومة] والتصويب من ح .

[يدرك]^(١) الكثرة لم يبلغ مرتبة الكمال ، لأنه يعتقد.....
[حينئذ]^(٢) أنه واحد يشبه الجملة ، إذ هم متشابهون فافهم .

10- فقلت له: فإذا الكامل منزه [عن]^(٣) أن يكون مقلداً أو صاحب دليل فقال: نعم لأن المقلد غير مطّلع وصاحب الدليل محكوم على عقله وإن [كان]^(٤) عقله حاكماً عليه من غير هذا الوجه .

11- فقلت له: فلم سمّي الكامل خليفة؟ فقال: لأن الحق تعالى وكل إليه الأمر ظاهراً وباطناً، أما في الظاهر فبإطلاق لفظ الخليفة عليه، وأما في الباطن فلكونه جعل علة للخلق في الوجود، وإن كان الله تعالى هو الفاعل لهما، فكما أن الإنسان فرع آدم، كذلك الخلق في العصر الواحد الكامل فرعه، والحقيقة تأبى الثنوية في العلم عند كل من فني في الله، لأنه لا يحيط بالأسماء والصفات إلا بعد الفناء

12- فقلت له: فمتى يكون العارف [مسمى]^(٥) بالأسماء الإلهية

كلها؟

قال: إذا فني في ذات مسمى وهو مركب من أربع عناصر نظير أسماء الوجود التي هي الأول والآخر والظاهر والباطن ، فالأول نسبته

(1) في الأصل [يترك] والتصويب من ح .

(2) ساقط من الأصل والزيادة من ح .

(3) زيادة من ح .

(4) ساقط من الأصل والزيادة من ح .

(5) في الأصل [سمي] والتصويب من ح .

من الإنسان نسبة الماء، والظاهر نسبته [من الإنسان]^(١) نسبة النار، والباطن نسبته منه نسبة الهواء، إذ لا جسم له مدرك بالعين للناظرين، والآخر نسبته من الإنسان [نسبة]^(٢) التراب، لأن له حقيقة الثبوت وهذه الأسماء الأربعة في الحقيقة أجزاء العارف، لأنه مخلوق على صورة الحق مختصر منها بعد كونها جامعة.

13- فقلت له: فما حقيقة خلافة الكامل من أعيان الأسماء؟

فقال: هو [ال خليفة]^(٣) للاسم الرحمن المستوي على العرش، لأجل الانطباع في مرآة الوجود، فهو على صورتها لا مختصر صورته [منها]^(٤) لبراءة المرآة عن الثنوية ولهذا الذي ذكرناه من الخلافة (37/ب) كان من شرط الكامل أن يكون رؤوفاً رحيماً بأجزائه المتكثرة، [ينفي]^(٥) عنه صفة الانتقام يعني العمل بها لأنها من جملة [الصفات]^(٦)، لكن أحداً لا ينتقم من نفسه ومن هنا ترك الفقراء الصادقون أذية من أذاهم، لأنهم متى فعلوا ذلك عادوا على أنفسهم بالأذية إذ المؤذى جزء منهم وهو الجزء المتصف بالجهل منهم إذ

(1) في الأصل [منه] والزيادة من ح.

(2) ساقط من الأصل والزيادة من ح.

(3) في ح [خليفة].

(4) ساقط من ح.

(5) في ح [وينتقي].

(6) في ح [صفاته].

الجزء المذكور من حيث جهله لا يعلم أن الحياة واحدة، [ولا أن] (١)
المجموع [واحدة] (٢).

فقلت له: فعلى هذا التقرير يجمع الله تعالى للكمال مجموع الوجود
في الحضرات الأربعة التي هي الأول والآخر والظاهر والباطن فقال: نعم
تحضر له فيشهدها متبرياً عن مجموعها، وعن واحد منها.

14- فقلت له: كيف؟ [فقال:] (٣) يشهد نفسه مجرداً عن

الأسماء

والصفات، فمن الحضرة [الأولية] (٤) قبل الوجود الظاهر يدرك
فيها أخذ العهود يوم أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ (٥) ويسمع قول السامعين بلى، فكان
سهل بن عبد الله التستري (٦) يقول: سمعت الخطاب ذلك اليوم،

(1) في ح [ولأن].

(2) في ح [واحد].

(3) ساقط من ح.

(4) في ح [الأولية].

(5) يشير إلى قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ الأعراف الآية: 172.

(6) هو أبو محمد سهل بن عبد الله التستري رحمه الله، تخرج بخاله محمد بن سوار،
ولقي أبا الفيض ذا النون المصري بالحرم، أسند سهل عن خاله محمد بن سوار،
ومات سنة ثلاث وثمانين ومائتين وله مؤلفات عدة منها:

1- رقائق المحيين 2- مواعظ العارفين 3- جوابات أهل اليقين، ومن كلامه (ما
أعطى الله لعبد شيئاً أفضل من علم يزداد به يقيناً وافتقار إلى الله سبحانه وتعالى)

وعرفت من كان عن يميني ، ومن كان عن شمالي^(١) ، ومن الحضرة
الظاهرية يشهد مقابلة ومن الحضرة الباطنية يدرك .

فقلت [له]^(٢): أريد أصرح من هذا ، فقال: العدم (38/أ) صفة
للمدة المحكوم عليها بالخيال أنها كانت قبل وجود [الخلق]^(٣) ، وهي
عدمية لا وجود لها ، وهي بالنسبة إلى الله تعالى إدراك لائق بذاته فلا
يطلق [عليه]^(٤) الوجود بالنسبة إلى عقولنا ، ولا يطلق [عليه]^(٥)
العدم ، [أنها]^(٦) حقيقة إدراك الذات وهذا مما ينفي قول القائلين بقدم

وقال لا يطلع على عثرات الخلق إلا جاهل ولا يهتك سر ما اطلع عليه إلا ملعون ،
وقال أكبر الكرامات أن تبدل خُلُقًا مذمومًا من أخلاقك لخلق محمود ، وقال: الفقير
من أنصف نفسه واتصف بحفظ سره وأداء فرضه وصيانة فقره ، وقال: لا طريق
أقرب إلى الله عز وجل من الذل والافتقار ، وقال: تربة المحبة المعرفة ، وبذرها
اليقين ، وماؤها العلم ، ومزارعها التوكل ، وتعهدا الذكر ، ودليلها النبي ﷺ ،
وميدانها المحبة ، وثمرتها المشاهدة ، وقال: من خان الله في السر هتك ستره في
العلانية ، وقال: صلاح الخلق في ثلاث أشياء: 1- رفض الدنيا 2- ثم الرضا بما=
= قسم الله عز وجل 3- ثم الاشغال بطلب الآخرة وما أخذ عبد شهوة من الدنيا إلا
بعبوبه مجمع الأحاب للواسطي (149/5).

(1) قول سهل هذا: لا يثبت شرعاً ولا عقلاً ولعله مما نسب إلى سهل وهو منه برىء ،
والله اعلم .

(2) في الأصل حروف [الواقعة] والتصويب من ح .

(3) في الأصل [الخيال] والصواب من ح .

(4) في ح [عليها] .

(5) في ح [عليها] .

(6) في الأصل [لأننا] والتصويب من ح .

العالم لأنه محل عدم بالنسبة للوجود، ومحل وجود بالنسبة لإدراك الذات نفسها ولا شيء [معه]^(١) فهو زمان إدراك لا زمان حركة شمسية ومثاله النائم الناظر في نومه زماناً ينطوي فيه مدة أيام وليالي وشهور بل سنين وهو في مقدار ساعة أو فهذا [أن]^(٢) عدمي انطوى فيه مدة طويلة بالنسبة إلى النائم فهي عدم بالنظر إلى هذه الساعة [أعني ساعة]^(٣) الحكم فالزمان الذي كان الله فيه ولا شيء مثل لهذا الزمان المعدوم المحكوم عليه بقطع المسافة التي تحتاج إلى طول المدة فهو زمان إدراك لائق بالهوية، لا زمن انقضاء لائق بالوجود.

ومثال آخر وهو أن الشخص إذا كان في محل مظلم يدرك نفسه موجوداً في آن واحد ويتمثل في خياله [قطع]^(٤) مسافة وإحاطة رجوع وزمان طويل في قطع تلك المسافة المتخيلة فهذا زمان في آن [واحد]^(٥) عدمي بالنسبة إلى [الحركة]^(٦) الشمسية لأن الآن ينافي الزمان وقد وجد المدرك فيه مدة ومسافة وإحاطة ورجوعاً فهو وجود عدمي متخيل لهذا الوجود [كالتخيل]^(٧) لعدم العدم في الوجود لكن

-
- (1) في ح [معها] والتصويب من ح .
 - (2) في الأصل [بي] والتصويب من ح .
 - (3) ساقط من الأصل والتصويب من ح .
 - (4) ساقط من الأصل .
 - (5) ي ح [في آن عدمي واحد] .
 - (6) ي الأصل [حركة] والتصويب من ح .
 - (7) في الأصل [كالتخيل] .

العدم المطلق لا يتخيل إلا ضدًا فقد ضلَّ من قال إن العارفين لا يجمعون بين الضدين ، إذ كل من تصور العد في الوجود فقد جمع بين الضدين فقلت له: فإذا المراد بقولهم كتب الله كذا وكذا (38/ب) في الأزل العلم الإلهي ، فقال ﷺ: نعم فإن الله قد أحصى كل شيء في علمه ولكن لا يتعقل الأزل إلا أنه الزمان الذي بين وجود الله ووجود الموجودات المعقولة لأن فيه أخذ العهد على الوجود، فزمان العلم يباين زمان الله تعالى الذي لا يتعقل حتى يطلق علم وإرادة فهو وجود عدمي يتعقل كتعقل العدم بخلاف هذا الزمان الأول فإنه من حين أراد الله إظهار الموجودات فظهر بزمان لائق بالظهور مائل إلى الوجود الظاهر إذ الوجود فيه [مظاهر]⁽¹⁾ من حيث العلم خاف لنفسه فقلت له: فإذا الوجود المطلق لا يتعقل له أول إلا بحسب الفروع المتعددة شيئاً فشيئاً فقال: نعم ومن قال إن الوجود وجد فقد جهل ، ومن قال إنه موجود فقد جهل أيضاً، فقلت له: لم؟ فقال: لأننا نتيقن أن الوجود لا حقيقة لعينه ظاهرة ولا باطنة، ولا يطلق عليه حدوث ولا قدم، لأننا إن قلنا محدثاً أثبتنا ثانياً مع الله تعالى ، وإن قلنا قديماً كنا عارين عن التبعية ، ومبنى هذا كله على قوله ﷺ «كان الله ولا شيء معه»⁽²⁾ فقلت له: فإذا شهود الثنوية للعارف ليست في ذاتين وإنما هي ثنوية بين صفة وموصوف فقال: نعم، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ

(1) في ح [ظاهر].

(2) تقدم تخريج الحديث.

الْمُنْمَنِ ﴿١﴾ ، ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ ﴿٢﴾ ، أي مرجع الأمور ومآلها إلى الله تعالى في حال فناء العباد فيشهد [المشاهد] ﴿٣﴾ في حال فناء نفسه غير ممتازة عن الشهود، ويعود شهوده إدراكاً فقط فإذا قال العارف: قال لي الحق، أو: رأيت الحق، وإنما يكون بعد فناء بشريته وخروجه من حكم الزمان فعلم أن إثبات العارف الخطاب لنفسه لا يلزم منه الثنوية إذ العارف فإن في [الذات] ﴿٤﴾ لا حقيقة له معها [أي الذات] ﴿٥﴾ فخطابه كخطاب الصفة في حال (39/أ) الاتصاف بها لا حقيقة لعينها ولهذا قيل إن العالم هو العدم الظاهر، ومثال ذلك مثال النائم المدرك في نومه واقعة فإنه يحصل له الخطاب في نفسه والشهود من غير داخل يدخل عليه من خارج، فالحق تعالى ينطق بحقيقته عن صفته ويجيب نفسه عن لسان الصفة.

[فقلت] ﴿٦﴾ له: فإذا الزمان المحدث لا يتعقل إلا بعد وجود آدم لا اشتراط العقل في الإنسان [فقال] ﴿٧﴾: نعم لا يتعقل للوجود وجود إلا

(1) سورة النجم آية: 42.

(2) سورة العلق آية: 8، والرجعى: الرجوع إليه يوم القيامة وتفسير الشيخ الشعراني للآية من باب التفسير الإشاري.

(3) في ح [المشاهدة].

(4) ساقط من ح.

(5) في الأصل حروف مبهمه والتوضيح من الهامش ولكن في هامش ح [الله].

(6) ساقط من ح.

(7) ساقط من ح.

بعد وجودنا ، ولم تزل الممكنات مشاهدة لموجودها في عدمها ، ولذلك وصفها بالسمع والطاعة له ولم يشرك منها أحد في حال وجوده إلا الإنسان فإن [بعضه أشرك] ^(١) وذلك لغلبة حجاب الطبع عليه ، حال فقلت له: فما أول موجود ظهر في العماء حين الفتح فقال: هو الرحمة التي مظهرها الصورة المحمدية والرحمة التي صدر الوجود عنها كلمة تستمد أيضاً من وجود محمد صلى الله عليه [وآله] ^(٢) وسلم ، فهو يستمد منها وهي [تمده] ^(٣) للسبق عليه فالوجود على الحقيقة من الله تعالى بوجود محمد ﷺ واستمداد جميع العارفين من [حقيقة] ^(٤) محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الدنيا والآخرة ، ولا يخفى أن الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي ^(٥) هو الرحمة المذكورة ، [فكان] ^(٦) محمد صلى الله عليه وآله وسلم موجوداً ظهر بعد الماء ^(٧) فكأنه فتح العماء ومن حين وجوده ، مال مجموع الوجود إلى الظهور لأجل ظهوره بالرحمة ، فبواسطته صلى الله عليه وآله وسلم كان كون الوجود فقلت له: فبأي صفة ظهر الحق تعالى للموجودات حين أخذ العهد

(1) في الأصل [بعضها شرك] والتصويب من ح .

(2) ساقط من ح .

(3) في الأصل [مدة] والتصويب من ح .

(4) ساقط من الأصل والتصويب من ح .

(5) يشير إلى قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ سورة الأنبياء آية: 30 .

(6) في ح [وكان] .

(7) هذا الكلام لا دليل عليه من كتاب أو سنة وإنما هو من اللغو بغير الحق والله

سبحانه وتعالى اعلم .

عليها، فقال ﷺ: ظهر لهم بصفة الحياة فقلت له: متجسدة؟ فقال: نعم متجسدة روحانية وذلك حتى [يحصل]^(١) لها أي الموجودات النطق والإجابة يبلى، فلما أجابت كانت أرواحها هي المجيبة لا أجسامها (39/ب) والموجودات في الأولية عبارة عن أشباح تتعلق بها أرواح فلولا ظهور الروح على الشبح ما تسمى بها.

فقلت له: فكيف يكون أخذ [العهد]^(٢) على العارف؟ فقال ﷺ: إذا خرج العارف عن الزمان بفنائه تيقن بأحدية الله تعالى مع نفسه، وأخذ عليه حينئذ عهد التوحيد، بعد معاينته له واتصافه به فمن [حيث]^(٣) العيان كان العارف يقر بهذه الوجدانية فلا بد لكل كامل من الوقوف في مقام العهد [ثانياً]^(٤) حتى [يتحقق]^(٥) له، فقلت له^(٦): قد عرفنا العهد الأول بأنه للربوبية فما كان العهد الثاني، فقال: كان العهد بأنني أنا الله الذي هو من أسماء الفردانية فقلت له: [فإذا العهد الإلهي كان في أن الإطلاق حيث لا شاهد ولا مشهود]^(٧) فقال: نعم، فقلت كيف؟ فقال: لأن حقيقة الشاهد

(1) في ح [حصل].

(2) في ح [العهد].

(3) ساقط من الأصل والتصويب من ح.

(4) في ح [ثانية].

(5) في ح [يتحقق].

(6) ساقط من ح.

(7) ساقط من ح.

[عادت] ^(١) صفة في هذا الآن أعني أن الإطلاق العام وذلك أن ينفرد الحق تعالى ولا شيء ويتجلى بصفته فتتقن الصفات العهد [الإقرار بالأحدية] ^(٢) الأحدية المباشرة للثنوية .

فقلت له: فإذا لولا الموجودات ما تحققت أسماء الحق ولا عرف فقال: نعم لولا الموجودات ما ظهرت الأسماء ولا كان نطق الحق تعالى بأسمائه على ألسنتنا، [فقلت] ^(٣) له: فهل يصح للعارف الرجوع إلى التقييد بعد الفناء الأحدي؟ قال: لا فقلت [له] ^(٤): فإذا العارف منزّه عن هذا المقام؟ فقال: نعم، لأن المقام استقلال بجهة ما والعارف جامع لكل [الجهات] ^(٥) مستقل بها من حيث [دائرة] ^(٦) القطبية، فلا يغار على شيء كشف، ولا على [أي] ^(٧) شيء ستر، فقلت له: قد رأيت في كلام بعض المحققين أن العارف لا يخرج عن أن يكون له مقام، فقال: مراد هذا المحقق بالمقام حضرات المذكورة في لسان الصوفية فحدود هذه [الأسماء الأربعة] ^(٨) (40/أ) الفاصلة بينها هي

(1) ساقط من الأصل والتصويب من ح .

(2) ساقط من ح .

(3) في الأصل [فقل] .

(4) ساقط من ح .

(5) في الأصل [الجهات] .

(6) في الأصل [الإدارة] والتصويب من ح .

(7) ساقط من الأصل .

(8) في ح [الأربعة الأسماء] .

المقامات التي [يحل العارف بها] ^(١) ما دام في تقييده فإذا خرج إلى الإطلاق، فلا اسم له ولا حضرة ولا مقام ولا حد، بل هو مستهلك بالكلية، وذلك عين بقاءه فقلت له فهل يصح للعارف الخروج عن نفسه فقال لا يصح [له] ^(٢) ذلك، ولو بلغ أقصى درجات الكمال.

فقلت له: لم؟ فقال: لأن نفسه هي الحافظة للمقامات فهي بمنزلة المدبر ومتى أخل بشيء مما أحاط به كان التدبير ناقصاً، والعارف بعد كماله مفتقر إلى التدبير لكونه متكفلاً بالوجود من حيث الخلافة لأنه مخلوق على الصورة الرحمانية، والناظر مماثل للمنظور صورة ومعنى، أما الصورة فمن حيث نظر الله تعالى ذاته في المرآة حتى انطبعت صورة الخليفة فيها [فهو] ^(٣) منقسم بنصف الوجود لأجل المماثلة الصورية، التي ينزل فيها ربنا إلى سماء الدنيا فقلت له: هل يصح تخلق الكامل [بالألوهية] ^(٤) والأحدية والإطلاق.

فقال: لا يمكن أن يكشف له منها شيء أبداً، ما دام شاهداً لها أو مشهود فلا يصح أن تشهد هذه الثلاثة لا عياناً ولا نظراً عقلياً وإن كان الكامل متصفاً بها لكن ليس عياناً له، فلا يطبق المقيد حمل أسرار المطلق أبداً.

فقلت له: فإذا الوجود واحد من حيث هو واثنان من أجل بقاء

(1) في الأصل [هي خجل العارف].

(2) ساقط من الأصل.

(3) في ح [فهم].

(4) في ح [بالهوية].

الصفات التي تفضي إلى التقييد.

فقال: نعم لأن الحق إذا أراد الاتصاف بالتقييد تكيفت هذه الحقيقة المطلقة بكيفية إرادية مائلة إلى الظهور، فتشهد هذه الحقيقة اثنين [شاهداً] ^(١) [ومشهوداً] ^(٢) وصورة هذا التكيف هو أن الله تعالى من حيث حقيقته مطلق ولكن إذا أراد الاتصاف بالتقييد مال ميلاً إرادياً فيحصل لذاته الصفات فإذا أراد الظهور (40/ب) لهذه الصفات جعل نور ذاته مرآة ونظر فيها نفسه فكان المنطبع فيها صورة الشاهد والناظر صورة [مشهوده] ^(٣) [بهذه] ^(٤) الكيفية والأصل واحد في الحقيقة لا شاهد ولا مشهود. فقلت له: فما كانت الصورة التي خلق الله آدم عليها هل هي الوجدانية أم هي الأحادية؟

فقال ﷺ: خلق آدم على [صورة] ^(٥) الوجدانية.

قلت له: فحواء عليها السلام؟ [فقال: على صورة الأحادية] ^(٦).

فقلت له: لم كان هذا الأمر كذلك؟

فقال: لأن الله تعالى خلق آدم على صورته أو على صورة الرحمن

(1) في ح [شاهد].

(2) في ح [ومشهود].

(3) في ح [مشهود].

(4) ساقط من ح.

(5) في ح [فهذه].

(6) في ح [فإذا].

فهي لا تكون إلا للمقيد فمن حين خلقه ظهر تعالى بالتقييد عبد ورب ،
 وأيضاً فإن الوجدانية من أسماء التقييد ، والأحدية من أسماء الإطلاق
 فكانت صورة آدم هي انطباع تلك الصورة المقيد التي هي لله ولهذا
 كان آدم مثلاً لا مثلاً [إذا] ^(١) كان مقابلاً مقابلة موازاة حتى كان بين
 الله وبين العالم والمثال [لا يكون إلا منطبعاً] ^(٢) في مرآة ليكون شبحاً
 لا حقيقة له لكونه على صفة التقييد .

[وأما] ^(٣) الأحدية فتطلق على المطلق [وعلى] ^(٤) المقيد أيضاً
 لكن بشرط [خفاء] ^(٥) التقييد فكان خلق حواء على صورة الأحدية ،
 فقد علمت أن الذات إذا اتسمت بالواحدية التي هي حقيقة الإله
 [اختفت] ^(٦) الأحدية التي هي اسم [لحقيقتها] ^(٧) في هذا الاسم الذي
 نشأ عنها ، ولذلك قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴾ ^(٨) ، ولم يقل
 لأحد ^(٩) فقلت له : فإذا الربوبية مرتبطة بالعبودية ؟

-
- (1) ساقط من ح .
 - (2) في ح [لا يقال إلا على منطبع] .
 - (3) ساقط من الأصل والزيادة من ح .
 - (4) ساقط من الأصل والزيادة من ح .
 - (5) ساقط من الأصل والزيادة من ح .
 - (6) في الأصل [احنفت] .
 - (7) في الأصل [حقيقتها] .
 - (8) سورة الصافات آية : 4 .
 - (9) قارن بين هذا الكلام وما جاء في مفردات الراغب الأصفهاني مادة (أحد) فقد جاء فيه ما نصه : «أحد يستعمل على ضربين أحدهما في النفي فقط والثاني في الإثبات ،

فقال: نعم كارتباط (لا) إذ كل واحد من هذين الحرفين اللذين قد صاروا واحداً في النظر متوقف على الآخر عند وضع حقيقة هذا الحرف، وإن كانت العبودية فانية لا حقيقة لها مع الذات، فقلت له: فإذا لا يصح توحيد الحق إلا بنفي المزاج؟ فقال: نعم من وحده بإثبات

فأما المختص بالنفي فلاستغراق جنس الناطقين، ويتناول القليل والكثير على طريق الاجتماع والافتراق، نحو: ما في الدار أحد، أي: لا واحد ولا اثنان فصاعداً لا مجتمعين ولا مفترقين، ولهذا المعنى لا يصح استعماله في الإثبات، لأن نفي المتضادين يصح، ولا يصح إثباتهما، فلو قيل: في الدار واحد لكان فيه إثبات واحد منفرد مع إثبات ما فوق الواحد مجتمعين ومفترقين، وذلك ظاهر الإحالة، ولتناول ذلك ما فوق الواحد، يصح أن يقال: ما من أحد فاضلين كقوله تعالى: ﴿فَمَا مِنْكُمْ

مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة آية: 47].

وأما المستعمل في الإثبات فعلى ثلاثة أوجه: الأول:

في الواحد المضموم إلى العشرة نحو: إحدى عشر واحد وعشرين.

والثاني: أن يستعمل مضافاً أو مضافاً إليه بمعنى الأول كقوله تعالى: ﴿أَمَّا أَحَدُكُمْ

فَيَسْقَى رَبَّهُ، خَمْرًا﴾ يوسف آية: 41، وقولهم يوم الأحد أي: يوم الأول، ويوم الاثنين.

والثالث: أن يستعمل مطلقاً وصفاً وليس ذلك إلا في وصف الله تعالى بقوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ الإخلاص آية: 1، وأصله: وحدة ولكن وحد يستعمل في غيره = نحو قول النابغة:

كان رحلي وقد زال النهار بنا بذني الجليل على مستأنس وحد
وراجع تفسير الفخر الرازي في تفسير سورة الإخلاص، ففيه كلام مفيد في هذه
الناحية.

المزاج (41/أ) لا فرق بين اعتقاده واعتقاد النصارى وذلك لأنهم يعينون ثلاث صور معنوية ويدخلون عليها كيفية في [صورة] (1) المزاج فيجعلونها [واحدًا] (2)، وليس التوحيد الشرعي كذلك [فإنما] (3) هو رد إلى أصل، وإطلاع إلى خفاء، وإظهار في صورة رجوع إلى عدم، وخلوص من جهل إلى علم، وحجاب بأحدية عن كثرة، فمن وحد هذه التوحيد ولم يمازج ولم يكيف، ولم ير أنه جعل الواحد واحدًا، بل علم الواحدية بأدلة الرسل فهو الموحد بفتح الحاء بجعل الله له فإنّ وليس موحدًا بكسرهما.

فقلت له: فهل توحيد الصديق يباين توحيد العارف فقال: نعم فقلت: لم؟ فقال: لأن توحيد العارف جعل الأشياء كلها فانية في حقيقة الله تعالى، وتوحيد الصديق جعله الله تعالى واحدًا من جملة الآحاد وتخصيصه إمّا بحياة أو بصورة لا مثل لها، ويستصحب هذا التخصيص [للتعظيم] (4) ومع ذلك فالصديق قاطع بأن حياة الله تباين حياة الموجودات بأسرها ولهذا كان يقول ما رأيت شيئًا وإلا رأيت الله قبله. فقلت له: فلم ظهر الحق تعالى بالكثرة في الوجود؟

فقال: إنما ظهر بها لتمكين الجهل في الجاهل حتى لا يشهد إلا هي فكلما أشد ظهور هذه الكثرة اختفى الحق تعالى عن الجاهل

(1) في ح [صور].

(2) في ح [واحد].

(3) في ح [فإنه إنما].

(4) في ح [التعظيم] والتصويب من ح.

بخلاف العارف فإنه كلما شهد زيادة الكثرة ظهر له الحق عياناً، فقلت له: فإذا لا يكون مبعوثاً قط إلا مع شهود الثنوية التي هي إثبات رب وعبد، فقال: نعم هذه شيمة جميع الرسل وذلك لميل البعثة إلى التقييد والتحجيز فقلت له: فهل يصح تعقل فردية الله تعالى، من غير تعقل أمر آخر عنه انفردت؟ فقال ﷺ: لا يصح تعقل [المتصف] (١) للفردية إلا بعد تعقل أمر آخر عنه انفرد (41/ب) هذا المسمى فرداً، فلا بد أن ينفرد بنعت لا يكون فيمن انفرد عنه، إذ لو كان فيه ما صح له أن ينفرد به فلم يكن ينطلق عليه اسم الفرد فلا بد في ذلك الذي انفرد عنه أن يكون معقولاً وليس إلا الشفع، والأمر الذي انفرد إنما هو التشبيه بالأحادية [وأوله] (٢) الثلاثة الأفراد فالواحد ليس بفرد، وهذا هو سبب وصف الله تعالى بالكفر من قال إن الله ثالث ثلاثة ولو قال: ثالث اثنين ورابع ثلاثة وخامس أربعة بالغاً ما بلغ كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ (٣)، فمن كان في أحديته فهو تعالى ثاني واحديته ومن كان في [ثنيته] (٤)، فهو تعالى ثالث [ثنيته] (٥) وهكذا بالغاً ما بلغ فهو تعالى مع المخلوقين حيث كانوا، فالخالق لا يفارقهم أبداً لأن مستند الخلق إنما هو الاسم الخالق استناداً صحيحاً لا شك

(1) في ح [المنصف] والتصويب من ح.

(2) في ح [وأول].

(3) سورة الحديد آية: 4.

(4) في ح [ثنيته].

(5) في ح [ثنيته].

فيه، فلا ينفرد الحق تعالى قط في الأربعة بالرابع وإنما ينفرد في الأربعة بالخامس وذلك لأنه ليس كمثلته شيء ولو كان عين الرابع من الأربعة مثلها وذلك محال، فمتى فرضت عدداً فاشهد الحق تعالى الواحد الذي يكون بعد ذلك العدد فإنه يتضمن الأربعة ولا تتضمنه هي، [فهو]^(١) يخمسها ولا تخمسه فإنها [هي الأربعة لنفسها]^(٢) فهو تعالى الواحد الذي يوتر الشفع، ويشفع الوتر، فيقال رابع ثلاثة وخامس أربعة ولا يقال فيه رابع أربعة ولا خامس خمسة ولا عاشر عشرة، ولولا ذلك الذي قررناه ما صح لنا أن نقول في فردية الله تعالى أنه رابع ثلاثة وخامس أربعة وأدنى من ذلك وأكثر.

فعلم أنه إذا انتقل الخلق إلى المرتبة التي كان فيها [عند]^(٣) انتقال الخلق عليها، فانظر هذا السر الإلهي ما أدقه، فلا يلحق [خلق]^(٤) حقاً أبداً ومحال أن تقف الذات المتعالية على نمط واحد أكثر من آن فاعلم جميع ما قررت له لك فإنك لا تكاد تجد معناه مصرحاً به في كلام أحد من القوم وهو من العلم المكنون الذي قال فيه رسول الله ﷺ: إن من العلم كهيئة المكنون الذي لا يعلمه إلا العلماء بالله عز وجل [وإذا]^(٥) نطقوا به لا ينكره عليهم إلا أهل الغرة بالله^(١) يعني

(1) في ح [وهو].

(2) في الأصل [أربة لنفسه].

(3) ساقط من الأصل.

(4) في الأصل [خلقاً].

(5) في ح [فإذا].

الجاهلين به والله واسع عليم .

** ** *

(1) لم أقف على هذا الحديث في المصادر المتوفرة لدي بعد البحث المضمني .

فصل: الإنسان الكامل وسطاً بين كينونته مستويّاً على عرشه وبين كينونته في قلبه الذي وسعه

قد جعل الحق تعالى مرتبة الإنسان الكامل وسطاً بين كينونته
[مستويّاً] ^(١) على عرشه وبين كينونته «في قلبه الذي وسعه» ^(٢) فإنه إن
نظر إليه في قلبه رأى أنه نقطة الدائرة وإن نظر إليه في استوائه على
عرشه رأى أنه محيط الدائرة فهو بكل شيء محيط فلا يظهر [خط] ^(٣)
من النقطة إلا ونهايته إلى المحيط، ولا يظهر [خط] ^(٤) من المحيط
إلا ونهايته إلى النقطة، وليست الخطوط سوى العالم فإنه بكل شيء
محيط والكل في قبضته، وإليه يرجع الأمر كله فالخلاء ما فرضته بين
النقطة والمحيط وهو الذي عمر العالم بعينه وكونه، وفيها ظهرت
الاستحالات من [نقطة] ^(٥) إلى محيط ومن محيط إلى [نقطة] ^(٦) فما

(1) ساقط من الأصل.

(2) يشير إلى الحديث المشهور «ما وسعني عرشي ولا سمائي ولكن وسعني قلب
عبدي المؤمن» وهو حديث قال عنه العجلوني ذكره في الإحياء قال العراقي في
تخريجه لم أر له أصلاً وقال ابن تيمية هو مذكور في الإسرائيليات وليس له إسناد
معروف عن النبي ﷺ، كشف الخفاء 2/155.

(3) في ح [خط].

(4) في ح [خط].

(5) في الأصل [نطقة] وهو خطأ من الناسخ.

(6) في الأصل [نطقة] وهو خطأ من الناسخ.

خرج عز وجل [عن] ^(١) شيء ولا ثمَّ شيء خارج عن المحيط، فيدخل في حيطته، بل الكل [منه] ^(٢) انبعث وإليه ينتهي، ومنه بدا وإليه يعود، فمحيطه [أسماؤه] ^(٣) ونقطته ذاته فلماذا قال المحققون: إنه تعالى هو الواحد العدد والواحد الكثير فما كل عين له ناظر كعين الإنسان، ولولا إنسان العين ما نظرت عين الحق، فبالحق ظهر الحق والسلام.

** ** *

(1) في ح [فما خرج عنه عز وجل شيء].

(2) في ح [فيه].

(3) في ح [سماؤه] والتصويب من الأصل.

فصل: لا يكمل للعبد مرتبة العرفان

حتى يجمع بين بالتشبيه والتنزيه

لا يكمل [للعبد]^(١) مرتبة العرفان إلا إن جمع بين القول (42/ب) بالتشبيه والقول بالتنزيه، [كما]^(٢) جاءت بذلك الآيات والأخبار فمن قال بالتشبيه فقط، والتنزيه فقط فهو على النصف [من]^(٣) مقام المعرفة، وإن كان كل منهما يسمى عارفاً بالله عز وجل [وقد انقسم الناس فريقان: فريق نفى معرفة الله عز وجل]^(٤) وقال لا يعرف الله إلا الله، وفريق أثبت المعرفة لكل مخلوق، وهو الذي ارتضاه المحققون، لأن الله تعالى ما خلق الخلق إلا ليعرفوه، فلا بد أن يعرفوه إما كشفًا أو عقلاً أو تقليدًا لصاحب كشف أو عقل، والمعرفة تابعة للرؤية [فكما]^(٥) [تعطلت الرؤية به تعالى فكان مرئيًا، كذلك تعطلت المعرفة]^(٦) به فكان معروفًا، وأيضًا فإن الله تعالى ما خلق المعرفة المحدثه به تعالى إلا لكمال مرتبة العرفان ومرتبة الوجود ولا يتم ذلك إلا حتى يتعلق العلم المحدث بالله على صورة ما تعلق به القديم، وما تعلق القديم بالعجز عن العلم به، فكذلك العلم المحدث ما

(1) في ح [للعبد].

(2) في الأصل [كلما] والتصويب من ح.

(3) في الأصل [في].

(4) ساقط من الأصل والتصويب من ح.

(5) في الأصل [كما] والتصويب من ح.

(6) ساقط من الأصل والزيادة من ح.

تعلق إلا بما هو المعلوم عليه في نفسه، وعمدة هذا الباب [حديث] (١) «خلق الله آدم على صورته» (٢) لمن فهم المقصود على وجهه، وإن [قال] (٣) منكر الرؤية والمعرفة، ممن لا يقول بالوصول إلى معرفته ولا إلى رؤيته المراد بهما العجز عن درك الإدراك وهو المسمى عنده معرفة فذلك [الجهل] (٤) منه، وهو إن جوزي بقوله [هذا] (٥) لا يرى الله أبداً، كما لا يعرفه أبداً وإن لم يجازه الله بذلك [بدا] (٦) له من الله ما لم يكن يحتسب وعلم منه في ثان الحال خلاف ما كان يعلمه، فإنه يراه ويعلم أنه هو ضرورة، ولما سئل الجنيد رضي الله عنه عن المعرفة والعارف، فقال للسائل: لون الماء لون إنائه ولم يزد على ذلك، يقول رضي الله عنه: إن الماء يقبل جميع الألوان، فيصير في رأي العين متلوناً بلون إنائه، فيصير في رأي العين معلوماً بلون إنائه، وهو في نفس الأمر شيء آخر لا لون له يعرف فالعارف يعرف الماء، ويعرف ذلك [اللون لون الوعاء] (٧) وكذلك القول في التجليات الإلهية فإن العارف يدركها دائماً، والفرقان عنده دائم فهو يعرف من تجلى، ولماذا (43/أ) تجلى، ويختص الحق

-
- (1) ساقط من الأصل والتصويب من ح.
 - (2) تقدم تخريج الحديث بالتفصيل.
 - (3) في الأصل [كان] والتصويب من ح.
 - (4) في ح [جهل].
 - (5) ساقط من الأصل والزيادة من ح.
 - (6) في الأصل [وبدا].
 - (7) في ح [بلون إنائه].

تعالى دون العارف بكيف [يتجلى] ^(١) لا يعلم ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، فهو من خصائص الحق تعالى، إذ الذات مجهولة في الأصل، فعلم كيفية تجليها في المظاهر غير حاصل ولا مدرك لأحد من خلق الله تعالى، وإذا كان الحق تعالى غير محسوس فما بقي إلا ما أنتجه الفكر، وتعالى ربنا في علو ذاته عن ذلك فإن فهمت ذلك علمت أن الإله الذي جاء بوصفه ونعته الشارع ما هو [الإله] ^(٢) الذي أدركه العقل، فإن الإله الذي جاء بوصفه ونعته الشارع لا يقبل اقتران الشهادة بالرسالة معه، لأن الرسالة ورسولها محدث بالإجماع ولا يصح اقترانه بالتقديم ومن فهم ذلك علم أن التوحيد من حيث يعلمه الشارع ما هو توحيد من حيث ما أثبت النظر العقلي ففي اقتران الشهادة بالرسالة مع الشهادة بالتوحيد سر عظيم فيه توسعة على الخلق، وإعلام لهم بأن جميع ما عرفوه من الحق تعالى [جاءت] ^(٣) على صورتهم، وذلك هو الذي يصح تكليفهم به، والحق تعالى منزّه عن ذلك [وما عبد عابد] ^(٤) الحق تعالى من حيث هو وإنما [عبد الله المجعول أنتجه] ^(٥) بفكره تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فما قرنت الشهادة بالرسالة حقيقة إلا [بالتوحيد] ^(٦) المخيل في قلب كل عابد وفي قلبه كما أنشدوا شعراً:

(1) في ح [تجلى].

(2) في الأصل حروف مقطعة مبهمة والتوضيح من الهامش.

(3) في ح [حادث].

(4) في الأصل حروف مبهمة والتوضيح من الناسخ.

(5) في الأصل حروف مبهمة والتوضيح من الناسخ.

(6) ساقط من ح.

نحت بالفكر معبوداً وقلت به وصنت عقداً بكف الحق محلول
وإذ قد علمت أن الإله الذي دعا الشرع إلى عبادته لا يعقل إلا
ممثلاً ومتخيلاً ، ولا يدركه أحد على ما هو عليه في ذاته سهل حينئذ
على الناس كلهم وضح وصف [معبودهم]^(١) بالاستواء والنزول والمعية
والمشي (43/ب) والهرولة ، وغير ذلك مما سيأتي بيانه في الميزان ،
فإن هذه الأمور إنما تنزل الحق تعالى ووصف نفسه بها رحمة لعباده
ورفقاً بهم ، لكن هنا دقيقة لا تخفى على عارف ، وهو أن العبد كلما كثر
تواضعه وانكساره وصغاره ونذله [كلما]⁽²⁾ [أنقص]⁽³⁾ جمال
[الصورة]^(٤) المتخيلة له ، إذ لا يتجلى له فيها إلا صورة نفسه ، وكلما
كثر تكبر العبد وتجبره وعزة نفسه كلما زاد جمال [الصورة]^(٥)
المذكورة فلا أدنى ولا أحقر من [إله]^(٦) كمل العارفين أبداً ، ولا أكبر
ولا أفخم من [رب]^(٧) المتكبرين والجبابرة أبداً ، فما ربحه العارفون
من حيث هضم نفوسهم ، خسروه من جهة [إلهم]^(٨) المتجلي لهم ،

(1) في الأصل حروف مقطعة مبهمة والتوضيح من الهامش .

(2) في الأصل [كما] .

(3) في الأصل [نقص] .

(4) في الأصل حروف مبهمة والتوضيح من الناسخ .

(5) في الأصل حروف مبهمة والتوضيح من الناسخ .

(6) في الأصل حروف مبهمة والتوضيح من الناسخ .

(7) في الأصل حروف مبهمة والتوضيح من الناسخ .

(8) في الأصل حروف مبهمة والتوضيح من الناسخ .

وما خسره المتكبرون من جهة تكبرهم ، ربحوه من جهة [عظمة]^(١)
المتجلي لهم في مرآة [ربهم]^(٢) فتأمل هذا السر ما أدقه وأحلاه!^(٣)
وادخل إلى فهم هذا الميزان بغير ميزان عقلك ، وتدبر جميع ما قررته
[لك]^(٤) في الفصول وأمعن النظر ، فإن فعلت ذلك رجوت لك من
الله تعالى أن تعرفه المعرفة الواجبة عند كمل العارفين ، والله يتولى
هداك وهو يتولى الصالحين .

** ** *

-
- (1) ساقط من الأصل والتصويب من ح .
 - (2) في الأصل حروف مبهمه والتوضيح من الناسخ .
 - (3) بل هذا كلام باطل ظاهر البطلان لا يقول به مؤمن ولا أشك في أن هذا مما دس به على الشيخ لأنه يتعارض مع الشريعة وما ورد فيها فكيف يحوز المتكبر تجلي الرب والرسول ﷺ يقول: «قال الله تعالى: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري ، فمن نازعني في واحدة منهما قذفه في النار» صحيح ابن حبان حديث رقم (328) .
 - (4) ساقط من الأصل .

فصل (١)

في ذكر الميزان التي جميع هذه الفصول طريق وتمهيد إلى فهمها
فنقول وبالله التوفيق والعناية:

اعلم: يا أخي أن هذه ميزان نفيسة تطيش على الذر، [ولا] (٢)
يتخلق بها ويتحقق بمعرفتها إلا أكابر العارفين أصحاب الدوائر الكبرى،
وهي من نفحات الخضر (٣) عليه الصلاة والسلام، وهي ميزان رافعة
للخلاف من جميع [الآيات والأخبار] (٤)، وما انبنى على ذلك من
إشارات العارفين وأقوال المتكلمين إلى يوم الدين، وهي ميزان لا
يتغير عليك حكمها لا دنيا ولا أخرى، وذلك أن تعلم (44/أ) يا
أخي أن للحق تبارك وتعالى تجليين: تجلٍ في رتبة الإطلاق حيث لا
خلق، وتجلٍ في رتبة التقييد بعد خلق الخلق، و[بكل] (٥) من هذين
التجليين جاءت الشرائع والأخبار الإلهية، فمن قال يتنزل الحق في
مرتبة التقييد على الدوام أزلاً وأبداً

(1) ساقط من الأصل .

(2) في ح [و] .

(3) الخضر قال الطبري: وزعم بعضهم أن من ولد من كان آمن بإبراهيم خليل الرحمن
واتبعه على دينه وهاجر معهم من أرض بابل حيث هاجر إبراهيم منها وقيل اسمه
بليا بن ملكان وكان من سبط هارون بن عمران وهو صاحب موسى الذي ذكره الله
في سورة الكهف وآتاه الله من لدنه علماً، تاريخ الطبري (220/1) .

(4) في الأصل [الأخبار والآيات] والتصويب من ح .

(5) في الأصل [ولكل] .

كالمجسّمة^(١)..... والحلولية^(٢) والقائلين
بالاتحاد^(٣) [أخطؤوا]^(٤)، ومن قال بعدم التنزل من مرتبة الإطلاق
على الدوام أبداً كالنزّهة على الإطلاق فقد [أخطؤوا]^(٥) [فأرجع]^(١)

(1) المجسمة فرقة يقولون إن الله جسم حقيقة، وحثهم في ذلك: أن كل معقول هو =
= إما جسم أو عرض فلما بطل أن يكون تعالى عرضاً ثبت أنه جسم وقالوا إن
الفعل لا يصح إلا من جسم والباري تعالى فاعل فوجب أنه جسم واحتجوا بآيات
من القرآن فيها ذكر اليد واليدين والأيدي والعين والوجه والجنب وأن الله يحيي
ويأتي وقالوا هو مركب من لحم ودم كمقاتل بن سليمان وغيره ومنهم من يبالغ
فيقول إنه على صورة إنسان وقيل صورته شاب أمرد جعد ققط وقالت الكرامية
منهم هو جسم أي موجود ويجوز أن يمس ويلمس ويعانق، وكان بيان بن سمعان
المجسم يزعم أن معبوده على صورة رجل وأنه يهلك جميع أعضائه إلا وجهه،
تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، موسوعة الفرق الإسلامية ص342.

(2) الحلولية هم الغلاة والمشبهة الذين زعموا أن الله يمكن أن يحل في الأشخاص،
ومن جملتهم البهائية الذين قالوا بحلول الإله في الأئمة، ومنهم البيانية زعموا أن
روح الله دارت في الأنبياء والأئمة حتى انتهت إلى علي ثم دارت إلى محمد بن
الحنفية ثم صارت إلى ابنه أبي هاشم ثم حلت بعده في بيان بن سمعان وجمهور
المتكلمين على أن الله تعالى يحل في غيره بأنه ينفي الوجود الذاتي وكما لا تحل
ذاته في غيره كذلك لا تحل صفته في غيره، موسوعة الفريق الإسلامية 193.

(3) الاتحادية: زعموا فناء السوى وقالوا: ما في الكون سوى الله وصرحوا بأنه تعالى
اتحد بخلقه وأنت أنا، وأنا أنت، وأنشدوا:

والتذ إن مرت على جسدي يدي لأنني لست في التحقيق سواكم
سير أعلام النبلاء (77/14).

(4) في ح [أخطأ].

(5) في ح [أخطأ].

يا أخي كل كلام يعطي التنزيه إلى مرتبة الإطلاق، وكل كلام يعطي ظاهره التشبيه إلى مرتبة التقييد يرتفع [عندك الخلاف]^(٢) والتعارض من جميع الآيات والأخبار. انتهى.

ولنشرح لك [هذا]^(٣) الميزان بحسب ما يفتح الله تعالى به لتعرف ما هو تجلي الإطلاق وما هو تجلي التقييد، وألاحظك في ذلك ملاحظة من يعلم الصغير السباحة في البحر، فإنه متى غفل عن ملاحظته غرق [أو شرق]^(٤) والله عليم حكيم.

المشار إليه بـ «كان الله ولا شيء معه»^(٥) من كان معه حتى يتلقى عنه [الشرائع]^(٦)، ومن كان هناك يعمل بها أو لا يعمل من أهل القبضتين وأنشدوا [شعراً]^(٧):

قد كان ربك موجوداً وما معه شيء سواه ولا ماض ولا [آت]^(٨)
فلما خلق الله تعالى الخلق وتجلي في رتبة التقييد التي هي كناية عن المرأة المنطبع فيها صور الموجودات [أجمع]^(٩) وسمى لنا نفسه

(1) في ح [فرجع] والصواب ما جاء في الأصل.

(2) في ح [الخلاف عندك].

(3) في ح [هذه].

(4) في ح [وشرق].

(5) تقدم تخريجه.

(6) في ح [شرائع].

(7) ساقط ح.

(8) في الأصل [آن] والتصويب من ح.

(9) ساقط من الأصل والزيادة من ح.

بالأسماء الطالبة لأهل حضرته فلا بد لإثباتك المعرفة لمن يتلقاه عنه الأحكام من ملك أو بشر، وإلا فتلقي الأمر عن من لم يعرف بوجه من الوجوه محال، ولا بد [لك] ^(١) أيضاً من إثبات من تحكم فيه حضرات الأسماء الإلهية كالمعز والمنتقم والغفور، فإن أثر هذه الأسماء في حق الحق محال، فقد بان لك أنه تعالى من حين أظهر الخلق ما تجلى لهم قط في رتبة الإطلاق لأن هذه الرتبة تنفي بذاتها وجود غيرها معها، وما تجلى بعد إظهارهم إلا في رتبة التقييد ومن لزم شهود أهل العقول [أنفسهم] ^(٢) [مع] ^(٣) [التحيز] والتحديد والحصر، إذ المقيد لا يشهد إلا مقيداً وأما الإطلاق فإنما يعلم فقط بالإعلام الإلهي لا بالعقل، ولذلك قررنا غير ما مرّة أن أعلى [مشاهدة] العبد أن يرى إطلاق الحق تعالى وتقييد الكون، وهذا إذ حققته وجدته تقييداً فإن أصل التقييد سببه إنما هو [التمييز] ^(٤) حتى لا تختلط الحقائق (45/أ) وقد صار الحق تعالى في قلب هذا الشاهد مقيداً بالإطلاق لأن الإطلاق بلا مقابل لا يعقل، ولو كان التجلي في [كل صورة في العالم] ^(٥).

وبلغنا عن الشيخ محيي الدين رحمه الله أنه كان يقول بإدراك تجلي الإطلاق ذوقاً، وهذا لا يصح إلا عند من يقول إن الحق تعالى

(1) ساقط من الأصل.

(2) في ح [أنقسم].

(3) في ح [معه].

(4) في ح [التحيز].

(5) في الأصل [في صورة العالم] والزيادة من ح.

يقبل حكم كل ممكن ، من حيث إنه عين الوجود بل ولو قيل بذلك لا يتخلص له إلا عند فناءه لا في حال بقائه مع الحق وحينئذٍ فما رأى إطلاق الحق [تعالى] ^(١) إلا الحق فافهم ، وإياك والغلط فإنه لا حلول ولا اتحاد ، ولا يلحق عبد رتبة ربه أبداً ولو صار الحق تعالى سمعه وبصره وجميع قواه فإن الحق تعالى قد أثبت عين العبد معه بالضمير في قوله في الحديث القدسي «كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به» ^(٢) إلى آخر النسق .

فإن قيل: إن كلام الحق تعالى قديم ، وقد قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ^(٣) وهذا يشعر بأن معه في الأزل ، كما يقول بذلك الفلاسفة قلنا: التحقيق عن العالم كله قديم في العلم الإلهي حادث في الظهور وقد قال ﷺ «كان الله ولا شيء معه» ^(٤) وأجمع المحققون على أن المراد بكان الوجود لا أنها على صورة كان التي هي من الأفعال الناقصة الماضية ، فهو حرف وجودي لا فعل يطلب الزمان كما توهمه بعضهم حتى [أنهم] ^(٥) أدرجوا في الحديث وهو الآن على ما هو عليه كان ، لتخليهم أن تصريفها كتصريف الأفعال ككان ويكون وكائن ومكون

-
- (1) ساقط من ح .
 - (2) تقدم تخريجه .
 - (3) سورة الحديد آية: 4 .
 - (4) تقدم تخريجه .
 - (5) ساقط من الأصل والزيادة من ح .

فمعنى الحديث: الله موجود ولا شيء معه في حضرة ذاته أي ما ثم من وجوده واجب لذاته إلا هو وحده، فإن قيل قوله في الحديث «ولا شيء معه»^(١) (45/ب) [فيه رائحة تعقل الشيء معه في الأزل فلولا تقدم الإثبات ما صح النفي قلنا الشيء لا تصحبه تعالى ولا تطلق عليه فكذلك هو ولا شيء معه]^(٢) فهو وصف ذاتي له سلب الشيء عنه وسلب معية الشيء فهو تعالى مع الأشياء وليست الأشياء معه والمعية تابعة للعلم، فهو تعالى يعلمنا فهو معنى ونحن لا نعلمه فلسنا معه ولولا أنه تعالى هو الذي أضاف إلى نفسه صفات التشبيه، ما أحد من عباده أضافها إليه وهو الذي أخبر أنه «ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا»^(٣) وأنه ﴿أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾^(٤)، «وأنه خلق آدم على صورته»^(٥) وأنه (يأتي يوم القيامة في ظلل من الغمام)^(٦) وغير ذلك مما سيأتي بيانه فمن أنكر صفات التشبيه التي أضافها إلى نفسه فقد أخطأ ولم يصدق الرسل فيما أخبروا [به]^(٧) عن ربنا عز وجل، وأصل ذلك فرارهم من

(1) تقدم تخريجه .

(2) ساقط من الأصل والتصويب من ح .

(3) تقدم تخريج الحديث .

(4) سبق بيان موضع الآية .

(5) تقدم تخريج الحديث .

(6) سبق بيان موضع الآية .

(7) ساقط من الأصل والزيادة من ح .

اشتركهم مع الحق في الصفات وهم واقعون في ذلك شاؤوا أم أبوا فإنه تعالى من حين خلق عالم المواد ما تجلى لكل مخلوق إلا بصورة ذلك المخلوق غير ذلك لا يكون فما عرف عارف إلا صورة نفسه في مرآة الربوبية فللحق تعالى أن يرد على عباده هذه المعرفة ويقول لهم ما أحد منكم عرفني وله أن يقرهم عليها لأنها هي المعرفة الممكنة [لنا] ^(١) التي كلفنا بها، [واعلم أن] ^(٢) أعلى الخلق معرفة بالله عز وجل الرسل عليهم الصلاة والسلام وما منهم أحد إلا [وقد] ^(٣) جاء بآيات الصفات التي تعطي التشبيه ولو [كانوا] ^(٤) يعلمون استحالتها [على الله] ^(٥) مطلقاً كما يقول به المنزهة على الإطلاق [لأولوها] ^(٦) لأممهم لتحوز أممهم كمال الإيمان فإن كل رسول مأمور بترقي أمته إلى أعلى مراتب الإيمان ثم لا يخفى أن من أول أخبار الصفات بعقله [ما] ^(٧) آمن حقيقة إلا بما قبله عقله لا بما جاءت به الرسل من عند الله ففات هذا [المؤول] ^(٨) كمال الإيمان لا أصل الإيمان (46/أ) ولهذا لم

(1) ساقط من الأصل والزيادة من ح.

(2) ساقط من ح.

(3) في ح [قد].

(4) في الأصل [كان] والتصويب من ح.

(5) في الأصل [عليه] والتصويب من ح.

(6) في الأصل [لأولها] والتصويب من ح.

(7) في ح [وما].

(8) في ح [المأمول].

يبلغنا قط أن أحداً من أكابر الصحابة أول شيئاً من ذلك لكمال إيمانهم وتصديقهم وكان ابن عباس ب وغيره يقولون الباب الذي ضل فيه من ضل وهلك فيه من هلك ابتغاء التأويل فإن الله تعالى يفعل ما يريد وقد أخبر عن نفسه «أنه ينزل إلى سماء الدنيا»^(١)، «وأنه خلق آدم على صورته»^(٢)، فما لنا ولمنازعته فيما [هو أخبر]^(٣) عن نفسه انتهى .

وقد تقدم في الفصول المتقدمة: أن للعالم أن يؤول للعامي كل ما [أوحى]^(٤) ظاهره إلى فهم أمور يحصل بها انتهاك للجناب الإلهي حتى يقوى ذلك العامي فإذا قوي إيمانه سلم [علم]^(٥) ذلك إلى الله تعالى فإن الله تعالى ما طلب من خلقه أن يدركوا كيف هو ثم إنه يقال لمن يؤول نحو حديث «ينزل ربنا إلى سماء الدنيا»^(٦) بأن المراد بمن ينزل إنما [هو]^(٧) ملك من الملائكة أو أمره تعالى هو النازل لا هو تعالى ، لأي شيء أقام الحق تعالى في ذلك نفسه مقام ذلك الملك أو ذلك الأمر وجعل [نفسه]^(٨) نائباً عنهما وأسقط اسم الملك واسم

-
- (1) تقدم تخريج الحديث .
 - (2) تقدم تخريج الحديث .
 - (3) في ح [أخبر هو] .
 - (4) في ح [أدى] .
 - (5) في الأصل [عن] .
 - (6) تقدم تخريج الحديث .
 - (7) ساقط من الأصل والزيادة من ح .
 - (8) في ح [ونفسه] .

الأمر ولم يضيف النزول إليهما فإنك إذا قلت له ذلك لا يدري ما يقول، ثم إن الذي فرّ منه هذا المؤول هو واقع فيه بعد التأويل لم يخرج عنه لأنه قيد الحق [تعالى]^(١) في جهة معينة وجعل نزول الملك بالوحي مفارقاً لتلك الجهة، فإن الملك أو الأمر غير الحق عند هذا المؤول [قطعاً لا عينه فرجع هذا المؤول]^(٢) إلى رتبة التقييد التي توهم الفرار [منها]^(٣) فللحق تعالى أن يقول له كذبت في تأويلك هذا بخلاف من آمن بما أضافه الحق تعالى إلى نفسه على السنة رسله ورد علمه إلى الله تعالى، [لا يقول]^(٤) الحق [تعالى]^(٥) إلا صدقت ثم إنك تقول للمؤول أيضاً لا يخلو إما أن يكون إخبار الرسل عن الله تعالى إخباراً (46/ب) بالأمر على ما هو عليه أن يكون مجازاً تنزلاً منه تعالى [للعقول]^(٦) كضرب الأمثلة لهم حتى يتعقلوا المضروب له المثال وعلى كلا التقديرين فهي مضافة إلى الله تعالى قطعاً، لا يجوز سلبها عنه تعالى وما بقي إلا نسبتها إلى الله تعالى لكن ذلك [لا يليق قطعاً]^(٧) [إلا]^(٨) برتبة التقييد لأن مرتبة الإطلاق لا تعقل كما مر،

-
- (1) ساقط من ح.
 - (2) ساقط من ح.
 - (3) في ح [منهما].
 - (4) في الأصل [يقول] والزيادة من ح.
 - (5) ساقط من ح.
 - (6) في الأصل [للمعقول] والتصويب من ح.
 - (7) في ح [قطعاً لا يليق].
 - (8) ساقط من ح.

فمن أراد السلامة فليمش مع الشارع حيث مشى ويقف معه حيث وقف من غير مزيد وإن تناقضت عنده الأمور وتصادمت [فذلك] ^(١) له تعالى لا للبعد وليقل لا أدري هكذا جاء الأمر من عند ربي فإذا بلغ مبلغ العارفين علم أن الحق تعالى لا تقييد عليه، وأنه يفعل ما يشاء فهو عارف له في كل تجلٍ ساكت لا يتكلم، ويعلم أن كل صورة تجلى الحق تعالى فيها على التخيل لا تبقى زمانين إنما تعرض للعارف ليعرف أحكامها، [فإذا عرف أحكامها] ^(٢) ذهبت تلك الصورة وذهبت أحكامها بذهابها هكذا شأن تجلي الحق تعالى أبد الأبديين ودهر الداهرين.

ثم اعلم: يا أخي أن جميع الشرائع [المنزلة] ^(٣) ما أخذها من أخذها إلا من رتبة التقييد لأن أدنى ما يشهد في أعلى مراتب الآخذين عن الله الوحي بلا واسطة ثلاثة آخذ ومأخوذ [منه ومأخوذ] ^(٤) عنه ومن لازم ذلك عند ظل صاحب عقل الجهة والتمييز فجاءت مرتبة التقييد، وقول بعضهم لا يلزم من ذلك الجهة لأن الجهة لا تكون إلا للأجسام والحق تعالى منزه عن الجسم إنما هو تستير على من لا يعرف الأمور مع أن كلامنا إنما هو مع من هو في حجاب العقل ومع المنصفين لا الذين [يجابون] ^(٥) بخلاف ما يتعقلون من غير ذوق

(1) في الأصل [وذلك] والتصويب من ح.

(2) ساقط من الأصل والتصويب من ح.

(3) في الأصل [المنزل] والتصويب من ح.

(4) ساقط من الأصل والزيادة من ح.

(5) في الأصل [يجابون] والتصويب من ح.

فأفهم ، وإذا كانت مرتبة التقييد لازمة [لكل] ^(١) آخذ عن الله عز وجل من ملك أو رسول غيره [من القاصرين] ^(٢) أولى [بتقريرهم] ^(٣) على معرفتهم لربهم في رتبة التقييد فما أثبتته للآخذ (47/أ) الأول فأثبتته للآخذ بالحجب والوسائط من باب أولى ومن قال من المتصوفة ما أخذ آخذ إلا من نفسه [ولا] ^(٤) أرسل إلا إليها فهو خباط عند كل عاقل وقد أنشدوا في ذلك:

احذر بأن تجعل الأعيان واحدة إذا أتتك بها الآيات والسور
من قوله أنت عبدي والإله أنا وما لنا عندكم عين ولا أثر
وقد أوصاني شيخنا الشيخ علي الخواص رحمه الله تعالى ، وقال
لي: احذر يا ولدي كل الحذر من حضرة الجمع فإنها حضرة تزل فيها
الأقدام لكون الشبهة فيها قوية لا يقاومها دليل مركب. ومن هذه
الحضرة ظهر القائلون بالحلول والاتحاد [فنسأل] ^(٥) الله اللطيف ، ومما
يؤيد صحة التجلي في مرتبة التقييد تقريره ﷺ للجارية السوداء بأن الله
تعالى في السماء حين قال لها: «أين الله بالإيمان» حين قالت: إن الله
في السماء وقال: «مؤمنة ورب الكعبة» ^(٦) ومن وصية جبريل لرسول

(1) في الأصل [لأول] والتصويب من ح .

(2) ساقط من الأصل والزيادة من ح .

(3) في الأصل [تعزيرهم] .

(4) في ح [و] .

(5) ساقط من الأصل .

(6) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب المساجد مواضع الصلاة باب

الله ﷺ «اعبد الله كأنك تراه»^(١) وأوصى بذلك رسول الله ﷺ أمته ومعلوم عند كل منصف أن مخلوقاً لا يرى ربه إلا مقيداً بجهة لأنه غيره بلا شك لا عينه وقول من قال يرى بلا كشف تستير على العوام فإذا كان التخيل يقع لأكبر الناس معرفة بالله تعالى فكيف بآحاد [الناس]^(٢)، وقد بلغنا أن عيسى عليه الصلاة والسلام مر برجل ساجد وهو يقول في سجوده يا رب لو علمت أين حمارك الذي تركبه لعملت له برذعة ورصعتها بالجواهر فحركه عيسى عليه الصلاة والسلام وقال [له]^(٣): ويحك وهل لله تعالى حمار وأنكر عليه ذلك فأوحى الله تعالى إليه: يا عيسى دع البراذعي فإنه مجدني بقدر وسعه وطاقته وقد جازيته على [تعظيمه]^(٤) لي (47/ب) على قدر معرفته انتهى .

فلولا أن الضعفاء يسامحون بمثل ذلك لم يسأل النبي ﷺ الجارية بالأينية المستحيلة على الله تعالى في رتبة الإطلاق ولا كان شهد لها

تحريم الكلام في الصلاة نسخ ما كان من إباحة حديث رقم (537) وأبو داود في سننه في كتاب تفرغ أبواب العمل في الصلاة باب تسميت العاطس حديث رقم (930) ومالك في الموطأ حديث رقم (1468)، والترمذي في كتاب الطلاق واللعان باب ما جاء في كفارة الظهر حديث رقم (1197) والنسائي في كتاب السهو باب الكلام في الصلاة حديث رقم (1212) والهندي في كنز العمال .

(1) تقدم تخريج الحديث .

(2) في ح [المؤمنين] .

(3) ساقط من ح .

(4) في الأصل [قدر تعظيمه] والتصويب من ح .

بالإيمان ولكن الحق تعالى [أقر]^(١) عيسى عليه الصلاة والسلام على إنكاره على البراذعي وعلم أن من نفى عن الحق تعالى إطلاق الأينية مطلقاً فهو ناقص الإيمان محكم عقله على الشارع ﷺ وذلك أن العقل ينفي معقولية الأينية والسنة قد أثبت إطلاق الأينية على الله تعالى لكن لا يتعدى ولا يقاس عليها ولا تطلق إلا في الموضع الذي [أطلقها]^(٢) الشارع فيه إذ كان أعلم بالحق تعالى من غيره، وكان كثيراً ما يقول أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم، وقال سيدي محيي الدين رحمه الله تعالى ورضي عنه: فالكامل من سلك طريقه صلى الله عليه وآله وسلم.

وأنشدوا في ذلك شعراً:

فهو مع العالم في [أينه]^(٣) وماله أيمن ولا
 بين العماء والاستواء حارت عقول أولي النهى
 وكذاك عند نزوله من مستواه إلى السما
 ووجوده في أرضه وبقلبنا وبأين ما
 هي ستة مثل الجهات لنا بصورتنا سوا
 فالله جل بذاته عن نعت أحوال السوا
 وتأمل يا أخي قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾

(1) في ح [أمر].

(2) في الأصل [أطلقها] والتصويب من ح.

(3) في ح [أينية].

تعلم أنه قيد نفسه في هذه الحضرات الأربع ليعرفه عباده بالتقييد [رحمة] (١) لهم لكن منهم من أطلعه على الإطلاق المبطنون في رتبة التقييد ومنهم من أوقفه على ظاهر الحضرات وحجبه عن باطنها، وبذلك تميزت العارفون عن غيرهم، وكان سيدي الشيخ أبو الحسن الشاذلي (٢) يقول: قد محق الله تعالى الأغيار بهذه الآية فإنه جعل نفسه عين ما ظهر وعين ما بطن، وكذا هي حضرة الذات [المقدسة] (٣)، انتهى. فالمؤمنون (48/ب) واقفون خلف حجابهم لا يدرون ما وراءه من الإطلاق فهم في حيرة وما ثم معهم نور إيمان يفوق نوره نور الأدلة حتى يدرجها فيه فلا يزال المنزه منهم ينزه حتى يصير غير قابض [في] (٤) معتقده على شيء يعتمد عليه فهو بين

(1) ساقط من ح والزيادة من الأصل.

(2) قال ابن العماد قال الشيخ عبد الرؤوف المناوي في طبقات الأولياء علي أبو الحسن الشاذلي السيد الشريف من ذرية محمد بن الحسن زعيم الطائفة الشاذلية نسبة =

= إلى شاذلة قرية بأفريقية نشأ ببلده فاشتغل بالعلوم الشرعية حتى أتقنها وصار يناظر عليها مع كونه ضريباً ثم سلك منهاج التصوف وجد واجتهد حتى ظهر صلاحه وخيره وطار في فضاء الفضائل طيره وحمد في طريق القوم مساره وسيره ولقي الرجال وقدم إلى إسكندرية من المغرب وصار يلازم ثغرها من الفجر إلى المغرب ويتتبع الناس بحديثه الحسن وكلامه المطرب وتحول إلى الديار المصرية وأظهر فيها طريقته المرضية ونشر سيرته السرية وله أحزاب محفوظة وأحوال بعين العناية ملحوظة، (شذرات الذهب 279/3).

(3) في ح [المقدس].

(4) في الأصل [على] والتصويب من ح.

تجسيم تارة وتعطيل شيء من صفات الحق تارة وقول بعضهم عن المعطل إنه يقول ما ثم [إله] ^(١) أصلاً بناء على غير أساس إذ كل موجود لا بد له من تخيل [إله] ^(٢) ثابت في قلبه يلجأ إليه في الشدائد [وبه كان] ^(٣) قيامه وبقاؤه فالمعطل في لسان المحققين إنما هو الذي عطل شيئاً من صفات الباري جلّ وعلا لقصور نظره لا غير، وما ثم لنا معطل على الإطلاق أبداً وأكثر المعطلين تعطيلاً من قال إنه ما ثم إلا وجود الحق، والخلق كلهم مظاهره. فإنه يعطل بهذا القول جميع الأسماء التي تطلب الحضرات كالرب والرحمن والغفور ونحوها، أما العارفون الذين فاق إيمانهم نور عقولهم بل علموا بإعلام من الله تعالى لهم في تجليه في قوله ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ^(٤) أن ثم وراء هذا المقيد الذي عرفوه شيئاً لا يصح أن يشهد ولا يعرف ولا يحصر ولا يشبه ولا يمثل ولا يحاط به دنيا ولا أخرى وهي مرتبة الإطلاق فقرروا في مرتبتي التجلي في الإطلاق والتقييد وعرفوا الحق تعالى بهما ورأوا الإطلاق في عين التقييد والتقييد في عين الإطلاق فكانوا عارفين [به] ^(٥) غير عارفين به لعدم إحاطتهم بذاته

(1) في الأصل [له] والتصويب من ح.

(2) في الأصل [له] والتصويب من ح.

(3) في الأصل [وكان] والتصويب من ح.

(4) سورة الصافات آية: 180.

(5) ساقط من الأصل والزيادة من ح.

تعالى، فكانوا كالواقفين على شهود العين الأولى من شبكة صياد السمك التي تفرعت منها كل عين في سائر الأدوار كالواقفين على مجموع أفواه السكك المتوجهة للحضرة الإلهية التي هي منتهى كل طريق فلا يرون منها (48/ب) طريقاً إلا ومنتهاها إلى تلك الحضرة ولذلك لا تجد عارفاً ينكر على أحد من المسلمين ما اعتقده في ربه عز وجل أبداً لعلمه بأنه ما ثم شيء في العالم إلا وهو مستند إلى حقيقة إلهية للمعية السارية في الوجود بأسره ومحال أن يوجد فرع من شجرة [ثابتاً]⁽¹⁾ بين السماء والأرض ليس له أصل تفرع منه فافهم وقد عذر الله جميع عباده في حيرتهم فيه وعدم إحاطتهم به وعدم معرفتهم بما يجب له من الصفات حيث بذلوا وسعهم وأمعنوا في النظر وكل ذلك راجع في مرتبة التقييد، أما مرتبة الإطلاق فلم يؤمر أحد بالنظر فيها بل نهى تعالى عن الفكر فيها كما تقدم تقريره في الفصول السابقة وذلك لأنه تعالى سمى نفسه برب العزة [وبالعزیز]⁽²⁾ والعزیز هو المنيع الذي لا يوصل إلى معرفة كنهه وحقيقته إذ لو وصل إلى ذلك ما كان عزيزاً منيع الحمى وقد أنشدوا في ذلك شعراً كما تقدم:

وغاية الوصل بالرحمن زندقه
 فإن إحسانه جزاء إحسان
 إن لم أصوره لم تعلم بما
 كلف

وأنشدوا أيضاً:

(1) في ح [ثابت] وهي منصوبة لأنها حال.

(2) ساقط من ح.

الله لا عقل يصوره والكون يثبته في سائر الصور
والشرع يطلقه وقتاً ويحصره والوهم يعبده في صورة البشر
فما عرفه أحد من كل وجه ولا جهله أحد من كل وجه ، ولا يخرج
أحد عن الجهل بالله تعالى لأن علم الله تعالى كما يعلم الله تعالى نفسه
وذلك ممنوع عند المحققين كما مرّ إيضاحه في الفصول السابقة
فالخلق كلهم في حجاب عن الإحاطة برتبة الإطلاق ولا يرفع عنهم
هذا الحجاب أبد الأبدين ودهر الداهرين ما دام الوجود عبد ورب
[فافهم] ⁽¹⁾ (49/أ) ، ثم: من أعظم ما يقع فيه الخلق غلبة وهمهم على
عقلهم فإنهم لا يتوهمون الحق تعالى إلا في جهة الفوق حتى إن كثيراً
منهم يشيرون إليه بالأصابع عند الحلف به تعالى لا تعطي نشأتهم غير
ذلك وهو تعالى في نفس الأمر لا يصح تقييده بجهة أبداً فالخلق
يعقلون هذا التنزيه مع حكم وهمهم من غير تأخير ويجمعون في الآن
الواحد بين حكم العقل وحكم الوهم كما جمعت نشأتهم الأمور
المتضادة التي كان أحدهم بها إنساناً .

فإن قيل: فهل يقال في رتبة التقييد أنها عين الحق تعالى أو يقال
فيها أنها غيره؟ فالجواب أن رتبة التقييد عين الحق تعالى لقوله عز
وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ﴾ ⁽²⁾ ولقوله أيضاً: ﴿يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ

(1) ساقط من ح .

(2) سورة الأعراف آية: 54 .

الْعَمَامِ ﴿١﴾ فَأُضَافُ تَعَالَى [الآيتين] (٢) إِلَى الْاسْمِ الْجَامِعِ اللَّهُ لِمَعْنَى الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ كُلِّهَا كَمَا أُضْفَى الْمَجِيءُ إِلَى الْاسْمِ الرَّبِّ الَّذِي هُوَ مِنْ أَسْمَاءِ التَّقْيِيدِ [فَلَوْلَا أَنْ الْإِطْلَاقَ عَيْنِ التَّقْيِيدِ] (٣) وَالتَّقْيِيدَ عَيْنِ الْإِطْلَاقِ مَا صَحَّ ذَلِكَ ، ثُمَّ تَأْمَلُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى لِمُحَمَّدٍ ﷺ : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ﴾ (٤) يَعْنِي رَبُّكَ الَّذِي عَرَفْتَ أَنْتَ لَا مَا عَرَفَهُ غَيْرُكَ فَإِنْ لِكُلِّ أَحَدٍ [رَبٍّ] (٥) وَهُوَ الْوَجْهَ الَّذِي عَرَفَهُ مِنَ الْحَقِّ تَعَالَى وَتَقَدَّمَ أَنْ [وَجْهَهُ] (٦) الْمَعَارِفَ عَلَى عَدَدِ الْخَلْقِ فَكَذَلِكَ [الْأَرْبَابِ] (٧) عَلَى عَدَدِ الْخَلْقِ فَإِذَا كَانَ مَا عَرَفَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ حَضْرَةِ الرَّبُّوبِيَّةِ الْخَاصِّ بِهِ قَدْ وَصَفَ بِالْمَجِيءِ فَكَيْفَ بَمَنْ عَرَفَهُ غَيْرُهُ فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَوْسَعَ الرِّسْلِ مَرَّةً . وَكَذَلِكَ تَأْمَلُ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ﴾ (٨) يَعْنِي : مَا شَهِدْتُمُوهُ مِنَ التَّقْيِيدِ هُوَ عَيْنُ الْإِطْلَاقِ إِذْ حَضْرَةُ

(1) سورة البقرة آية: 210.

(2) فِي الْأَصْلِ [الآيتان] وَهُوَ خَطَأً نَحْوِي لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ بِهِ مَنْصُوبٌ بِالْبَاءِ لِأَنَّهُ مِثْنَى وَالْغَالِبُ أَنَّ الْخَطَأَ مِنَ النَّاسِخِ .

(3) فِي الْأَصْلِ حُرُوفٌ مَبْهَمَةٌ وَالتَّوْضِيحُ مِنَ الْهَامِشِ .

(4) سُورَةُ الْفَجْرِ آيَةٌ: 22 .

(5) فِي الْأَصْلِ حُرُوفٌ مَبْهَمَةٌ وَالتَّوْضِيحُ مِنَ الْهَامِشِ .

(6) فِي الْأَصْلِ [وَجُودٌ] وَالتَّصْوِيبُ مِنْ ح .

(7) سَاقَطٌ مِنَ الْأَصْلِ وَالزِّيَادَةُ مِنْ ح .

(8) سُورَةُ الْأَعْرَافِ آيَةٌ: 54 .

الرب مقيدة بوجود المربوب معها وطالبة لكونها برزخاً بين الحق والخلق إذ هي الخط الذي قسم الدائرة [بقسمين]^(١) فافهم فلها وجهان: ما يلي الحق تعالى له الإطلاق وما يلي الخلق له التقييد لأن الخلق لا يتعللون (49/ب) إلا ما كان على صورتهم ولسان الحق تعالى حينئذ يقول أنا حقيقة عبادي، وليس عبادي حقيقتي وأنشدوا في ذلك شعراً:

فما ترى عين ذي عين سوى عدم فصح أن الوجود المدرك الله وما يرى الله غير الله فاعتبروا قولي ليعلم منحاه ومغزاه وكان أبو يزيد رضي الله عنه يقول الحق عين ما ظهر وليس ما ظهر عين الحق، وكان الشيخ محيي الدين رحمه الله يقول: من العلم الغريب الذي تغرب عن وطنه وأنكرته العقول كلها أن الحق تعالى [عين]^(٢) الأشياء وليست الأشياء [عينه]^(٣) لأن من المحال أن لعبد ذوقاً في الألوهية بخلاف الحق تعالى له ذوق في المألوه من حيث إنه يطلبه ومن حيث إنه وصف نفسه بصفات عبده من النزول والمشي والمرض ونحو ذلك فهو تعالى [مثل]^(٤) الأشياء في رتبة التقييد وليست الأشياء [مثله]^(٥) فيها إذ هو عينها وليست هي عينه ولذلك يقال مثل الله في

(1) ساقط من الأصل والزيادة من ح .

(2) في الأصل حروف مبهمه والتصويب من الهامش .

(3) في الأصل حروف مبهمه والتصويب من الهامش .

(4) في الأصل حروف مبهمه والتوضيح من الهامش .

(5) في الأصل حروف مبهمه والتوضيح من الهامش .

خلقه مثل السلطان في ملكه ولا عكس . انتهى كلامه .
فمن نظر الوجه الذي يلي الحق تعالى قال لا دليل عليه تعالى
سواه ، ومن نظر إلى وجه الخلق قال كل ما سوى الله فهو موصل إلى
الله وأكثر من هذا البيان لا يقال فعلم أن الحق تعالى مطلق في عين
التقييد [وما تقييد]^(١) إلا في شهود العبد لا غير لإثباته نفسه مع الله
تعالى ولو بلغ مبلغ العارفين لتعدى بنور قلبه عن هذا التقييد إلى ما
وراءه من رتبة الإطلاق فعلم رتبة الإطلاق علماً لا ذوقاً ورأى جميع
ما عرفه من صور التقييد كالهباء المنثور .

وعلم حين ذلك الاطلاع عدم التقييد على الحق تعالى وأنه فعال
لما يريد وأن من رحمته بخلقه التنزل إلى عقولهم بضرب من التمثيل
والتشبيه حتى يعرفوه تعالى كما أنشدوا (50/أ) في ذلك:

ولست أعبده إلا بصورته فهو الإله الذي في طيه البشر

وكان الشيخ محيي الدين رحمه الله ينشد كثيراً:

فتقييده إطلاقه من [وثاقنا]^(٢) فما ثم إطلاق يكون بلا قيد
فمن عرف الأشياء قال بقولنا فعود على بدء وبدء على عود
وقد قدمنا في فصل الرؤية أوائل هذه الفصول أن للحق تعالى
التنزل إلى عقول عباده وليس لنا نحن أن ننزله بعقولنا ونشبهه بها قال

(1) في الأصل [وما لا تقييد] .

(2) في الأصل [وفاتنا] .

تعالى ﴿فَلَا تَصْرِيحُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١) فله تعالى أن يضرب الأمثال لعلمه تعالى بنفسه وليس لنا نحن أن نضرب له مثلاً لجهلنا به ثم لا يلزم من ضربه الأمثال بالجسمانيات أن يكون جسمًا كما ضرب تعالى المثل لنوره وشبهه بالمشكاة وأين نوره القديم من المشكاة الحادثة.

وكما ضرب المثل للحياة الدنيا بالماء الذي هو جسم والحياة ليست بجسم وإنما ذلك كله ليتعقل عباده الأمور، فإذا تعقلوها ذهب المثل كأنه جفاء وبقي معهم العلم بما ضرب له المثل جفاء وبقي معنا العلم بها ولم نحتج بعد ذلك للحروف حتى لو مسحت من الطروس أو لم ينطق بها كفانا ما وقر عندنا. ونظير ذلك كلامه [تعالى] الأزلي ليس بصوت ولا حرف ولكن لما كان الخلق لا يتعقلونه إلا بصوت وحرف جاءت لنا به الرسل على هذا النسق فلما فهمنا المعاني القائمة بالحروف ووقر ذلك في قلوبنا ذهب الصوت والحرف كأنه.

واعلم أن الحق تعالى كما تنزل من عليّ ذاته إلى العقول كذلك له أن يتكلم [بصورة حرف]^(٢) كما له أن يتجلى في الصورة كما جاءت به الأخبار الصحيحة إذ الحكم في ذلك واحد ومن لم يطلع على ذلك من طريق [50/ب] كشفه صح له من القياس وقد أنشد الحلاج^(٣) في

(1) سورة النحل آية: 74.

(2) الأصل حروف مبهمة والتوضيح من الهامش.

(3) الحلاج: هو الحسين بن منصور البيضاوي المكنى بأبي المغيث نشأ في مدينة واسط بالعراق وصحب الجنيد وغيره، قتل في بغداد، باب الطاق سنة 309 هـ

ذلك شعراً:

ناداني الحق من سمائي بغير حرف من الهجاء
[ثم دعاني من أرض كوني بكل حرف من الهجاء] (١)
وقال لي كله كلامي فلا تعرج على سواي
ولا ترى أن ثم غيري وأنه غاية الثناء
وأنشد سيدي الشيخ محي الدين رحمه الله:

الحق [في] (٢) حق الطبيعة كالأل (٣) تبصره بقية (٤)
انظر وحق ما رأيت فربما كانت خديعة
صورة التجلي هكذا الحق فيها كالوديعة
وأنت بها نكرا وإقراراً نصوص في الشريعة
لا تلتفت للقاع وانظر في منازلك الرفيعة
تجد المعنى ينجلي من خلف أستار بديعة

وله ترجمة في وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 183-190 وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج 8 ص 112-141 وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج 2 ص 233 إلى 253، وطبقات الشعراني ج 1 ص 126-128، والأبيات الذي ذكرها الشعراني منسوبة إلى الحلاج، لم أعثر عليها بعد طول البحث والتنقيب في مؤلفاته ولا سيما ديوانه المطبوع في أوروبا - باريس.

- (1) البيت كله ساقط من الأصل والزيادة من ح.
- (2) في ح [من].
- (3) الأل: بالكسر هو الله عز وجل وهو أيضاً العهد والقرابة ويطلق على المعدن كما في القاموس المحيط 482/3 وهو المراد هنا لأنه يبدو كالماء عن بعد.
- (4) البقعة: مثل القاع هو المستوي من الأرض، مختار الصحاح ص 325.

في غير إشكال صورة تألفها الطبيعة
وإذا رأيت الحق فرجع والتزم سد الذريعة^(١)
وانطق بما نطق الحديث به من ألفاظ شنيعة
ومن هذا القبيل أيضاً ما أظهره الله تعالى على أيدي أهل علم
السيمياء^(٢) والشعبذة^(٣) من ظهور أعيان كثيرة للعيان ولا وجود لها في
نفس الأمر فاعلم أن جميع ما ضرب [من]^(٤) الأمثال للحق إنما هو على
سبيل التقريب للأفهام حتى يثبت للسامع شهود وجود الحق شهود
الحقيقة التي هي عليها وأنه لولا الأمثال التي نصبها الحق تعالى لعباده
في [الدارين]^(٥) ما صحت لهم معرفة فيهما، كما أنه تعالى لولا جعل

(1) الذريعة: الوسيلة ومعنى سد الذريعة أي سد الوسائل الموصلة للمحظورات، مختار
الصحاح ص 140.

(2) السيمياء: أمر من أمر الله أظهر آثاره في العالم الأرضي، على سبيل أسماء وأرواح
من آثار العلويات من النيرات والكواكب والصور، التعاريف 420/1، وقال ابن
خلدون عن جابر بن حيان أنه أكثر من علم السيمياء، لأن إحالة الأجسام النوعية
من صورة إلى أخرى إنما يكون بالقوة النفسية لا بالصناعة العملية فهو من قبيل
السحر، المقدمة 494/1.

(3) الشعبذة: هي تأثير في القوة المتخيلة يعمل صاحب هذا التأثير إلى القوة المتخيلة
فيتصرف فيها بنوع من التصرف ويلقي فيها أنواع من الخيالات فينظر الراؤون كأنها
في الخارج وليس هناك شيء من ذلك، أبجد العلوم (321/2).

(4) ساقط من الأصل والزيادة من ح.

(5) في ح (في الدين).

لهم السمع والأبصار وغير ذلك [ما تعقلوا]^(١) معنى صفاته القديمة ولا كانوا يعرفون ما هو السمع ولا ما هو البصر ولا كانت تصح منهم محبة له سبحانه إذ محبة الله عيناً مطلقة لا تصح لانتفاء المجانسة ومن أدعى أنه أحب الله تعالى عيناً فإنما أحب مثلاً [صورة]^(٢) في نفسه وتخيّله وإن كان لا يثبت أكثر من آن واحد وليس هذا إلا [للمشبه]^(٣) خاصة لكل محب لولا التشبيه ما أحبه .

ولولا التخيّل ما تعلق به ولهذا جعله (51/أ) الشارع في قبلة أحدنا وجعل قلوبنا تسعه تعالى ، وجعله من القرب منه كهو أو بعض أجزائه فمثل هؤلاء [لا يعبدونه]^(٤) إلا [ممثلاً]^(٥) ولا يشاهدونه إلا محصلاً وإن كان دليلهم العقلي يمنعهم من التشبيه ولكن مع ذلك فقد سماهم [المحققون]^(٦) عارفين بالله عز وجل لأنهم ما تعدوا ما شهدوه من صور التجلي وثم من هو أعلى من هؤلاء وهم الذين ترقوا إلى مرتبة إحسان الإحسان وصاروا يستغفرون الله من شهود أنفسهم معه وإذا وقع لهم خشوع من تجلي الله استغفروا وعدوا ذلك ذنباً كما أنشدوا في

(1) في ح (ما عقلوا) .

(2) في الأصل (صور) والتصويب من ح .

(3) في الأصل (المشبه) والتصويب من ح .

(4) في الأصل [لا يعبدون] والتصويب من ح .

(5) في الأصل [عقلاً] والتصويب من ح .

(6) في الأصل [المحققين] والتصويب من ح .

ذلك شعراً:

لا يكون الخشوع إلا إذا ما يبصر القلب من تدلى إليه
وتجلى له بصورة مثل غير هذا فلا يكون لديه
وقد قدمنا أوائل الفصول أن بعضهم ما منع القول بالتجلي بالمثل
إلا لظنه أن المثل كالمثل الذي هو المساوي ولا قائل به فإن الله
[تضرب] (1) له الأمثال ولا يقال له مثل، وكان بعض أشياخي
[يقول] (2): الصحيح عندي الكاف في ليس كمثله شيء كاف الصفة كما
يدل له قرائن الأحوال في كون الحق تعالى وصف الإنسان الكامل
بأوصاف نفسه فهو نفي لمماثلة غير الكامل للكامل المخلوق على
الصورة لا نفي لمماثلة الله إذ ليس لله مثل [الإله الكامل] (3) فلا يماثل
الكامل شيء من العالم لكونه مخلوقاً على صورة الحق التي يتجلى
فيها لعباده في الدنيا والآخرة كما تقدم بسطه في فصل الأسئلة لشيخنا

ﷺ

فإن قيل: كيف يصح تعقل وجود الخلق مع الحق في رتبة
الإطلاق ولا حلول ولا اتحاد قلنا للسائل ألم تعلم أن الله على كل شيء
قدير فلا يسعه أن يقول إلا نعم فنقول (51/ب) له فمن قدرته تعالى

(1) في الأصل [يضرب].

(2) في الأصل حروف مبهمه والتوضيح من الهامش.

(3) ساقط من ح.

[أنه] ^(١) خلق الخلق وخاطبهم وأمرهم ونهاهم ونعمهم وعذبهم وفعل بهم جميع ما فعل في حال كونهم ليسوا موجودين معه فإن ذاته لا تقبل الزيادة كما لا تقبل النقصان أزلاً وأبداً فلا بد لك من عينين عين تنظر بها [إلى] ^(٢) رتبة الإطلاق لتعطي التوحيد للذات حقه، وعين تنظر بها إلى رتبة التقييد لتعطي الشرع حقه، والحق تعالى من وراء جميع ما رأيت وما جهلت كما مر في الهواتف الربانية.

وكان سيدي الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمته الله يقول: إياك أن تشهد مع الله حقاً ^(٣)، وإن كان لا بد من شهودك لهم فأشهدهم كالينابيع التي في كوة الشمس تراهم متحركين صاعدين وهابطين وإذا قبضت عليهم لم تجدهم فهو موجودون في الشهود مفقودون في الوجود وأنشد التستري في ذلك شعراً:

ولم [تلق] ^(٤) كنه الكون إلا توهماً
وليس [شيء] ^(٥) ثابت هكذا ألفينا
ورفض السوى فرض علينا لأننا

-
- (1) في ح [أن].
 - (2) ساقط من الأصل والزيادة من ح.
 - (3) يقصد سيدي أبو الحسن الشاذلي رحمته الله بقوله هذا: إياك أن تشهد خلقاً أي موجوداً بذاته أو له إرادة وقدرة مستقلة عن إرادة الله وقدرته فهو يدعو إلى أعلى درجات الإيمان وهو أن يربط العبد قلبه بالله تعالى لا بالخلق لأن الخلق لا يستقلون بنفع أو ضرر من غير مشيئة الله تعالى، والله أعلم.
 - (4) في ح [لا تلق] وكنه الشيء ذاته.
 - (5) في ح [شيئاً].

بملة محو الشرك والشك قد دنا^(١)

ولكنه كيف السبيل لرفضه

ورفضه المرفوض نحن وما كنا

فمن كان ينبغي السير للجانب الذي

تقدس فليات ليأخذه عنا

فتأمل جميع ما قررت لك يا أخي من تجلي الحق تعالى في مرتبتي الإطلاق والتقييد، تعلم أن مرتبة الإطلاق تعلم ولا تشهد، وتعلم أن مرتبة التقييد هي الموصوفة بصفات التشبيه دون مرتبة الإطلاق فهي الموصوفة بالكينونة في العماء وبالاستواء على العرش وبالنزول منه إلى الكرسي والصعود من الكرسي إليه وبالجلوس على الكرسي في جنة عدن حتى لا يفضل من الكرسي إلا مقدار أربع [أصابع]^(٢) وهي الموصوفة أيضاً بالمجيء وبالمملك صفًا صفًا (52/أ) وبالإتيان في ظلل من الغمام وبالضحك والتبشيش⁽³⁾ وبالمحبة والرضى والغضب، وبالتقرب إليها بالشبر والذراع وبالمشي والهولة وبالرؤية

(1) قد دنا: من دان إذا أطاع واتخذة ديناً.

(2) حديث الجلوس على الكرسي حتى لا يفضل منه إلا مقدار أربعة أصابع فيجلس نبيه محمداً بجانبه وهو المقام المحمود حديث باطل قال السبكي: ابتلي بعض الحنابلة بوضع أحاديث لا ينبغي شرحها ومنها هذا، براءة الأشعرين (54/1).

(3) يشير إلى حديث ما من رجل كان يوطن المسجد فشغله أمر أو غلة ثم عاد إلى ما كان إلا تبشيش الله إليه كما يتبشيش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم، أخرجه ابن خزيمة في صحيحه حديث رقم (259) وابن حبان في صحيحه حديث رقم (1607) ومعنى تبشيش الله إليه أي أنسه وواصله وهو من الله تعالى الرضا والإكرام.

في الدنيا لرسول الله ﷺ وفي الآخرة لجميع المؤمنين وهي المراد بقوله ﷺ: «اعبد الله كأنك تراه»^(١) وهي الموصوفة بقرب رسول الله ﷺ منها ليلة الإسراء حتى كان منها قاب قوسين أو أدنى لأن دائرة الروح الكلي كادت أن يلتقي طرفاها وأنشدوا:

إذا قطعت بخط كرة فبدا قوسان ذاك قرب الحق فاعتبروا
إلى حقيقة أدنى منهما فإذا ما جزته لاح ما يقضي به النظر
إن المعارج للأرواح نسبتها خلاف نسبة ما يسري به البصر
وهذه المرتبة ما بلغنا حصولها في الدنيا لأحد غير نبينا محمد ﷺ مع أنها كما ترى ما خرجت عن التقييد ولذلك صح منه ﷺ التردد بينها وبين موسى عليه السلام في المراجعة في تخفيف الصلوات وهي الموصوفة أيضاً بأخذ الرحم [بحقوه]^(٢) في قوله ﷺ «لما خلق الله الخلق وفرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن فقال الله تعالى: مه؟ فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة»^(٣)، وهي الموصوفة أيضاً بالمعية العامة والخاصة والعين واليد والأصابع والأنامل والجنب وغير

(1) الحديث تقدم تخريجه وهو في مسلم.

(2) في ح [بحقوها].

(3) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب تفسير القرآن - باب وتقطعوا أرحامهم باب رقم (4552) ومسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والآداب باب صلة الرحم وتحريم قطعها رقم (2554) وأبو داود في كتاب الزكاة باب في صلة الرحم حديث رقم (1697) والهندي في كنز العمال في المجلد الثالث في الترهيب عن قطعها حديث رقم (6976)، والحاكم في مستدركه حديث رقم (3005) والبيهقي في السنن الكبرى (11497).

ذلك مما ورد، وهي الموصوفة أيضاً بالقدم والرجل التي ورد أن الجبار يضع قدمه^(١) في النار فتقول قط [قط]^(٢) وهي الموصوفة أيضاً بالوقوف بين يديها للحساب وغيره يوم القيامة وبالتمثيل في حديث التجلي في الصور [والحروف]^(٣) وبالمرور في النار (52/ب) حتى يبقى أثره في النار كحد السيف ولفظ الحديث قال رسول الله ﷺ «يمثل يوم القيامة لمن كان يعبد العزيز شيطان العزيز ولمن كان يعبد المسيح شيطان المسيح وتبقى هذه الأمة [فيمثل]^(٤) لهم الرب تبارك وتعالى فيأتيهم فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك فيأتيهم ثانياً فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك نحن ها هنا حتى يأتينا ربنا الحديث، وفيه [فإذا]^(٥) تجلى لهم الثالثة عرفوه ثم خروا ساجدين فلا يزالون وراءه وهو سبحانه وتعالى أمامهم حتى يمر في النار»^(٦) رواه

(1) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب تفسير القرآن باب قوله تعالى وهل من مزيد حديث رقم (4567) ومسلم في صحيحه باب النار يدخلها الجبارون حديث رقم (2846) وابن حبان رقم (7447) والترمذي والبيهقي أيضاً.

(2) ساقط من ح .

(3) في الأصل رسوم حروف مبهمه والتوضيح من الناسخ .

(4) في ح [فيمثل] .

(5) في الأصل [وإذا] .

(6) الحديث أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم (8803) (368/2) ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية (183) بلفظ المؤلف وبنحوه أخرجه البخاري رقم (773) في صحيحه كتاب الرقاق باب الصراط جسر جهنم حديث رقم (6204).

أحمد وغيره .

وفي حديث آخر قال رسول الله ﷺ: «آخر من يخرج من النار رجل يخرج بعد أخذ الناس منازلهم في الجنة فيجلس عابساً على باب الجنة حين لم ير له مكاناً ينزل به فيمر به ربه عز وجل فيقول له ربه عز وجل قم فادخل الجنة فينظر إلى ربه عابساً ويقول هل أبقيت لي من مكان فيضحك الرب [جل وعلا]^(١) ثم يقول له: تمنّ علي^(٢)» الحديث فكل هذه الصفات مما ذكرناه وما لم نذكره راجع إلى رتبة التقييد لأن رتبة الإطلاق لا يصح فيها شيء [من ذلك]^(٣)، فأضف يا أخي جميع ما ورد في الآيات مما يعطي التنزيه وعدم التشبيه والتكييف والتمثيل ونحو ذلك إلى رتبة الإطلاق التي تعلم ولا تشهد كما يعلم الأعمى أن فلاناً جليسه ولا يشهده وأضف جميع ما ورد في الآيات والأخبار مما يعطي ظاهره التشبيه والتحديد ونحو ذلك إلى رتبة التقييد التي هي حضرة الأسماء والصفات، يرتفع التعارض عندك من جميع الآيات والأخبار ولم تجد منها شيئاً يعارض شيئاً آخر وما فشا الخلاف بين الخلق واحتاجوا إلى التأويل إلا لظنهم أن الحق تعالى

(1) من ح .

(2) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق باب الصراط جسر جهنم وأحمد في المسند في مسند أبي سعيد الخدري وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد حديث رقم (18558) وعزاه لأحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح وأخرجه الحاكم في المستدرک رقم (8737).

(3) ساقط من الأصل .

ليس له تجل إلا في مرتبة واحدة، إما تنزيه (53/أ) فقط [وإما]⁽¹⁾ تشبيهه فقط.

والحق أنهما مرتبتان، فنزل يا أخي كلام كل من قال: لا يعرف الله إلا الله على رتبة الإطلاق ونزل كلام كل من قال: إن الله معروف لجميع خلقه على رتبة التقييد تجدهما سواء، وملخص جميع ما قدمناه أن التجلي الإلهي إذا وقع في المواد جاءت الحدود كالbشر والذراع والباع والهرولة يقيناً وإذا وقع في غير مادة لا يجيء شيء من الحدود إلا توهماً للعبد تارة وتارة.

فسبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

ولنذكر الخاتمة الموعود بذكرها في الخطبة فنقول وبالله التوفيق والعناية:

*** ** **

(1) في الأصل [أما] والزيادة من ح.

خاتمة

يصح لمن تأملها باب إحسان الظن بالمسلمين أجمعين وهي شرح لقول أهل السنة، ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب. اعلم يا أخي أنه لا يتحقق بمعرفة صحة عقائد جميع المسلمين إلا من اطلع على المرأة الكبرى الجامعة لسائر التجليات الإلهية الشرعية فمن تحقق بذلك ذوقاً أو تقليداً جزماً أقر عقائد جميع المسلمين، ولم يجد من عقائدهم شيئاً باطلاً، لأن مطمح [بصر]^(١) جميع المسلمين مرآة الإسلام، وقد حكم الشارع ﷺ [بدخولهم]^(٢) في دين الإسلام بالشهادتين فلا يخرجون منه إلا بجحدها فافهم، وروى البخاري وصححه حديث «ستفترق أمتي على نيف وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة»^(٣) وفي رواية الهالك منها واحدة^(٤)، قال العلماء وهي

(1) ساقط من الأصل والزيادة من ح.

(2) في ح [لدخولهم].

(3) الحديث لم أجده في البخاري وإنما أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم (6247) و(6731) والحاكم في المستدرک رقم (441) وقال صحيح على شرط مسلم وابن ماجه عن عوف بن مالك بلفظ: «واحدة في الجنة وثلثان وسبعون في النار» حديث رقم (3992) وأبو داود في سننه في كتاب السنة باب شرح السنة بلفظ «اثنان وسبعون في النار وواحد في الجنة وهي الجماعة» رقم (4597) والترمذي رقم (264) والبيهقي في السنن الكبرى بلفظ: «كلها في النار إلا السواد الأعظم» رقم (16560) وأبو يعلى في مسنده بلفظ: «كلها في النار إلا السواد الأعظم» رقم (3938) وابن أبي شيبة في مصنفه: «كلها في النار إلا السواد الأعظم» والسواد الأعظم أي غالبية الأمة الإسلامية ناجية بإذن الله.

(4) لم أقف على هذه الرواية وقد عزاه المؤلف لابن النجار ولم أجد كتاباً مطبوعاً له.

الزنادقة ويكون معنى [الرواية] (١) المشهورة كلها في الجنة إلا واحدة ،
 [أي] (٢) في النار ورودهم ثم ينجون ويجتو فيها الظالمون والكافرون
 هم [الظالمون] (٣) الخارجون عن الإسلام .
 واعلم: أن أمهات هذه الفرق [ست] (٤) طوائف: مشبهة (٥)
 معطلة (٦) جبرية (٧) قدرية (٨)

(1) ساقط من الأصل .

(2) في ح [إن] .

(3) في الأصل [الظالمين] وهو خطأ من الناسخ .

(4) في ح [سته] .

(5) المشبهة: هم الذين شبهوا الله بالمخلوقات وهم جماعة من غلاة الشيعة وأصحاب
 الحديث الحشوية وظلال الحنابلة وقد أجاز هؤلاء على ربهم الملامسة والمصافحة
 وقالوا معبودهم جسم من لحم ودم وله جوارح وأعضاء ولكن جسمه ليس
 كالأجسام ولا لحمه كاللحوم ولا دمه كالدماء ووضع المشبهة أخبارا ونسبوها إلى
 النبي ﷺ كذباً وزوراً، موسوعة الفرق الإسلامية ص 357 .

(6) المعطلة: ويقال لهم الملاحدة والدهرية والزنادقة: وهم أقل الناس عدداً وأوضعهم
 منزلة يقولون بقدم أعيان العالم والأجسام ويتولد النبات والحيوان من الطباع
 باختلاف الأزمنة ورجوعها إلى أصولها ولا صانع لها ولا خالق ولا مدبر (قاتلهم
 الله أنى يؤفكون) البدء والتاريخ 2/4 .

(7) الجبرية: وهم الذين قالو بأن الله مجبور على أفعاله من الطاعات أو المعصية ولذلك
 له إرادة يسأل عنها يوم القيامة بل هو كالريشة في الهواء .

(8) القدرية: هم الذين نسبوا التقدير إلى أنفسهم لا الصانع وكانت المعتزلة قدرية وقالوا
 إن الله ليست له قدرة ولا إرادة وأفعال العباد مخلوقة له وليس الله خالقاً لأفعالهم
 وكان شيخ هذه الطائفة أبو الهذيل العلاف وفي الحديث «القدرية مجوس هذه الأمة»
 أخرجه أبو داود، انظر الفرق الإسلامية 315 .

رافضة^(١) خوارج^(٢)، وكل طائفة من هذه الستة [تشعبت]^(٣) اثني عشر فرقة فاضرب الستة في الاثني عشر فما خرج فهو العدد الذي أشار إليه رسول الله ﷺ فلهم الرواية التي (53/ب) صححها [ابن النجار]^(٤) لم نعتقد تكفير أحد من هذه الفرق كلها احتياطاً لديننا وذلك لأن الكفر هو ضد الإيمان، قال الله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ﴾^(٥) والإيمان هو التصديق بالرسول وبما جاء به، والكفر هو التكذيب لأنه مخالفة نص مقطوع به أو مخالفة الإجماع وفيهما تكذيب الرسول ثم إن ذلك ينقسم إلى أربعة أنواع:

النوع الأول: تكذيب اليهود والنصارى وذاك كفر لا شك فيه .
 النوع الثاني: تكذيب المنكرين لأصل النبوة وتكفيرهم يكون على الطريق الأولى لأنهم كذبوا جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومن هذا النوع الدهرية^(٦) لأنهم كذبوا بالله وبالرسل جميعاً ومنه أيضاً

-
- (1) الرافضة: هم الرافضون لإمامة زيد بن علي بن الحسين وقد رفضوا الدين بالكلية فقد كفروا الصحابة وأبطلوا الاجتهاد واتهموا القرآن بالتحريف من قبل الصحابة وقالوا: الإمامة لا تكون إلا بنص أو توقيف، انظر موسوعة الفرق الإسلامية ص 228 .
 (2) الخوارج: هم الذين خرجوا على سيدنا علي لأنه قبل بالتحكيم بين جيشه وجيش معاوية وقد كفروا علياً لذلك وقتلوه أيضاً .
 (3) في الأصل تشعب .
 (4) في ح [البخاري] .
 (5) سورة البقرة آية: 253 .
 (6) الدهرية: نسبة إلى الدهر ويطلق اسم الدهرية عند القدماء على الذين جحدوا الصانع سبحانه، وقالوا بقدم الدهر الذي يدور عليه مذهبهم، وقد صور الإمام الغزالي =

[الملاحظة^(١)] التعليمية لأنهم لبسوا التكذيب في صورة التصديق لتعليقهم معرفة الله بمعرفة الرسل وقد علم قطعاً أن معرفة الرسول معلقة بمعرفة المرسل، [فتكون]^(٢) المسألة دوراً لا يمكن إثبات واحد منهما وفي ضمن دعواهم هذه نفي الرسول والمرسل جميعاً وتبعهم أقوام على هذا الاعتقاد فأنكروا الشرائع، وأباحوا نكاح البنات والأمهات وقالوا: ما ثم إلا فروج تدفع أو أرض تباع، فالتحقوا بالمجوس^(٣) وبالدهرية.

النوع الثالث: تصديق الرسول ولكن صاحبه يعتقد أن جميع ما أخبرت به الرسل من الشرائع، ومنكر ونكير، والحشر والنشر وغير ذلك إنما هو على طريق المصالح للخلق إذ لم يمكنهم التصريح بالحق لكلال أفهامهم عن إدراكه وهم الفلاسفة، وكفرهم من تجوزيهم الكذب على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وفي ذلك سد [لباب]^(٤) النبوة أصلاً إذ تبطل الثقة بقولهم فيجب تكفيرهم بالطريق الأولى.

قال شيخنا رحمته الله، ويقرب من هذا النوع الحلولية فإن المغيرة بن

= مذهبه فقال: إنهم طائفة من الأقدمين جحدوا الصانع المدبر العالم القادر، وزعموا أن العالم لم يزل موجوداً بنفسه كذلك بنفسه، وبلا صانع، (الموسوعة العربية الميسرة مادة دهر) وكذا المعجم الوسيط وغيرها.

- (1) في الأصل [الملاحظة] والتصويب من ح.
- (2) في ح [فيكون].
- (3) المجوس هم قوم قالوا الله تعالى جسم على صورة الإنسان من نور على رأسه تاج من نور وقلبه منبع الحكمة التعرفات (286/1).
- (4) في ح [باب].

سعد [العجلي] (١) (54/أ) زعم أن روح الإله فيه، وأن الله تعالى أعضاء على صورة حروف الهجاء وكذلك الخطابية ادعوا الإلهية لجعفر ابن محمد الصادق وكذلك [السبئية] (٢)(٣) ادعوها لعلي بن أبي طالب عليه السلام فأمر بإحراقهم بسبب ذلك فصاروا يصيحون في النار ويقولون الآن تحققنا أنك الإله وكذلك [بنان بن سمعان] (٤) زعم أن الله سيفنى كله إلا وجهه، فلما اطلع أئمة الشريعة على هذه الفضائح الشنيعة ألحقوا القدرية بالمجوس والحلولية (٥) بأهل الردة والمجسمة بعدة الأوثان، فيستتابون وينبّهون على أن ذلك كفر فإن أصروا ولم يرجعوا عرضوا على السلطان فعل فيهم ما شاء من قتل أو عقوبة وليس للرعية

(1) المغيرة بن سعد العجلي لم أقف على ترجمته .

(2) السبئية: فرقة من الغلاة والحلولية الروافض أصحاب عبد الله بن سبأ أول من غلا في علي غلوًا عظيمًا، وكان يقول في أول أمره إن عليًا نبي، ثم زاد على ذلك فقال: إنه إله، وقال: هو الإله في الحقيقة. ورفع خبرهم إلى علي فحرقهم ونفى عبد الله ابن سبأ إلى المدائن. موسوعة الفرق الإسلامية ص 341.

(3) في الأصل [الشيعه] والتصويب من ح .

(4) بنان بن سمعان التميمي قال الله تعالى على صورة إنسان وروح الله في علي ثم في ابنه محمد بن الحنفية ثم في بني هاشم ثم في بنان، انظر التعريف (146/1).

(5) الحلولية هم الغالية والمشبهة الذين زعموا أن الله يمكن أن يحل في الأشخاص ومن جملتهم الروافض الذين قالوا بحلول الإله في الأئمة ومنهم البيانية زعموا أن روح الله دارت في الأنبياء والأئمة حتى انتهت إلى علي ثم دارت إلى محمد بن الحنفية ثم صارت إلى ابنه أبي هاشم ثم حلت بعده في بيان بن سمعان وجمهور المتكلمين على أن الله تعالى لا يحل في غيره بأنه ينفي الوجود الذاتي وكما لا تحل ذاته في غيره كذلك لا تحل صفته في غيره، موسوعة الفرق الإسلامية 193.

سفك دمائهم بإجماع الأئمة .

النوع الرابع: تصديق الرسول في قوله ولكن صاحبه قد أخطأ في تأويل بعض ما ورد وهم المتأولون من أهل القبلة كالمعتزلة⁽¹⁾ والنجارية⁽²⁾ والروافض⁽³⁾ والخوارج⁽⁴⁾ والمشبهة⁽⁵⁾ حقيقة لا تخيلاً وغيرهم واختلف الأئمة على الخطأ في التأويل يبلغ به حد التكذيب فيكفر به قائله أم لا فصاروا في ذلك فريقين:

الفريق الأول: زعموا أن من خالف الرسول في شيء أخبر به فقد كذبه سواء كان بمجرد الإنكار أو بخطأ التأويل وأجروا [بذلك عليهم]⁽⁶⁾ أحكام الكفرة ولم يميزوا بين الغلاة منهم وبين المقتصدين في ذلك ونحن نذكر لك نبذة من الغلاة وغيرهم فنقول وبالله التوفيق:

اعلم: أن مطلق التأويل في كلام الله عز وجل وكلام رسوله ﷺ سوء أدب لأنه مؤذن بعدم الفصاحة والقصور عن البيان، ولا يليق التأويل إلا لكلام عامة المسلمين لنقصهم وقصورهم، لكن إن رأى العالم بالله أن عدم التأويل للسائل يؤديه إلى محذور فله أن (54/ب)

(1) المعتزلة: تقدم التعريف بهم .

(2) النجارية: وهم الحسينية أيضاً أصحاب الحسين بن محمد النجار وكان من متكلمي أهل الجبر وقد اتفقوا مع المعتزلة على نفي الصفات عن الله تعالى واتفقوا مع أهل السنة في أبواب الوعيد وجواز المغفرة لأهل الذنوب، موسوعة الفرق الإسلامية .

(3) الروافض تقدم تعريفهم .

(4) الخوارج تقدم تعريفهم .

(5) المشبهة تقدم تعريفهم .

(6) في ح [عليهم بذلك] .

يؤول على قدر ما يقوم به التعظيم في قلب السائل رحمة به ، وأخبت
المؤولين من طعن في الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وجعلهم تحت
سلطان الخيال والأوهام وهذا من [الخاسرين] ^(١) لغلوه في التأويل
ودونه في الغلو: من قال أن الرسل أعلم الناس بالله تعالى لكنهم تنزلوا
في الخطاب في أخبار الصفات على قدر أفهام الناس ، لا ما هو الأمر
عليه في نفسه فإنه محال فهؤلاء كأنهم كذبوا رسول الله ﷺ فيما نسبه
إلى ربه وجاء به [بأحسن] ^(٢) عبارة ، ودونه في الغلو في التأويل من لم
يقل بالتنزل بالعبارة ، وإنما يقول المراد بهذا الكلام كذا وكذا دون ما
تفهمه العامة كما عليه بعض الصوفية فهؤلاء تحكّموا على الله بما لم
يحكم به على نفسه ، ودونه من قال نؤمن بهذا الكلام كما جاء من غير
أن يعقل له معنى على حد علم الله تعالى [فيه] ^(٣) ورسوله ﷺ .

وقالوا: إن الإيمان بهذا اللفظ لا يضرنا ، ونسبة هذا الوصف إليه
سبحانه وتعالى مجهولة عندنا لأن ذاته تعالى مجهولة من طريق
الصفات الثبوتية ومن طريق السلب فلا [يعول] ^(٤) على ذلك ، والجهل
بالله تعالى هو الأصل فجهلنا بنسبة ما وصف به نفسه أعظم فنسلم له
ونؤمن بما أخبر به عن نفسه ، فلسان حال هؤلاء [يقول] ^(٥) إن الله

(1) في ح [الأخسرين] .

(2) ساقط من الأصل .

(3) ساقط من ح .

(4) في الأصل [يقول] .

(5) في الأصل [يقولون] .

تعالى خاطبنا بما لا نفهم ولا نعقل وغاب عنهم أن الحق لا يكون تجليه للعالم إلا على صورة التقييد إذ لا يقبل العالم غير ذلك دنيا ولا أخرى كما مر تقريره، وطائفة قالوا لا شك في صدق رسولنا ولكنه قد أتانا في نعت [ربه] ^(١) الذي أرسله إلينا بأمر إن وقفنا عند ظاهرها وحملناها على الله تعالى كما نحملها على نفوسنا أدى ذلك إلى حدوثه وزال كونه إلهاً قديماً وقد [ثبت] ^(٢) ألوهيته وقدمه (55/أ) فننظر هل لها مصرف في اللسان الذي جاء به رسولنا، فإن كل رسول إنما يرسل بلسان قومه وما تواطؤوا عليه فنظروا أبواباً مما يؤول إليها ذلك الوصف مما يقتضي التنزيه [وينفي] ^(٣) التشبيه فحملوا تلك الألفاظ على ذلك الأمر [فإن] ^(٤) قيل لهم أي شيء دعاكم إلى ذلك قالوا أمران [الأول] ^(٥) القدح في الأدلة فإننا بالأدلة العقلية قد أثبتنا صدق دعواه فلا نقبل ما يقدح في الأدلة العقلية فإن ذلك قدح في الأدلة على صدقه.

الثاني: أن رسول الله ﷺ قد أخبرنا أن الله تعالى الذي أرسله ليس كمثله فوافق الأدلة العقلية فتقوى صدقه عندنا بمثل هذا فإن قبلنا ما قاله عن الله على الوجه الذي يعطيه ظاهر اللفظ ونحمله عليه كما

(1) في ح [ربنا].

(2) في ح [ثبت].

(3) في الأصل [وينفي] والتصويب من ح.

(4) في ح [فإذا].

(5) ساقط من ح.

نحمله على المحدثات ضللنا فأخذنا في التأويل إثبات للطريقتين ولو اتسع النظر هؤلاء لعلموا أن الله واسع عليم يقبل كل نعت أضافه إلى نفسه ومعلوم أن الرسل أعلم الخلق بالله تعالى وقد جاؤوا بآيات الصفات ولم يؤولوها لأممهم، فعلم أن من اعتقد نسبة النعوت الإلهية إلى الله تعالى مثل نسبتها إلى نفسه فهو جاهل وهو على النصف من الإيمان لأنه قبل نعت التشبيه ولم يقبل نعت التنزيه، [فيها فقد] ^(١) أبت لك عن الغلاة والمقتصدين في التأويل وميزت لك بعضهم عن بعض على وجه الحق وكلهم مسلمون فيأياك أن تجازف وتحكم على جميع المؤولين بحكم واحد [وتجعلهم] ^(٢) في الحكم كالمكذبين للرسل سواء، كما عليه الفريق المتقدم من الأئمة وهم مع ما ضيقوه من رحمة الله التي وسعت كل شيء لم يتابعهم الجمهور من العلماء والخلفاء، ولم يهريقوا دماء القوم بقولهم، ولا استباحوا أموالهم وحریمهم بفتواهم بل أجروا عليهم أحكام المسلمين إلى عصرنا هذا (55/ب) لدخولهم في [عمار] ^(٣) الأمة بالإجماع كما أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة» فسامهم أمتهم وأضافهم إلى نفسه والمراد بهم أمة الإجابة لا أمة الدعوة فإن الكفار كلهم أمة دعوة وهم أكثر من ثلاث وسبعين] ^(٤) إذ قد ورد أن الكفر على سبعمائة

(1) في ح [فها قد].

(2) في ح [ونجعلهم].

(3) في الأصل [عمار] والتصويب من ح.

(4) ساقط من الأصل والزيادة من ح.

ملة فصيح أن المؤولين أمة إجابة، وأمة الإجابة كلهم مسلمون فمن سماهم كفرة فقد ظلم وتعدى، ولكن غاية أمرهم أن يقال فيهم فسقه ضالة مبتدعة مخطئة ونحو ذلك ومن سماهم كفرة فإنما ذلك على سبيل التغليظ والتشديد لما هم عليه من الخطأ الفاحش، والبدع الشنيعة فشبّه ذلك بالكفر لمقاربتة له كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١) وكما ورد في الحديث: «المراء في القرآن كفر»^(٢) «بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة»^(٣) «ومن ترك الصلاة متعمداً فقد كفر»^(٤)، «إذا قال المسلم للمسلم يا كافر فقد كفر»^(٥)، «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»^(٦) ونحو ذلك فإنه كله قد ورد

(1) سورة المائدة آية: 44.

(2) الحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم (1464) وأبو داود في كتاب السنة باب النهي عن الجدال في القرآن رقم (4603) والبيهقي في السنن الكبرى رقم (8093) وأحمد في المسند (ح2/300) والسيوطي في الجامع الصغير حديث رقم (9187) وعزاه لأبي داود والحاكم وصححه السيوطي.

(3) أخرجه البيهقي في سننه رقم (6288) وأبو يعلى في مسنده (4100) ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان بباب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، وأبو داود في سننه في كتابه الإيمان والنذور باب ما جاء في الحلف بالبراءة وبملة غير الإسلام حديث رقم (3256).

(4) أخرجه الطبراني في الكبير بلفظ «من ترك الصلاة كفر» رقم (8939) وجاء فيه بلفظ «من ترك الصلاة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله» رقم (234).

(5) أخرجه البخاري في الأدب المنفرد رقم (435).

(6) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المظالم باب النهي بغير إذن صاحبه حديث

على جهة التغليظ والزجر فإن الشيء قد يطلق على الشيء الآخر بنوع من التشبيه ولا يقتضي حقيقة الحكم عند التفصيل كما يقول [الرجل الأجنبي] (١) أنت أخي أو ولدي على [طريق] (٢) التقريب والإكرام ثم لا يرثه إذا مات، ولا تحرم عليه بناته ولا أخواته، وكما يقول الرجل للآخر (٣) أنا عبدك على معنى التواضع والطاعة لا يجوز بذلك بيعه ولا امتلاكه فلذلك قلنا: إن معنى إطلاق الكفر على هؤلاء الفرق المخالفة لأهل السنة إنما هو كناية عن فحش مقالاتهم لا لإجراء أحكام الكفرة عليهم.

وأما الفريق الثاني: من الأئمة لم يجعلوا أحداً من المؤولين كافراً، ولا مكذباً للرسول وأمسكوا عن القول بالكفر جملة وقالوا لو كان المؤولون مكذبي الرسل كالكفرة لم يعتنوا بتأويل كلامهم ولم يشتغلوا به بل كانوا يضربون عنه صفحاً جملة واحدة [فأشعر] (٤)

رقم (2343) ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان - باب بيان نقصان الإيمان = بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية رقم (57) وأبو داود في سننه في كتاب السنة باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه حديث رقم (4689) والترمذي في سننه حديث في كتاب الإيمان عن رسول الله ﷺ باب ما جاء لا يزني الزاني وهو مؤمن حديث رقم (2625).

- (1) في ح [الرجل أجنبي].
- (2) في ح [سبيل].
- (3) في ح [الآخر].
- (4) في الأصل [وأشعر].

عدولهم إلى تأويله بأنهم قبلوه وصدقوا (56/أ) [الرسول] (١) فيما [أخبروا] (٢)، غير أنهم لم يوفقوا للصواب في تأويله، فأخطؤوا في تأويله فكان حكمهم كحكم من [يفر] (٣) من [الكفر] (٤) فوقع في البدعة بخطيئته، وهذا أصل عظيم حجب إلي أن أنبهك عليه يسري معك في جميع مسائل الشريعة وهو أن الشارع إذا أتى بلفظ ما فإنه يحمل على ما هو المفهوم منه من لغة العرب حتى يخصه الشارع بوصف خاص يخرج به بذلك عن مفهوم اللغة، فإذا عيّن الشارع ما أراد بذلك اللفظ صار ذلك الوصف أصلاً فلا ينبغي الخروج عنه حتى يدل دليل آخر من الشارع أو من قرائن الأحوال، أنه يريد بذلك اللفظ المفهوم منه في اللغة لا في الشارع وهذا الأصل مضطرد في جميع ما أخبر به الشارع، فلا أعلى ممن حكم الشريعة المطهرة على نفسه في كل شيء وقد ذكر أبو سليمان الخطابي (٥) رحمه الله: أن أول مفارقة أهل السنة والجماعة في عهد الإمام علي عليه السلام وقد أخبره [رسول الله

(1) في ح [الرسول].

(2) في ح [أخبر].

(3) في ح [فر].

(4) في ح [الحكم].

(5) الإمام الخطابي: هو حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، أبو سليمان فقيه محدث من أهل بست من بلاد كابل من نسل زيد بن خطاب (أخي عمر بن الخطاب) له معالم السنن في شرح سنن أبي داود توفي عام ثمان وثمانين وثلاثمائة هـ، الأعلام للزركلي 273/2 شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي (128 127/3).

﴿عَلَيْهِمُ﴾^(١): «أنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»^(٢) وقد سئل علي رضي الله عنه: أكفار هؤلاء؟ فقال رضي الله عنه: إنهم من الكفر فرؤا، فقيل: أمنافقون؟ فقال: إن المنافقين لا يذكرون الله تعالى إلا قليلاً وهؤلاء يذكرون الله كثيراً، فقيل: فما هم؟ فقال: قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا^(٣). قال الخطابي: وإنما لم يجعلهم كفاراً لأنهم تعقلوا [بضرب]^(٤) من التأويل أما قوله رضي الله عنه أنهم يمرقون من الدين، فالمراد بالدين هنا الطاعة كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ [يوسف: 76] أي طاعته.

وحجة الأئمة من أهل هذا الفريق في عدم تكفير هؤلاء، أنه قد ثبت عصمتهم بقولهم: لا إله إلا الله، لقول النبي صلى الله عليه وسلم لا من عند أنفسهم، وفي الصحيح: «إذا قالوا يعني لا إله إلا الله، فقد عصموا مني

(1) ساقط من الأصل والزيادة من ح.

(2) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام حديث رقم (3414) ومسلم في صحيحه في كتاب الزكاة - باب ذكر الخوارج وصفاتهم حديث رقم (1063)، وأبو داود في كتاب السنة، باب قتال الخوارج حديث رقم (4756)، وأحمد في مسنده في مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(3) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (150/1020) حديث رقم (18656)، ذكر الحديث السيوطي في كتابه الجامع الصغير حديث رقم (4148) والهندي في كنز العمال في المجلد الحادي عشر باب تنمة فتنة الخوارج حديث رقم (31568).

(4) في الأصل [بعروب].

دمائهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله»^(١)، قال شيخنا: وإنما قال ﷺ وحسابهم على الله (56/ب) من أجل المناق و من ترتب عليه حق لأحد، فلم يؤخذ منه فالحكم في دار الدنيا للقول لا للعلم والحكم يوم تبلى السرائر للعلم، لا للقول ولذلك يقول الرسل يوم يجمعهم الله فيقول: ﴿مَادَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾^(٢) أي لم نطلع على [القلوب]^(٣) إنك أنت علام الغيوب فهذا سبب قوله ﷺ: فإذا قالوها، ولم يقل فإذا علموها إذ العاصم عن سفك دمائهم في هذه الدار قولها^(٤) لا علمها فلا بد لمن علمها أن يتلفظ بها كغيره فافهم.

ثم إنه لم يثبت لهؤلاء الأئمة أن الخطأ في التأويل كفر أم لا، فلا بد من دليل على ذلك من نص أو إجماع أو قياس صحيح على نص أو إجماع ولا نجد من ذلك شيئاً فبقي القوم على الإسلام فإذا اتفق في زمان وجود مجتهد تكاملت فيه شروط الاجتهاد كالأئمة الأربعة، وبان بدليل قاطع أن الخطأ في التأويل موجب للكفر كفرناهم بقوله وهيهات أن يوجد! وقد وقع أن شخصاً من صوفية مصر سمع منه عبارة

(1) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان باب (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) حديث رقم (25) ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله حديث رقم (21)، وأحمد في المسند أول المجلد الأول، وابن خزيمة في صحيحه رقم (2248).

(2) سورة المائدة آية: 109.

(3) في الأصل [الغيوب].

(4) أي قوله لا إله إلا الله لا علمها.

شنيعة في باب التوحيد فعقد السلطان له عقد مجلس فأفتوا بكفره، وكان الشيخ جلال الدين المحلي^(١) شارح المنهاج غائباً فتوقف السلطان عن قتل ذلك الرجل وقال حتى أسمع كلام الشيخ جلال الدين فيه، فلما حضر أخبروه بما وقع فيه وبما أفتوا فيه، فقال لهم ما مستندكم في تكفيره فتقدم شيخ الإسلام صالح البلقيني^(٢) فقال: مستندنا أن والذي الشيخ سراج الدين^(٣) أفتى في ذلك بالتكفير فقال له الشيخ جلال الدين يا ولدي [هو أي]^(٤) تريد أن تقتل مسلماً موجوداً يؤمن بالله ورسوله بكلام أبيك؟ ثم أمر بإطلاق الرجل فأطلقه السلطان ﷺ.

وقد سئل الشيخ أبو الحسن الأشعري عن تكفير المتأولين

-
- (1) الشيخ جلال الدين المحلي هو محمد بن احمد بن إبراهيم المحلي الشافعي أصولي مفسر مولده ووفاته بالقاهرة وكان مهيباً صداداً بالحق يواجه بذلك الظلمة والحكام ويأتون إليه فلا يأذن لهم وعرض عليه القضاء الأكبر فامتنع وصنف كتاباً في التفسير = أتمه الجلال السيوطي فسمي تفسير الجلالين، وله كتاب كنز الراغبين في فقه الشافعية مجلدان توفي سنة أربع وستين وثمانمائة للهجرة، الأعلام (333/5).
- (2) الشيخ البلقيني: هو صالح بن عمر بن رسلان البلقيني الشافعي، شيخ الإسلام قاض من العلماء بالحديث والفقه تفقه بأخيه عبد الرحمن بالقاهرة وناب عنه في الحكم ثم تصدر للإفتاء والتدريس بعد موته وولي قضاء الديار المصرية توفي بالقاهرة سنة ثمان وستين وثمانمائة للهجرة، الأعلام (194/3).
- (3) الشيخ سراج الدين البلقيني عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني ثم البلقيني المصري الشافعي أبو حفص سراج الدين، مجتهد حافظ للحديث من العلماء بالدين توفي بالقاهرة سنة خمس وثمانمائة للهجرة، الأعلام (291/3).
- (4) باللغة المصرية يعني [هو إيه].

والمتفوهين بالكلام على الذات والصفات من غلاة الصوفية ، فتوقف في الجواب وقال: (57/أ) حتى أنظر وأثبت فإنه دين . وقال زاهر بن أحمد السرخسي^(١): لما دنت وفاة الإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى في داري ببغداد دعاني ومن حضر من العلماء وقال: اشهدوا علي بأني لا أقول بكفر أحد من أهل القبلة لأنني رأيتهم يشيرون إلى معبود واحد والإسلام يشملهم ويعمهم فانظر كيف سماهم مسلمين وكان الإمام الشافعي^(٢) والإمام أبو حنيفة^(٣) وغيرهما يقولون نقبل شهادة من قال بالوعيد [والخوارج]^(٤) إلا الخطابية وهم قوم يشهد

(1) زاهر بن محمد بن أحمد السرخسي الشافعي أبو علي محدث له عوال في الحديث توفي عام ثلاث وخمسائة للهجرة ، معجم المؤلفين (179/4).

(2) الشافعي هو الإمام محمد بن إدريس بن العباس الشافعي أبو عبد الله أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإليه نسبة الشافعية كافة ولد بغزة في فلسطين عام خمسين ومائة وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين ، قال الإمام أحمد بن حنبل ما أحد ممن بيده محبرة أو ورق إلا وللشافعي منه أفتى وهو ابن عشرين سنة وكان ذكياً مفرطاً له تصانيف كثيرة أشهرها كتاب الأم توفي عام أربع ومائتين للهجرة ، الأعلام (26/6).

(3) أبو حنيفة النعمان: هو إمام الحنفية الفقيه المجتهد المحقق أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة قيل أصله من أبناء فارس ولد في الكوفة عام ثمانين للهجرة ونشأ فيها وكان يبيع الخبز ويطلب العلم في صباه ثم انقطع للتدريس والإفتاء وامتنع عن القضاء للمنصور فحبسه إلى أن مات سنة خمسين ومائة للهجرة ، قال الإمام مالك رأيت رجلاً لو كلمته في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته وقال الشافعي: الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة . الأعلام (36/8).

(4) الخوارج: هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في صفيين بعد

بعضهم لبعض من غير معرفة إذا اتفقوا في [المذهب] ^(١) وكان الإمام
 المزني ^(٢) أحد أصحاب الإمام الشافعي يمتنع من تفكير أهل الأهواء
 ويقول: إن المسائل التي يقعون فيها لطائف تدق عن النظر العقلي،
 وكان إمام الحرمين ^(٣) يقول: لو قيل لنا ما يقتضي التكفير من
 [العبارات] ^(٤) مما لا يقتضيه لقلنا هذا طمع في غير مطمع فإن هذا
 بعيد المدرك وعر المسلك يستمد من تيار بحار التوحيد، ومن لم
 يحط علماً بنهايات الحقائق لم يتحصل من دلائل التكفير على وثائق،
 وكان لسان حال أهل التوحيد من الأكابر يقول شعراً:

تركنا البحار الزاخرات وراءنا **فمن أين يدري الناس أين
 توجهنا**

كان أبو المحاسن الروياني ^(٥) وعلماء بغداد قاطبة يقولون لا

قبول التحكيم وأجمعت الخوارج على أمرين: تكفيرهم لعلي وعثمان وأصحاب الجمل
 والحكمين وكل من رضي بهما والثاني: قولهم إن كل من أذنب ذنباً من أمة محمد
 ﷺ فهو كافر ويكون في النار خالدًا مخلدًا، موسوعة الفرق والجماعات الإسلامية
 ص 215.

- (1) في الأصل [في المذاهب] والتصويب من ح.
- (2) المزني هو إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل أبو إبراهيم المزني صاحب الإمام
 الشافعي من أهل مصر كان زاهداً عالماً مجتهداً قوي الحجّة وهو إمام الشافعيين توفي
 عام أربع وستين ومائتين للهجرة، الأعلام (1/329).
- (3) الجويني تقدمت ترجمته.
- (4) في الأصل [العبادات] والتصويب من ح.
- (5) الروياني: هو عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد أبو المحاسن فخر الإسلام فقيه
 شافعي من أهل رويان بنواحي طبرستان رحل إلى بخارى وغزنة ونيسابور وكانت له

نكفر أحداً من أهل المذاهب المختلفة لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فله ما لنا وعليه ما علينا»^(١)، وقد سأل الشيخ.....
 شهاب الدين الأذرعي^(٢) سيدنا ومولانا شيخ الإسلام تقي الدين السبكي^(٣) رحمه الله تعالى عن تكفير أهل الأهواء والبدع، فقال: اعلم يا أخي أن كل مؤمن يستعظم القول بالتكفير لأنه أمر هائل عظيم الخطر وهو كما قال الله تعالى ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾^(٤)
 (57/ب) إذ من كفر إنساناً فكأنه أخبر عنه أن عاقبته في الآخرة العقوبة

حظوة عند الملوك وبلغ من تمكنه في الفقه أن قال: لو احترقت كتب الشافعي لأمليتها من حفظي، تعصب عليه جماعة فقتلوا بأصفهان عام اثنتين وخمسمائة للهجرة، الأعلام (475).

- (1) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أبواب القبلة - باب استقبال القبلة، = حديث رقم (384)، والهندي في كنز العمال في الفصل الرابع في أحكام الإيمان والإسلام في الفرع الثاني في أحكام الإيمان المتفرقة، حديث رقم (398).
- (2) الأذرعي: هو أحمد بن حمدان بن أحمد بن عبد الواحد أبو العباس شهاب الدين الأذرعي فقيه شافعي، ولد بإذرعات الشام وتفقه بالقاهر وولي نيابة القضاء بحلب، توفي سنة ثلاث وثمانين وسبع مائة للهجرة، الأعلام (119/1).
- (3) السبكي: هو علي بن عبد الكافي تقي الدين السبكي شيخ الإسلام في عصره وأحد الحفاظ المفسرين المناظرين وهو والد التاج السبكي صاحب الطبقات، ولد في سبك من أعمال المنوفية في مصر وانتقل إلى القاهرة ثم الشام وولي قضاء الشام ثم اعتل فعاد للقاهرة وتوفي فيها سنة ست وخمسين وسبعمائة للهجرة، الأعلام (302/4).

(4) سورة النور آية: 15.

الدائمة أبد الأبدين وأنه في الدنيا مباح الدم والمال لا يُمكن من نكاح مسلمة ولا تجري عليه أحكام أهل الإسلام في حياته وبعد مماته .
واعلم: يا أخي أن الخطأ في [تكفير] (1) ألف كافر أهون عند الله من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم ، وقد قال رسول الله ﷺ: «لأن يخطئ الإمام في العفو أحب إلى الله من أن يخطئ في العقوبة» (2) وفي الأثر «إن الله أوحى إلى داود عليه السلام لما سأله أن يبني بيت المقدس ، أنه لا يبني بيتي من سفك الدماء فقال داود عليه الصلاة والسلام: يا رب ألم يكن ذلك في الجهاد في سبيلك؟ قال: بلى أليسوا بعبادي؟ فقال: يا رب اجعل بناء ذلك على يد ولدي سليمان ، قال: نعم» (3) .

ثم إن تلك المسائل التي يحكم فيها بالتكفير لهؤلاء القوم في غاية الدقة والغموض لكثرة شعبها واختلاف قرائنها وتفاوت دواعيها والاستقصاء في معرفة الخطأ من سائر صنوف وجوهه ، والاطلاع على حقيقة التأويل وشرائطه في الأماكن ومعرفة (الألفاظ المحتملة للتأويل

(1) في الأصل [في تكفير] وفي ح [في ترك] والتصويب منهما .

(2) أخرجه البيهقي في سننه رقم (16834) ورقم (18073) .

(3) لم أقف على هذا الأثر في المصادر الحديثية المتوفرة لدي ولكن أشار إلى ذلك ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان (167/5) وذكر ذلك ابن بطوطة في رحلته (136/1) وعزا الحديث إلى (أبي) بنحو لفظ المؤلف وذكر قريباً منه ابن خلدون في مقدمته ص354 ومثل ذلك البيهقي في تاريخه (58/1) .

وغير المحتملة وذلك يستدعي معرفة طرق اللسان^(١) من سائر قبائل العرب في حقائقها ومجازاتها واستعاراتها ومعرفة دقائق التوحيد وعوارضه إلى غير ذلك مما هو متعذر جداً وكثيراً ما يتكلم العارفون الذات حتى كان لا صفات فعلم مما قرناه أنه ليس فوق علم العارفين بالله علم إلا علم الله عز وجل ، وكان الشيخ محي الدين بن العربي رحمه الله ينشد كثيراً:

عقد الخلائق في الإله عقائداً وأنا علمت جميع ما اعتقدوه
ومراد الشيخ الاطلاع على ما استندت إليه عقائد الخلق لا أنه
يعمل بجميع عقائدهم مما يخالف السنة إذ كل عارف يلزمه بعد
الظهور تحقق الحق وإبطال الباطل وإعطاء المراتب حقها وقد ذكرنا
في كتابنا المسمى «بالجواهر والدرر» أن من أراد الترقى إلى دائرة
الولاية [فيلمح]^(٢) من قلبه كل علم كان طريقه بالله حين تهب على
قلوبهم النفحات الإلهية بالكلام الذي لا يفهم منه العاقل إلا الخطأ
والتناقض فلا يقبله عقله وكان الأولى له التسليم ، لأن العلم الخاص
بدائرة الولاية يبين العلم الذي عند العقلاء من العلماء فالأولياء
يقرون علم العلماء لمرورهم على معناه حال السلوك والترقي عنه
والعلماء بالعكس وذلك لأن طريق القوم مبنية على ما يقرب من

(1) ساقط من الأصل والزيادة من ح .

(2) في ح [فيلمح] والتصويب من الأصل .

(58/أ) طريق المعتزلة والجبرية^(١) في بعض الحالات وهي حالة شهود غيبة الصفات في شهود وحدة جمال العقل والنظر الفكري، فإذا فعل ذلك فقد تعرض لدخول تلك الحضرة واستنشاق هوائها. وبعيد على من أمعن النظر والفكر في علوم النقول حتى انتقشت تلك العلوم وانطبعت في مرآة قلبه أن يشم رائحة من فهم كلام أهل دائرة الولاية، لأن الموازين العقلية وظواهر الموازين الاجتهادية ترد كثيراً من علوم أهل الله عز وجل، إذ علوم الأولياء فوق طور العقول وميزان [العقول]^(٢) والأفكار لا تعمل هناك ثم تأمل في إنكار السيد موسى على الخضر عليهما السلام علمه الذي آتاه الله من لدنه فإن في ذلك كفاية لكل معتبر، وكلام الشيخ محي الدين بن العربي وأتباعه، وسيدي عمر بن الفارض وابن سبعين^(٣) وغيرهم، غالبه من علم

(1) الجبرية: هي فرقة تقابل القدرية أي ضدها وهم الذين قالوا بالإجبار والاضطرار في الأعمال وأنكروا الاستطاعات كلها وأن لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على سبيل المجاز كما يقول: زالت الشمس ودارت الرحي من غير أن يكونا فاعلين أو مستطيعين لما وصفنا به وهذا مذهب الجبرية الخالصة كالجهمية والضرارية والتجارية. موسوعة الفرق والجماعات الإسلامية ص 135.

(2) في الأصل [العقل] والتصويب من ح.

(3) ابن سبعين هو عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين الإشريري قطب الدين أبو محمد من زهاد الفلاسفة ومن القائلين بوحدة الوجود درس العربية والآداب في الأندلس وانتقل إلى سبتة وحج واشتهر أمره وصنف كتاب الحروف الوضعية في الصور الفلكية وشرح كتاب إدريس عليه السلام الذي وضعه في علم الحروف وكفره كثير من الناس له مريدون وأتباع يعرفون بالسبعينية قال ابن دقيق العيد:

الخضر عليه السلام، وقد ذكرت من علوم الخضر عليه السلام في كتابنا المسمى بالجواهر المصون نحو ثلاثة آلاف علم لا يمكن لغير ولي أن يخوض فيها ولا في علم منها ولا يعرف اسمه فضلاً عن الخوض فيه فتطلبه فإنه (58/ب) كتاب ما أظن أن أحدًا صنف في الإسلام مثله فله الحمد على ذلك .

ثم اعلم: يا أخي أن القول بالتكفير يحتاج إلى أمرين عزيزين أحدهما تحرير المعتقد وهو صعب من جهة الاطلاع على ما في القلب وتخليصه مما يشوبه .

الثاني: أن الحكم بأن ذلك كفر صعب جهة صعوبة علم الكلام ومواضع استنباطه وتمييز الحق فيه من غيره كما تقدم وإنما يحصل ذلك لرجل جمع صحة الذهن ورياضة النفس حتى خرج عن الميل إلى الهوى والتعصب بالكلية بعد الامتلاء من علوم الشريعة وأسرارها وقلّ أن يوجد مثل هذا وإذا كان الإنسان يعجز عن تحرير اعتقاده في نفسه ، فكيف يقدر على تحرير اعتقاد غيره في هذا الزمان الذي صار الناس فيه من كثرة النكد⁽¹⁾ الواقع لهم فيه يشكون في وقت مستهل شهورهم وأعيادهم في مثل [مدينة مصر مع كثرة من أحسن الظن به

جلست مع ابن سبعين من ضحوة إلى قريب الظهر وهو يسرد كلامًا تعقل مفرداته ولا تعقل مركباته، توفي سنة تسع وستين وستمائة للهجرة، الأعلام (280/3).

(1) النكد: نكد عيشه: اشتد ونكد أي عسر والأنكد: المشؤوم، مختار الصحاح ص390.

وتركناه مع أن جميع ما في كتب القوم لا يتعلق منه شيء^(١) ما فيها من العلماء الصالحاء وأكابر الناس نسأل الله اللطف فالقول بتكفير بأحكام الشريعة المطهرة، لا يرد شيئاً منها ولا أحداً بترك وضوء شخص معين بما فهمه العلماء من كلامه في غاية الصعوبة لتعلقه بالمعتقد الباطن مع أنه يشترط في القول بالتكفير اعتراف قائله بما أضره في قلبه وهيهات أن يحصل!

وأما البينة [في ذلك]^(٢) فلا تكفي في ذلك لأنها لا تتعلق إلا بالأمور الظاهرة لا بما طريقه الفهم، وإذا رأينا كتاباً أوله بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والشهادتان وختمه صاحبه بالصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ وما بين ذلك كلام مغلق لا يفهم منه شيء [ولا صلاة ولا صيام ولا حج ولا جهاد ولا غير ذلك مما يهدم تركه الدين أبداً].^(٣) ثم إن الغالب على أهل الأهواء والبدع إنما هو التقليد (59/أ) والانتماء إلى مذاهب أكابرهم على طريقة عوام الفقهاء من غير إحاطة بأنه ذلك المذهب وما هو مستمد منه من الكتاب أو السنة أو الحقيقة أو المجاز.

والقول بتكفير مثل هؤلاء يجر إلى فساد عظيم لعسر تشخيص الكفر وعدم الإيمان في قلب شخص تسمعه يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن

(1) ساقط من الأصل والزيادة من ح.

(2) في ح [وأما البينة فلا تكفي في ذلك].

(3) الكلام كله ساقط من الأصل والزيادة من ح.

محمدًا رسول الله فقد علمت من جميع ما قررناه أن جميع الأئمة المتقدمين قد مالوا إلى ترك التكفير لأحد من المسلمين فبهدهم [اقتده يا أخي] ^(١) ولا تغتر بقول [مجازف] ^(٢) يوهمك الإسلام [له] ^(٣) مقالة في الله عز وجل أو في شيء استنبطوه من أحكام شرائعه عكس ما عليه أهل الجدل، إنما من شأن أهل الله أن يبحثوا عن مستند كل قول في العالم من أين أخذه صاحبه، وماذا استند ذلك القول إليه من حضرات الأسماء الإلهية فإنه محال أن يوجد في العالم قول إلا هو مستند إلى حقيقة التعصب للدين ويحط على عقائد كمل [العارفين] ^(٤) ويخرجهم عن دائرة الإسلام جهلاً وظلمًا، وحسدًا وعدوانًا.

وكان العارف بالله تعالى أبو تراب النخشي ^(٥) يقول: إذا ألفت العبد الإعراض عن الله صحبته الوقعة في أولياء الله ولذلك كان أهل

(1) في ح [يا أخي إقتده].

(2) ساقط من الأصل والزيادة من ح.

(3) ساقط من الأصل والزيادة من ح.

(4) في الأصل [الكافرين] والتصويب من ح.

(5) أبو تراب النخشي: هو عسكر بن الحسين النخشي أبو تراب شيخ عصره في الزهد والتصوف، اشتهر بكنيته حتى لا يكاد يعرف إلا بها وهو من أهل نخشب من بلاد ما وراء النهر، قال المناوي: عربت فقبل لها نسف كتب كثيرًا من الحديث وأخذ عنه الإمام أحمد بن حنبل وآخرون، قال ابن الجلال: لقيت ستمائة شيخ ما رأيت فيهم مثل أربعة، أولهم أبو تراب وقف خمسًا وخمسين وقفة بعرفة ومات بالبادية سنة خمس وأربعين ومائتين للهجرة، الأعلام (4/233).

الله عز وجل لا يشتغلون قط بالرد على أحد من أهل الإلهية فليس عند أهل الله أن أحداً يغلط في الأحكام الشرعية إنما يغلط في وجه النسب ، لأن حكم الله معصوم حق بذلك القول من الله عز وجل فأهل الله يأخذون تلك المسألة التي غلط فيها صاحبها فيجعلونها في موضعها كما قص الله علينا ذلك في شأن موسى والخضر عليهما السلام فإن الخضر لما أخبر موسى بتأويل أفعاله تبين أن ما فعله الخضر كان في محله ولأهل الله تعالى الاطلاع على منزع (59/ب) جميع الملل والنحل والمذاهب اطلاقاً عاماً فما تظهر نحلة من متحل ولا ملة من الملل في الله أو في أحكامه ما تناقض منها وما اختلف إلا ويعلمون من أين [أخذت] ⁽¹⁾ فينسبونها إلى واضعها ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فتحفظ يا أخي من تجريح عقائد أحد من المسلمين واحم سمعك ولسانك وقلبك ولا تحكم بخروج أحد من الإسلام إلا إن ترك ما به دخل فقد نصحتك والسلام .

[والحمد لله رب العالمين] ⁽²⁾ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً اللهم آتة الوسيلة والمقام المحمود التي وعدته يا أرحم الراحمين وأدخلنا في شفاعته [وصلى الله على سيدنا

(1) في الأصل [أخذ] والتصويب من ح .

(2) ساقط من ح .

محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم] (١) [رحم الله مؤلفها ومالكها وكتابها والمسلمين أجمعين آمين] (٢).

*** ** **

الخاتمة وأهم نتائج البحث

أولاً: الخاتمة:

قد منَّ الله عليَّ بالعلم وكان من فضل الله عليَّ أن أقوم بدراسة شخصية إسلامية فذة لها أثرها الكبير في تصحيح مسار الدعوة في زمنه، وأعطى تراثاً ضخماً لا تزال الأمة الإسلامية تفيده منه وتعزز به، وعشت مع الإمام الشعراني مدة تزيد عن عام، أقرأ ما كتب من علم وما بذل من جهد، وأقرأ أيضاً ما كتب فيه من مدح وثناء عاطر ولم أقف على نص واحد في دراستي لشخصية الشعراني يطعن فيه أو يذمه إلا ما حدث هو بنفسه عما جرى له مع بعض الحسدة في عصره يوم

(1) ساقط من ح.

(2) ساقط من الأصل والزيادة من ح.

أن دسّوا عليه عقائد زائفة وأفكاراً باطلة وآراء هدامة ، ولكن الله سبحانه وتعالى فضح أصحابها وأبان كذب أدعائهم وصدق الله العظيم إذا يقول: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾⁽¹⁾.

وكان لتحقيق كتابه «الموازين الذرية في بيان عقائد الفرق العلية» أثره الكبير في إثراء معرفتي وإكتساب خبرة في إخراج النص من مخبئه وتقديمه للأمة سهل التناول والإفادة منه ، كما أصبح لدي دافع كبير لمتابعة هذه التجربة الرائدة في إخراج كنوز الأجداد من علم ومعرفة وثقافة .

ثانياً: أهم نتائج البحث:

لقد وقفت ومن خلال رحلتي العلمية مع هذا الكتاب والدراسة على نتائج مهمة كثيرة أهمها:
أولاً: الإيجابية:

1- إن الإمام الشعراني ركز في المقدمة والخاتمة على أن الغاية من كتابه هي تقرير جميع آيات وأحاديث الصفات كما مشى على ذلك جماهير علماء السلف ي ، وأن عدم التأويل لها أولى وأفضل وطريقة فهمها الإيمان بها كما جاءت من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل ، وهذه فائدة مهمة وغاية في الحسن .

2- ذكر الإمام الشعراني أن الغاية من كل ما تكلم به وتناوله هو عدم تكفير أحد من أهل القبلة ، أو ممن يشهد أن لا إله إلا الله محمد

(1) سورة الرعد: 17 .

رسول الله إلا بنص أو إجماع دون فهم أو قياس ، وهذه نتيجة وحدها تكفي للعمل في هذا الكتاب ودراسته ومطالعة .

3- جاء بمعنى لطيف وكلام طيب في التفريق بين المثل والمثال ص 226-227 .

4- اعتبر الإمام الشعراني أن رؤية الله سبحانه وتعالى في هذه الدار يقظة لغير نبينا ممنوعة على جميع الخلق، وبهذا أغلق الباب أمام المدعين.

5- أفادنا الشعراني في كتابه أن هناك فرقاً بين الرؤية والمشاهدة .

6- قدم المؤلف طريقة جميلة توفيقية بين المثبتين والمؤولين لآيات وأحاديث الصفات من خلال ذكره لضرورة الإطلاق والتقييد، وأنكر تكفير أحد الفريقين لأحدهما الآخر، وهذه فائدة جديدة بنشرها وإذاعتها عليها تعالج أمراض العصر في الواقع الإسلامي .

7- ويبيّن أن القائل بالاتحاد من بعض العلماء هو اتحاد وهم لا حقيقة ، ومع ذلك فالمؤلف رحمه الله لم يقل به ولم يرتضه منهجاً له .

8- امتدح المؤلف الفلسفة والفلاسفة ودافع عنهم واعتبر المنكرين للفلسفة جهلة بمدلول الكلمة ، واعتبر أفلاطون الفيلسوف من العارفين بالله تعالى .

9- ردّ على الإمام الغزالي ، وذلك لأنه تكلم في الذات الآلهية ، والمقبول شرعاً عند الشعراني هو التفكير في آلاء الله تعالى لا في ذاته .

10- أثبت الإمام الشعراني آيات الصفات وأحاديثها كما ورد بها النص من غير إعمال للعقل فيها .

11- وحمل حملة شديدة على المؤولين واعتبر تصريفهم سوء أدب مع الله تعالى .

12- دعا في مواطن متعددة إلى إحسان الظن بالمسلمين وأنهم لا يخرجون من الإسلام إلا إذا أنكروا الشهادتين ، واستدل على ما يقوله بأقوال العلماء والأئمة الأعلام كالإمام أبي الحسن الأشعري والإمام السبكي والإمام الأذري وغيرهم كما هو مبين في الكتاب .

ثانياً: النتائج السلبية:

رغم كل الإيجابيات التي تضمنها الكتاب إلا أنه لم يخلُ من بعض الملاحظات وأهم هذه الملاحظات السلبية:

1- استدلاله في مواضع متعددة بالأحاديث الموضوعة والباطلة ، والتي لا يصح روايتها إلا لبيان أنها باطلة ، والتي أشرت إليها في مواضعها من الكتاب المحقق .

2- ذكر ص 249 واقعة رآها وهي غير ممكنة عقلاً وهي مرفوضة ومردودة واقعاً وإمكاناً .

3- نفى المجاز في كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ نفياً جازماً وهذا خلاف ما عليه الغالبية العظمى من علماء اللغة العربية ويتوافق في رأيه هذا مع ابن تيمية رحمه الله .

4- ذكر شعراً لا يستقيم وزنه ولا معناه بل هو ضرب من الهوس والجنون والتخبط ، وكان الأولى بالشيخ الشعراني أن يضرب عنه صفحاً من الذكر .

5- نقل عن الإمام سهل التستري أنه سمع الخطاب من الله تعالى يوم ناداهم في عالم الذر فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ ثم قال: وعرفت من كان عن يميني ومن كان شمالي .

ولا أعتقد أن مثل هذا الكلام يثبت عن أحد من البشر وكان الأولى من الإمام الشعراني عدم ذكره أصلاً الكلام الذي ذكره في تجلي الرب على المتكبرين أعظم من تجليه على المتواضعين كلام باطل لا يستقيم شرعاً ولا ديناً ولا عقلاً، وقد يكون مما دسَّ عليه كما بينت ذلك في موضعه، ومع هذه الملاحظات فإن الكتاب جيد في بابه جديد في طرحه لموضوعاته، ولكن أنصح به العلماء بخاصة دون العوام لأنه قد يلتبس عليهم كثيراً من الألفاظ والكلمات والحمد لله رب العالمين.

*** ** **

الفهارس

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس الأعلام

فهرس الفرق

فهرس المصادر

فهرس الموضوعات

فهرس الآيات

الصفحة	م الآية
286	1- يقولون أئنَّا لمردودون
358	2- أتى أمر الله
286	3- أحطت بما لم تحط
140	4- اذكروا الله كثيرًا
254	5- أفمن كان على بينة
358	6- اقتربت الساعة
135	7- اقرأ باسم ربك الذي خلق
103	8- ألا إن أولياء الله
365	9- ألا إلى الله
140	10- الذين يذكرون الله قيامًا
166	11- الذي أحسن كل شيء خلقه
106	12- الله ولي الذين آمنوا
227	13- الله نور السموات والأرض
244	14- الله غني عن العالمين
269	15- إن الله لغني عن العالمين
357	16- إنما قولنا لشيء إذا
379	17- إن إلهكم لواحد
120	18- إن الذين قالوا ربنا الله
407	19- إن ربكم الله
332	20- إن هم إلا كالأنعام

- 21- إياك نعبد وإياك نستعين 6
- 22- ثم دنا فتدلى 339
- 23- حتى نعلم 278
- 24- ربنا اغفر لنا ولإخواننا 149
- 25- رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع 134
- 26- رهبانية ابتدعوها 117
- 27- سبحان ربك رب العزة 323
- 28- سبحان ربك رب العزة 405
- 29- سنة الله في الذين خلوا من قبل 24
- 30- سنفرغ لكم أيها الثقلان 232
- 31- ويحذركم الله نفسه 297 ، 199
- 32- وعنده أم الكتاب 357
- 33- فأجره حتى يسمع كلام الله 284
- 34- خذ العفو واؤمر بالعرف 118
- 35- ربنا الذي أعطى كل شيء 166
- 36- فاعلم أنه لا إله إلا الله 304
- 37- فاعبده وتوكل 257
- 38- فاذكروني أذكركم 234
- 39- فتمثل لها بشراً سوياً 230
- 40- فأينما تولوا فثم وجه الله 262
- 41- فمنهم من آمن ومنهم من كفر 423
- 42- فلا تضربوا الله الأمثال 410
- 44- قالت نملة يا أيها النمل 286
- 45- وقالوا لجلودهم لم شهدتم 287

- 46- قل هل يستوي الذين يعلمون 81
- 47- كل يوم هو في شأن 295 ، 231 ، 190 ، 96
- 48- ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا 434
- 49- وابتغ فيما آتاك الله 182
- 50- لا تدركه الأبصار 255
- 51- لعن الذين كفروا 137
- 52- لقد كان لكم في رسول الله 170
- 53- لما خلقت بيدي 270
- 54- ليس كمثله شيء 322 ، 267
- 55- ما قلت لهم 286
- 56- ما كان ليأخذ أخاه 433
- 57- ما يكون من نجوى ثلاثة 325
- 58- منكم من يريد الدنيا 134
- 59- قال رب أرني أنظر إليك 254
- 60- هنالك الولاية 104
- 61- أأست بربكم 282
- 62- واتقوا الله 111
- 63- وآتاه الله الملك 306
- 64- وأن إلى ربك 372 ، 261 ، 260
- 65- فأقم وجهك للدين حنيفاً 331
- 66- وإن من شيء 287
- 67- والله من ورائهم محيط 260
- 68- والله من ورائهم 261
- 69- وإليه يرجع الأمر 340 ، 256

- 70- وتحسبونه هيناً 438 ، 195
- 71- والذاكرين الله كثيراً 140
- 72- وذروا ظاهر الإثم وباطنه 157
- 73- وجاء ربك 407
- 74- وجعلنا نومكم 252
- 75- والله خلقكم 286 ، 201
- 76- وعلمناه من لدنا علماً 111
- 77- ولو أسمعهم لتولوا 281
- 78- مما عملت أيدينا 270
- 79- ومن كان في هذه أعمى 332
- 80- ليس عليكم جناح 184
- 81- ومن لم يحكم بما أنزل 192 ، 43
- 82- ومن يؤت الحكمة 305
- 83- ونحن أقرب إليه 325 ، 265
- 84- ونحن نسيح بحمك 285
- 85- وهو معكم 395 ، 383 ، 245
- 86- يأتيهم الله في ظلل 407
- 87- يا أهل يثرب 261
- 88- يا أيها الناس 271
- 89- ما كذب الفؤاد 237
- 90- يوم تشهد عليهم ألسنتهم 286

*** ** **

فهرس الأحادسث

الصفحة	الحديث	م
419	آخر رجل من ىخرج من النار	1-
417 ، 401 ، 267 ، 256 ، 253	اعبد الله كأنك تراه	2-
131	إذا قال المسلم للمسلم يا كافر	3-
430	المراء في القرآن كفر	4-
116	أكلتان في النهار إسراف	5-
326 ، 139	أنا جليس من ذكرني	6-
267 ، 258	إن الله في قبلة أحدكم	7-
141	أنا عند ظن عبدي	8-
183	إنك إن تذر ذريتك أغنياء	9-
250	إنكم لن تروا ربكم	10-
247	إنكم سترون ربكم	11-
179	إن كان خرج يسعى	12-
140	ألا أنبئكم بخير أعمالكم	13-
105	إن من عباد الله لأناسًا ما هم بأنبياء	14-
314	إنهم من الكفر فروا	15-
432	إنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية	16-
401	أين الله	17-
167	إن يكن في أمتي	18-

- 19- بين العبد والكفر 430 ، 192
- 20- إن الله خلق آدم على صورته ... 395 ، 387 ، 364 ، 231 ، 229
- 21- قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين 430
- 22- تفكروا في آلاء الله 297 ، 199
- 23- جعت فلم تطعمني 326
- 24- ستفترق أمتي 192
- 25- خلق الله آدم على صورة الرحمن 364 ، 229
- 26- رأيت ربي عز وجل في صورة شاب 228
- 27- رأيت ربي عز وجل الليلة 248
- 28- رأيت ربي في أحسن صورة 238 ، 228
- 29- سمع الله لمن 284
- 31- عن الكرسي في جوف العرش 321
- 32- فإذا أحببته كنت 395 ، 325
- 33- فرغ ربك من ثلاث 232
- 34- قوم تحابوا 106
- 36- كان الله 395 ، 393 ، 372
- 37- كان في عماء ما فوقه هواء 271
- 38- لا تقوم الساعة حتى يتغاير 29
- 39- لئن يخطئ الإمام في العفو 438
- 40- لا يزني الزاني 430
- 41- لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه 148
- 42- لمّا خلق الله الخلق 417

- 43- لو دليتم بحبل 272
- 44- ليس وراء الله 260
- 45- ما تقرب إلي عبدي بشيء 157
- 46- من أخلص لله أربعين يوماً 111
- 47- من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر 430 ، 193
- 48- من رآني في المنام فقد رآني حقاً 225
- 49- من كان يقوم به في معيشته 179
- 50- من صلى صلاتنا 437 ، 195
- 51- نور أنى أراه 247
- 52- هل فيكم غريب 138
- 53- يا آدم اختر أيهما شئت 250
- 54- يا فاطمة من لبس الحرير في الدنيا 115
- 55- يتجلى لهم الرب في أدنى صورة 232
- 56- يمثل يوم القيامة لمن كان يعبد العزيز 418
- 57- ينزل ربنا إلى 398 ، 396 ، 361

*** ** **

فهرس الأعلام

الصفحة	العلم	م
154	أبو السعود بن أبي العشائر	1-
151	إبراهيم بن أدهم	2-
442	ابن سبعين	3-
314	أبو إسحاق الإسفراييني	4-
315	أبو الحسن الأشعري	5-
403	أبو الحسن الشاذلي	6-
444	أبو تراب النخشي	7-
265	أبو القاسم الجنيد	8-
217	أبو القاسم بن قيسي	9-
245	أبو بكر الشبلي	10-
436	أبو حنيفة النعمان	11-
150	أبو سليمان الداراني	12-
432	أبو سليمان الخطابي	13-
151	أبو علي الدقاق	14-
240	أبو يزيد البسطامي	15-
240	أبو يزيد طيفور	16-
31	أحمد بن الحسين أبو شجاع	17-
33	أحمد بن عمر الجوجري	18-

- 19- أفلاطون 305
- 20- التستري 150
- 21- الأذرعى 438
- 22- الشافعى 436
- 23- الششتري 292
- 24- السبكى 438
- 25- العجلى 425
- 26- الرويانى 437
- 27- المزنى 437
- 28- أمين الدين 22
- 29- بنان بن سمعان 425
- 30- زاهر بن محمد 435
- 31- زكريا الأنصارى 22
- 32- جلال الدين السيوطى 83
- 33- جلال الدين المحلى 31
- 34- حسين بن منصور الحلاج 327
- 35- خالد الأزهرى 32
- 36- داود بن نصير الطائى 152
- 37- ذو النون المصرى 46
- 38- سراج الدين البلقينى 435
- 39- صفى الدين بن أبى منصور 219

- 40- عبد الرحمن بن صالح المكودي 32
- 41- عبد الكريم الجيلي 219
- 42- عبد الملك أبو المعالي 313
- 43- علي وفا 219
- 44- علي الخواص 243
- 45- عمر بن الفارض 46
- 46- عمرو بن عثمان المكي 332
- 47- مالك بن دينار البصري 150
- 48- محمد بن شمس الدين الرملي 36
- 49- محمد وفا 219
- 50- محي الدين بن عربي 217

** ** *

فهرس الفرق

الصفحة	م الفرق
392	1- الاتحادية
441	2- الجبرية
392	3- الحلولية
437	4- الخطابية
437	5- الخوارج
424	6- الدهرية
426	7- السبئية
423	8- القدرية
319	9- المشبهة
425	10- المجوس
306	11- المعتزلة
423	12- المعطلة
427	13- النجارية

** ** *

فهرس المصادر

م المصدر

- 1- أولاً: القرآن الكريم.
ثانياً: السنة المطهرة.
- 2- (أبجد العلوم في بيان أحوال العلوم) صديق حسن خان القنوجي .
- 3- (الأنوار القدسية) عبد الوهاب الشعراني .
- 4- (إحياء علوم الدين) أبو حامد الغزالي .
- 5- (آداب العبودية) عبد الوهاب الشعراني .
- 6- (البحر المورود) عبد الوهاب الشعراني .
- 7- (البدء والتاريخ) مطهر بن طاهر المقدسي .
- 8- (البداية والنهاية) إسماعيل بن كثير القرشي أبو الفداء .
- 9- (البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع) محمد بن علي الشوكاني .
- 10- (تاريخ الأمم والملوك) محمد بن جرير الطبري .
- 11- (تاريخ بغداد) أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي .
- 12- (تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار) عبد الرحمن ابن حسن الجبرتي دار الجيل بيروت .
- 13- (تاريخ خليفة بن خياط) خليفة بن خياط الليثي العصفري .
- 14- (تاريخ مولد العلماء ووفياتهم) محمد بن عبد الله بن أحمد ابن سليمان الربيعي .
- 15- (تاريخ النور السافر) عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس .
- 16- (تاريخ اليعقوبي) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر العباسي .
- 17- (تنبيه المغترين) عبد الوهاب الشعراني .

- 18- (التوقيف على مهمات التعاريف) محمد بن عبد الرؤوف المناوي .
- 19- (التعريفات) علي بن محمد بن علي الجرجاني .
- 20- (التصوف الإسلامي والإمام الشعراني) طه عبد الباقي سرور .
- 21- (الجواهر والدرر) عبد الوهاب الشعراني .
- 22- (الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة) زكريا بن محمد زكريا الأنصاري .
- 23- (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني .
- 24- (الخطط التوفيقية) للمقرئزي .
- 25- (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .
- 26- (الديباج المذهب) إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي .
- 27- (سمط النجوم العوالي في أنباء التوالي) عبد الملك بن حسين العصامي المالكي .
- 28- (سنن أبي داود) سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني .
- 29- (سنن ابن ماجه) محمد بن يزيد القزويني ت محمد فؤاد عبد الباقي .
- 30- (سنن البيهقي) أحمد بن الحسين البيهقي ت محمد عبد القادر عطا .
- 31- (سنن الدرامي) عبد الله بن عبد الصمد الدرامي ت فواز أحمد زمرلي .
- 32- (السنن الكبرى) أحمد بن حسين البيهقي .
- 33- (سنن الترمذي) محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي .
- 34- (سنن النسائي) (المجتبى) أحمد بن شعيب النسائي .
- 35- (سير أعلام النبلاء) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي .
- 36- (شذرات الذهب) عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي .
- 37- (الشعراني) د. توفيق الطويل .
- 38- (صحيح ابن حبان) محمد بن حبان أبو حاتم التميمي البستي تحقيق شعيب الأرنؤوط .

- 39- (صحيح ابن خزيمة) محمد بن إسحاق بن خزيمة الأعظمي .
- 40- (صحيح البخاري) محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجفعي تحقيق البغا عبد الباقي .
- 41- (صحيح مسلم) مسلم بن الحجاج النيسابوري .
- 42- (صفوة الصفوة) عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ابن الجوزي .
- 43- (طبقات الحفاظ) عبد الرحمن أبي بكر السيوطي .
- 44- (طبقات الحنابلة) محمد بن أبي يعلى أبو الحسين .
- 45- (الطبقات الكبرى) لابن سعد .
- 46- (طبقات الشافعية) أبو بكر ابن أحمد بن محمد عمر بن قاضي شهبة .
- 47- (طبقات الشافعية الكبرى) عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي .
- 48- (طبقات الفقهاء) إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي .
- 49- (طبقات المفسرين) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي .
- 50- (العهود المحمدية) عبد الوهاب الشعراني .
- 51- (الفهرست) محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم .
- 52- (الكامل في التاريخ) محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني .
- 53- (كتاب الروضتين) شهاب الدين بن عبد الرحمن المقدسي .
- 54- (كتاب الوفيات) أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب .
- 55- (كشف الغمة) عبد الوهاب الشعراني .
- 56- (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون) مصطفى عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي .
- 57- (الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة) عبد الوهاب الشعراني .
- 58- (لسان العرب) محمد بن مكرم بن منظور .

- 59- (لطائف المنن) عبد الوهاب الشعراني .
- 60- (المعجم الأوسط) سليمان بن أحمد الطبراني ت حمدي ابن عبد المجيد السلفي .
- 61- (المعجم الصغير) سليمان بن أحمد الطبراني ت حمدي ابن عبد المجيد السلفي .
- 62- (المعجم الكبير) سليمان بن أحمد الطبراني ت حمدي بن عبد المجيد السلفي .
- 63- (المستدرک علی الصحیحین) أبو عبد الله الحاكم .
- 64- (مسند أبي يعلى) أحمد بن علي بن المثنى ت حسين سليم أسد .
- 65- (مسند الإمام أحمد) أحمد بن حنبل الشيباني .
- 66- (مسند الشاميين) سليمان بن أحمد الطبراني ت حمدي بن عبد المجيد السلفي .
- 67- (مسند الشهاب) محمد بن سلامة القضاعي ت حمدي عبد المجيد السلفي .
- 68- (مشاهير علماء الأمصار) .
- 69- (مصنف ابن أبي شيبة) عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي كمال يوسف الحوت .
- 70- (مصنف عبد الرزاق) أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني تحقيق عبد الرحمن الأعظمي .
- 71- (مصر في القرون الوسطى من الفتح العربي للفتح العثماني) .
- 72- (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم) عبد الرحمن بن علي أبو الفرج ابن الجوزي .
- 73- (المنن الكبرى) عبد الوهاب الشعراني .
- 74- (معجم المطبوعات العربية والمصرية) يوسف إيلان سركيس .

- 75- (معجم البلدان) ياقوت بن عبد الله الحموي .
- 76- (معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع) عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي .
- 77- (مقدمة ابن خلدون) عبد الرحمن محمد بن خلدون المغربي .
- 78- (موطأ الإمام مالك) مالك بن أنس الأصبحي تـ محمد فؤاد عبد الباقي .
- 79- (الميزان الكبرى) عبد الوهاب الشعراني .
- 80- (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) جمال الدين يوسف ابن تغري بردي الأتابكي .
- 81- (وفيات الأعيان وأبناء الزمان) شمس الدين أحمد بن محمد أبي بكر بن خلكان .
- 82- (اليواقيت والجواهر) عبد الوهاب الشعراني .

*** **

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
5	المقدمة
11	خطة البحث
13	القسم الأول الدراسة
15	التمهيد
15	أ- نبذة عن صورة المجتمع في عصر الشعراني
18	ب - التعريف بالإمام الشعراني
18	أولاً: اسمه ونسبه
19	ثانياً: مولده ونشأته
21	ثالثاً: المناصب التي تقلدها
23	رابعاً: خلق الشعراني ومواقفه مع الولاة
30	خامساً: وفاته وراثاؤه
31	الشعراني بين طلب العلم وتعليمه
31	أولاً: نشأته العلمية
41	ثانياً: الشعراني والخواص
43	ثالثاً: شيوخه
47	رابعاً: تلاميذه
54	خامساً: أقوال العلماء فيه سلبيًا وإيجابيًا
54	أولاً: أقوال العلماء في الشعراني إيجابيًا
60	ثانياً: أقوال العلماء فيه سلبيًا
64	سادساً: آثاره

77	سابعاً: المصادر التي ذكرت كتب الشعراني
78	ج مصطلحات الصوفية وطريقة فهمها
101	الفصل الأول: الولاية عند الإمام الشعراني
103	المبحث الأول: مفهوم الولاية
103	المسألة الأولى: دلالة الولي اللغوية
104	المسألة الثانية: من هو الولي
109	المسألة الثالثة: مفهوم الولاية
114	المبحث الثاني: شخصيات الأولياء وأصنافهم عند الشعراني
124	المبحث الثالث: الطريق إلى ولاية الله كما يراها الشعراني
124	المسألة الأولى: أهمية الشيخ في الطريق إلى ولاية الله
133	المسألة الثانية: المرید
156	خاتمة المبحث:
159	المبحث الرابع: التصوف في عصر الشعراني
159	المسألة الأولى: الشعراني واعتراضه على مدعي التصوف
161	المسألة الثانية: الرد على شطحات الصوفية
169	المسألة الثالثة: كتب الشعراني تصحيح للمسار الصوفي
178	المسألة الرابعة: موقف الشعراني من المتصوفة العاطلين
187	الفصل الثاني: أهم موضوعات الكتاب
189	دراسة أهم المسائل التي تعرض لها المؤلف
189	المسألة الأولى: في الكلام على الرؤية
191	المسألة الثانية: في موضوع الخاتمة
199	المسألة الثالثة: النهي عن التفكير في ذات الله تعالى
201	المسألة الرابعة: الخلق كلهم قائلون بالاتحاد الوهمي

202	المسألة الخامسة: في الميزان التي ترجع جميع العقول إليها
205	القسم الثاني: مقدمة التحقيق
209	المسألة الأولى: اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه
211	المسألة الثانية: النسخ المعتمدة في التحقيق
214	المسألة الثالثة: منهج التحقيق
217	الكتاب المحقق
217	المقدمة
225	فصل في الكلام على الرؤية والفرق بينهما وبين المشاهدة
233	مبحث الموازنة الإنسانية من الحضرة الإلهية
236	فصل الرؤية الحق في هذه الدار ممنوعة
247	فصل في رؤية الحق يوم القيامة
252	مطلب في حقيقة النوم
253	فصل في الشهود التي تقوم به الطائفة ليس هو الرؤية
264	فصل دائرة الولاية تتسع باتساع العلم بالله
267	للخلق من مشاهدة ربهم نسبتان
268	فصل نور الحق سار في سائر الموجودات
274	فصل العارفون بالله عرفوا الحق بالحق
276	فصل نفي العلماء الجسم والجواهر والعرض عن الله
282	فصل من رحمة الله تنزله في التمثيل والتقيد
283	فصل كل علم لا يزيل من قلبك كل شبهة لا يسمى علماً
284	فصل كل الناس قائلون بالاتحاد وهمًا لا حقيقة
294	فصل العارف لا يقدر توصيل علمه بربه بغيره

297	فصل ويحذركم الله نفسه يعني أن تفكروا فيها
304	فصل ليس من علم الفكر المذموم الكلام في توحيد الله
319	فصل ما ضل من ضل من المشبهة إلا بالتأويل
325	يكره التأويل في حق من كمل إيمانهم
329	فصل الربوبية نعت إضافي
331	الحيرة في الله تعالى من كمال المعرفة
338	فصل في جملة الهواتف الربانية
361	فصل في ذكر مسائل سأل شيخه عنها
	فصل الإنسان الكامل وسطاً بين كينونته مستويّاً على عرشه
384	وبين كينونته في قلبه الذي وسعه
386	فصل لا يكمل للعبد مرتبة العرفان حتى يجمع بين التشبه والتنزيه
391	فصل في ذكر الميزان التي ترجع جميع الفصول إليها
421	خاتمة يصح لمن تأملها باب إحسان الظن بالمسلمين
466	الخاتمة وأهم نتائج البحث
451	الفهارس
453	فهرس الآيات
457	فهرس الأحاديث
460	فهرس الأعلام
463	فهرس الفرق
464	فهرس المصادر
469	فهرس الموضوعات

*** ** **